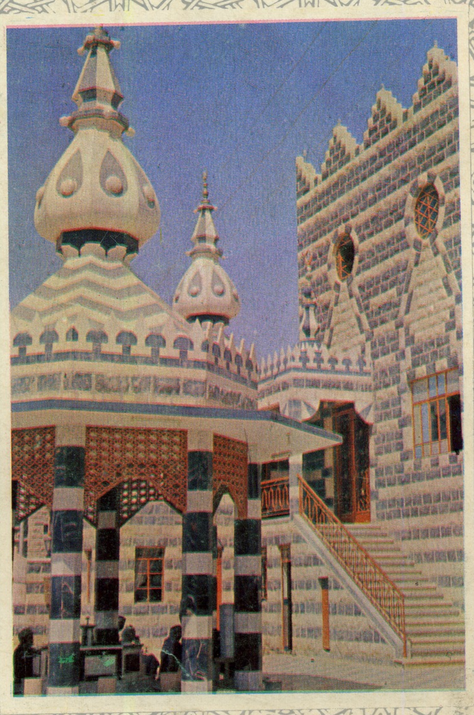
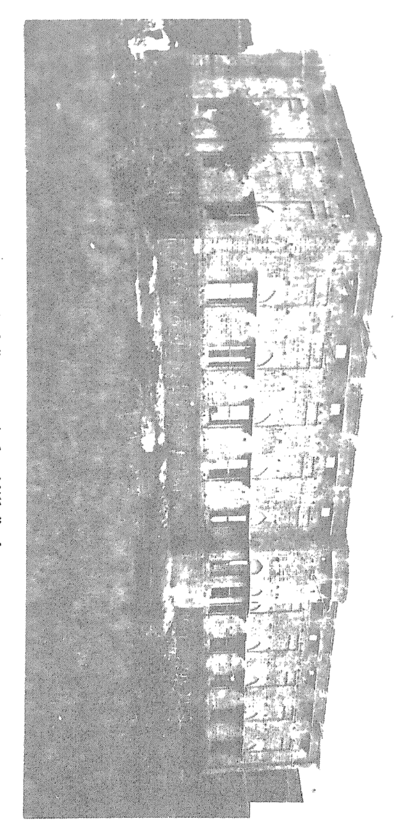
الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

العدد السبعون - شوال سنة ١٣٩٠ هـ - ٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٧٠ م





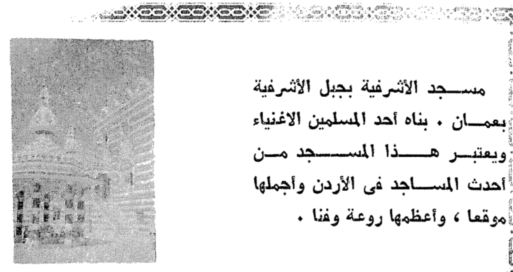
مسجد جامعة الفلاح بلرياكنج مديرية اعظم كر ((الهند

اهداءات ٢٠٠١

الدكتور/ القطب محمد طبلية

القاهرة

مســـجد الأشرفية بجبل الأشرفية بعمـــان . بناه أحد المسلمين الاغنياء ويعتبـــر هـــــذا المســـــجد مـــن أحدث المســـاجد فى الأردن وأجملها موقعا ، وأعظمها روعة وفنا .



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العـــــدد السبعون

شـــــــــــوال سنة ١٣٩٠ هـ

٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمن

الـكويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجزائر	دينـــار وربع	
المغرب	درهم وربــــع	
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

أما الافراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشـــــاد

وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت





أعيادنا الإسلامية

تتنوع اعياد الأمم والشعوب من عهد الى عهد ، وتتغير أسماؤها ، وتعدل مواعيدها من مناسبة الى مناسبة ، وتكثر وتقل ، ويزاد فيها ، وينقص منهـا مسايرة للأحداث ، أو مجاراة للأهواء ، وتتـأثر مراسيمها وتقـاليدها بتطور الزمن وتغير الأفكار .. أما أعيادنا الاسلامية الأصيلة فهى ثابتة مذ كانت لا تتغير اسماؤها ، ولا تعدل مواقيتها ، لا تطور شعائرها ، ولا يزاد فيها وينقص منها لأنها مرتبطة بعبادة من العبادات الالهية . أصيلة أصالتها ، ثابتة ثباتها ، مشروعة شرعيتها ، وهذا هو الفرق بين ما صنع الله ، وبين ما صنع البشر .

تقـوم دولة من الدول فى مكان ما من الارض ، فتكون لهـا أعيـادها ، وتسقط هـذه الدولة وتقـوم مقامها اخرى ، فتلغى من الأعياد ما تشاء وتثبت ما تشاء ، وتزيد ما تشاء ، ويسود نظام من النظم جماعة من الجماعات ، فتكون له اعياده ، ويسقط هذا النظـام ، ويحل محله نظـام آخر يخالفه او يناقضه ، فيلغى أعياد سابقه ، ويقيم أعيادا جديدة ، ويتولى عظيم من العظماء ، فتكـون ولايته عيدا ، وتنتهى هـذه الولاية بموته أو بتنحيته ، ويتولى سـواه فيتخذ لنفسه عيد آخر يفرضه على المحكومين .

وتختلف مراسم الاحتفال بالأعياد من شعب لآخر ومن عصر لعصر ، فآنا مواكب الخيل المطهمة ، وحينا عرض للدبابات ومظاهر القوة ، وحينـا آخر اطلاق المدافع الفارغة والسهام النارية .

اما اعيادنا الاسلامية الأصيلـة ، فلا صلة لها بعظيم من العظماء أيا كان مبلغه من العظمة لا بولادته ، ولا بولايته ولا بموته ، ولا ارتباط لها بقيام نظام من النظم البشرية المتغيرة المتضاربة ، ولا بتخليد موقعة من الوقائع الحاسمـة

ولا تسجيل فتح من الفتوحات ، وشعائر اعيادنا هى هى لم يطـرا عليها تغيير ولا تحوير .. نشيد علوى سماوى : الله أكبر . الله أكبر . الله اكبر كبيرا . لا اله الا الله . والله اكبر الله أكبر ولله الحمد .. وصـلاة جامعة محدودة المعالم . ثابتة الاقوال والأفعال بعـد ارتفاع الشمس ، وخطبتـان مناسبتان بعدهما .

اعيادنا الاسلامية الأصيلة : عيد الفطر وعيد الأضحى ، لم يزد عليهما ، ولم ينقص منهما ، ولم تتغير معالمهما وشعائرهما منذ الف وثـلاثمائة وتسعين سنة حين قدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم المدينـة ، فوجد الأنصـار يومين يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال : قد أبدلكما الله بهما خيرا منهما : يوم الاضحى ويوم الفطر .

عيدان اثنان . لا يزيدان ، ولا ينقصان . الأمة الاسلامية كلها . ايا كان مقامها فى أرض الله ، وايا كان وجودها فى ايام الله .. عيـد الفطر ، وهو اول يوم بعد رمضان يفرح فيه المسلم الصائم فرحتين : فرحة القيام بواجب الطاعة لله ، وفرحة الفوز بجائزة الله له على هـذه الطاعـة ، وهى جائزة فوق كل تثمين وتقدير ، يحدثنا عنها سعد بن اوس الأنصارى عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكـة على ابواب الطرق ، فنادوا : اغـدوا معشر المسلمين الى رب كـريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيـام النهار فصمتم ، واطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد : الا ان ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة .

اما العيد الثانى فهو عيد الأضحى فى اليوم العاشر من ذى الحجة ، وهو اليوم الـذى سماه الله يوم الحج الاكبر ، وفيه تفرح جموع الحجيج الى بيت الله باداء الركن الخامس من أركان الاسلام ، ويفرح فيه المسلمون قاطبة بتمام نعمة الله عليهم واكمال دينهم : ((اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسـلام دينـا)) ..

● ● ●

وأعيادنا مع انها تتسم بجمال الروحانيـة وجلال التقوى ، وتبدا شعائرها بالخروج الى المصلى والوقوف صفوفا بين يدى الله تبارك وتعالى فى مظاهرة كبرى تشهدها الصبيان والنسـاء . قالت أم عطيـة : أمرنا ان نخرج العواتق (البنات) والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى . مع هـذه الروحانية العالية التى تتميز بها اعيادنا تتساوق مع الفطرة الانسانية الزاكية ، وتستجيب للطبيعة البشرية ، ولكن فى اتزان واعتدال ،

فهى بجانب الشفافية والنورانية والصفاء الــذى يسود المسلمين فى كل لحظة من لحظاتها ـ تضفى على القلوب الأنس وعلى النفوس البهجــة وعلى الأجسام الراحة ، ولهذا كان منشعائر الاسلام فيها التطهر والتزين والتطيب ولبس أجمل الثياب ، قال الحسن السبط : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد ، وأن نتطيب بأجود ما نجــد .

واللعب المباح ، واللهو البرىء والغناء الحسن العفيف مما رخص فيه فى يوم العيــد رياضة للبدن واستجابة لتطلعات القلوب والنفوس .. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه الامام أحمد والشيخان : ان الحبشــة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد ، فاطلعت من فــوق عاتقه ، فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ، ثم انصرفت . ورووا عنهــا أيضا قالت : دخل علينا أبو بكر فى يوم عيــد وعندنا جاريتان يذكران يوم بعاث (وهو يوم مشهور من أيــام العرب) فقال أبو بكر عباد الله أمزمور الشيطان . قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أن لكل قوم عيدا ، وان اليوم عيدنا . وفى رواية عروة أنه قال : لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة . انى بعثت بحنيفية سمحة .

● ● ●

أعيادنا الاسلامية أعياد عامة . لا تصطبغ بصبغــة فردية ولا محليــة ولا اقليمية ولا جنسية ، أعياد للصغير والكبير ، للفرد والاسرة ، للقرية والمدينة الأمة الاسلامية قاطبة ، يشترك فيها أعداد لا حصر لها من المسلمين فى الشرق والغرب من كل لون ولغة ، تشمل الفرحة فيها كل قلب ، وتعم النعمة فيها كل بيت ، وترتسم الابتسامة فيها على كل شفة ، فيها تتقارب القلوب على الود ، وتجتمع النفوس على الألفــة وتطهر الصدور من الضغن والحقــد ، وتتصافح الأيدى بعد طول انقباض ، ويتناسى الناس ما بينهم من أحن وثــارات ، وتبرز العواطف الانسانية النبيــلة . الناس كلهم رضا والناس كلهم شــكر يتلاقون فيقول بعضهم لبعض ما كان يقوله أصحاب رسول الله : تقبل الله منا ومنك ..

● ● ●

أعيادنا أعياد مبرات وخيرات . ينمو فيها وعى الافراد بحق الجماعــة عليهم ، وتقوى صلة الفرد بالمحيط الــذى يعيش فيه ، ويتعاون مع الناس على الخير والاحسان اليهم ، وكلما نما الوعى بحق الجماعة والاحســاس بمشاكل المجتمع كلما عظم الترابط بين أفراد المجتمع حتى يكونوا كالبنيان المرصــوص

أو كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء ، وفى ظلال هذا الوعى والاحساس الندية الرحيمة تذوب الفوارق الكبيرة التى يشقى بهـا الناس ، وتخف حدة المآسى والأرزاء التى تمتلىء بها دنياهم ، فتنبسط الأيدى بالبـذل والعطاء ويمسح الغوث والنجدة دموع المنكوبين والفقـراء ، ويشعر الجار بحاجة جاره كما يشعر بحاجته ، ويتذوق طعم السعادة فى ادخال السرور على أولاد صديقه كما يتذوقها فى مسرة أبنائه .. ولقد عاش مجتمعنا الاسلامى فى ظل هـذه المعانى الانسانية الرفيعـة فترة من الزمان كان فيها أسعـد المجتمعات ، وأحناها على بائس ، وأعطفها على فقير ، وأسرعها لنصرة مظلوم وأغاثـة مضيع ..

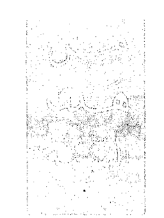
حدث الواقدى وهو من كبار علماء القرن الثانى الهجرى فقال : ((كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفس واحدة فنالتنى ضائقة شديدة ، وحضر العيد فقالت امرأتى : أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البأس والشـدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم لما عليهم من الثياب الرثة ، فانظر كيف تعمل لكسوتهم . قال الواقدى : فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على ، فوجه الى كيسا مختوما فيه ألف درهم ، فما استقر فى يدى حتى كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صديقى الهاشمى ، فوجهت اليه الكيس بختمه ، ثم أخبرت امرأتى بما فعلته ، فاستحسنته ، ولم تعنفنى عليه ، فبينما أنا كذلـك اذ وافانى صديقى الهاشمى ، ومعه الكيس كهيئته ، فقـال لى : انك حين طلبت منى المال لم أكن أملك الا ما بعثت به اليـك ، ثم أرسلت الى صديقى الثالث أسأله المواساة ، فوجه الى الكيس الـذى بعثت به اليه ، قال الواقدى : فتقاسمنا الألف فيما بيننا ، كل واحد ثلاثمائة ، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم ، ونما الخبر الى المأمون ، فدعانى وسألنى ، فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار .

● ● ●

هذه بعض المعانى التى تعبر عنها أعيادنا الاسلامية ، وهذا نموذج لسلوك المسلمين فيها ، وفهمهم لحقوق الأخوة الاسلامية عليها . نذكر بها فى الوقت الذى لا يغيب فيه عن المسلمين مشرقين ومغربين نداءات لجنة الاغاثة العربيـة لضحايا حوادث الاردن الاخيرة ، ولا أنين المشردين المضيعين ، ولا صيحـات الثائرين المقاتلين من أبناء فلسطين . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

عبد الله النبلى



الدعــاة إلى الله

> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
> « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ـ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء ، وكان العاقب الذى لا نبى بعده ، وضمن الله تبارك وتعالى استمرار هداية القرآن الى يوم القيامة ، وحمل الدعوة من بعد الرسول رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وساروا بها مرشدين ومعلمين الى آفاق الارض دون أن تصدهم عقبات أو تحول بينهم وبين هدفهم معوقات ، فاستقر أمرها عبر القرون المتطاولة ، ولم يخب ضوؤها رغم ما لاقت من أعاصير هوج ، وحروب ظاهرة حينا ولابسة ثوب الصداقة أحيانا ، وقيض الله لها المدافع بالسنان تارة ، وبالقلم وقوة المنطق تارات ، وكان آخر العهد بالقتال السافر المنظم قبل الحروب الاسرائيلية ، الحروب الصليبية التى انتهت بما سجله التاريخ لضراغم الاسلام ضد ضراوة التنظيم الاوربى لتلك الحروب ، ولما رأى العدو الذى لا ينام دون غايته أن السيوف فلت ، وأن الكتائب اندحرت ، وأن جموعه المقاتلة تفرقت وامحت أو كادت ، سلك للصراع أسلوبا ليس بالجديد فى تاريخ الانسانية ، ولكنه طوره وقواه ، ذلك هو محاولة هدم البناء من أساسه وتقويض أركانه بأساليب الخداع والمكر ، وطرق اللين والمحاورة البريئة فى ظاهرها ، والمنطوية على حقد دفين وسم قاتل فى نتائجها ، وهيأت له الفرصة غفلة المسلمين ، وتصدع وحدتهم ، وتفرق كلمتهم ، فصار لكل منهم (ليلى) يغنى عليها ، وصيودا يلقى اليها شباكه ، والعدو متربص فى حذر يسدد سهامه ويفرى البغضاء بين الاخوة والاصدقاء وفى غمرة تلك الليالى السود ، ولج بالمسلمين الى بيداء مهلك ، وحاد بهم عن الجادة التى سلكها القادة من الآباء ، ودعاة الحق من الاجداد ، ولكن رحمة الله ولطفه ما كانت لتفارق المسلمين لا الى رجعة ، وانما قيضت لهم العناية رجالا تسلحوا بالتقوى ، وبالتقوى يلين الحديد ، وتواصوا بالحق والصبر وبهما يتوصل الى الهدف مهما طال المسير ، فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا .

٢ ـ راجع تاريخ الدعوة الاسلامية واستنبئه خبرها ، واستمع اليه يقص عليك نضال علمائها ، وكفاح عقلائها تلقى فى كل مرحلة تاريخية عملاقا أو عمالقة فى الفهم والعلم

وقوة القلب وثبات الجنان لا يقلون فى ميدان النقاش والجدل ، والفهم والوعى والعلم والحكمة عن خصومهم ان لم يزيدوا ، فمنذ ظهور الحسن البصرى فى القرن الاول الهجرى الى يومنا هذا (سبعينيات القرن العشرين الميلادى) ما خلا عصر ولا مصر من ذادة عن الحق ، حملوا عبء الدعوة الى الله بكل طريقة واسلوب ، فالمجالس التى عقدت فى المساجد فى صدر الاسلام ، ورجالها الذين صاغوا هداية الشريعة فى اساليب متطورة ، وتصدوا لكل مخالف يدافعونه بطريقته ويواجهون سلاحه بمثله ، قد غصت كتب التراث بأسمائهم ووصف علومهم ، والحديث عن مناظراتهم ، ومنازلاتهم ، فقد جالوا فى كل فن وتسلحوا بكل باتر وكونوا فرقا تفارقت سبلها ، واتحدت أهدافها ، فلئن سمعت عن سنى ومعتزلى ، وعن حامل فلسفة اليونان ومنطقهم ، وعن مفسر الكتاب وشارح السنة ، فاعلم أن الهدف واحد وهو الذب عن حياض الاسلام ، وان اختلفت الاساليب وتنوعت الطرق — وقد أدى الجميع رسالتهم على أكمل وجه وأحسنه ، ولا زالت خطاهم على الدرب نورا وهداية لكل مدلج حائر ، وعونا وقوة لكل ذى بصر وعزم ، ولئن لم يرتبط حديث بقديم لا يثبت ولا يتطور ، ولا يقوى ساعده ولا يشتد ، وما وجد شىء نشازا وصدفة ، وانما هى مراحل يسلم سابقها **للاحقها ما علم ، فيضع** لبنة فوق لبنات حتى يستوى البناء شامخا ، وبناء اساليب العلوم التى تتخذ وسائل دفاع عن الحقائق لا يمكن أن يجىء اليوم الذى يقال فيه انه انتهى الى حد ، فلكل صباح اشراقة قد تتماثل مع سابقتها مظهرا فهو تماثل لبادى الرأى ، ولكنه مع الغائص على طلاسم الكون معلم جديد يرشد الى خبىء يجب أن يكشف عنه النقاب ، ويزاح عن ابداعه التراب ، ويعرض للناس اختراعا وفكرا ، وفنا وعلما ، ومن سار على الدرب وصل .

٣ — بعد أن فتح الله على المسلمين الدنيا ، وظهرت لهم الوان جديدة من الحياة ، غيرت اساليب معيشتهم ، وكادوا أن يقعوا فى شراكها ، وأن تحتويهم حبائلها ، ولكن الحراس كانوا يقظة فدخلوا الى مجالس الخلفاء وذكروهم بالله ، وسمع لهم أولوا الأمر فلم يوصدوا دونهم الباب ، وطالما بكى العالم واستبكى الخليفة واعوانه ، وكان ذلك فى صدق قوله ، وسلامة قلبه ، ولجوئه الى ربه وعزوفه عن دنيا الناس ، وترامى الى سمع المسئول عن الرعية « اتق الله » وتقبلها بقبول حسن وشجع المبلغ وأيده ، فسارت الأمور كلها على منوال كريم وسلوك مستقيم ، وانتشرت جيوش الحق الى كل صقع وبقعة ، واتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، ودخل الناس فى دين الله افواجا .

ولما كانت أزمة القلوب بيد الله ، وكان من سنته فى خلقه أن تضعف الهمم مع الترف ، وتتلاشى العزائم مع الركون الى الراحة ، وتتصارع الشهوات مع المثل الدافعة الى الخير ، وكان منها أيضا أن يعتور الهرم كل شىء ويلم بكل كائن ، وما الدول عن ذلك ببعيد ، هرمت الدولة وكادت أن تذهب أدراج الرياح ، ومع هذا ظل للاسلام دعاته وحملة رسالته فى أشد العصور ظلاما ، تحملوا وطأة العذاب وفى سبيل عقيدتهم استعذبوه ، وكلما هلك منهم سيد داع الى الله قام خلفه يحملون رسالته ، ولله رجال ما صدهم عن عقيدتهم صاد ، ولا استطاع الحديد والنار أن يضعف من قوتهم ، ولا أن

يخضد شوكتهم ، على مر الليالى وكر الأيام ، وحاولوا ونجحوا فى انشاء جماعات مترابطة تؤمن بالله فتنشأ دور العلوم الاسلامية ، وتبنى الجماعات المؤمنة ، وقام فى كل قطر اسلامى من يحمل راية الاسلام ، ومن يجرد قلمه ويضع معارفه فى خدمة دين الله ، وان اختلفت الأساليب وتنوعت المسالك .

٤ ــ ولنترك العصور التى مضت كما مضت ، فقد كان لها رجالها وحملة الدعوة فيها الذين من آثارهم ما تركوه مسطورا فى تراثهم ، وما نشاهده من أزهر وزيتونه ، ودار علوم فى القارة الهندية ، وكلية أصول الدين فى ايران ، وأفذاذ فى العلم والمعرفة فى العراق والشام ، ودعاة للحق فى القارة السوداء ، ولنيمم وجوهنا شطر حاضرنا فماذا نرى ؟ !

يحاول بعض الدارسين الذين يوصفون بالسطحية فى تفكيرهم ، والتعمق فى تبعيتهم لأذناب يهوذا أن يقللوا من قيمة جهود الدعاة فى عصرنا ، ويتهموهم بالجمود تارة ، وبالضعف أخرى ، وبالقصور تارات ، ولا أدرى لماذا ؟ ألينافسوهم فى ميدان ليس لهم بتافه من العقول وضحالة فى الفكر ، قد يكون هذا ، وقد يكون لقصر باع وضيق عطن ، أو تحصيلا لما يعيبونه على غيرهم ظنا منهم أن كل الناس نعام ، وأن كل من عداهم طغام ، وانى أقول لأولئك وأمثالهم ان الاسلام ليس ملكا لأحد ، وتبعته لا تختص بها طائفة دون أخرى ، ومع هذا فأرى أن كثيرا قد أدوا واجبهم ولا يزالون يؤدونه ، ولأضرب مثلا بما يجرى فى تلك الدولة التى نعيش على أرضها ولنتدارس ما يجرى فيها ، ولنعط كل عامل حقه ولا نبخس الناس أشياءهم فقد فتحت ثروة البلد عيون الدنيا عليها ووفد كل طالب للثراء السريع اليها ، وحملت اليها العادات الغريبة والتقاليد التى لا عهد لها بها ، ورأى المقيمون من وطنيين ووافدين صراع الأفكار والعقائد ، ومحاولة تقليص نور الاسلام ليخلو الجو للعابثين بالمقدسات ، وليسطوا على خيرات البلد فى هدوء من طريق مشروع أو غير مشروع ، وهذا موقف عصيب ولا شك يحتاج الى سياسة حازمة وحكيمة ولكن بالطرق السلمية الهادئة ، وقيض الله لها من أبنائها من هيأ لهم القبض على زمام الأمور فى وعى وادراك وعمق فهم وحسن تأت للأمور ، فقامت للعبادة دور سامقة شاهقة واستقدم لها خيرة العلماء من بلاد المسلمين ، وحفلت بالدروس يؤديها دعاة فاقهون للدين ، مدربون على الدعوة اليه ، مخلصون لله ، درسوا القديم ومزجوه بالجديد ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولا يقف أمر دون الكمال اذا قام عليه وتولاه من يحسن التأتى له مع دربة ودراية ، ونشأت فى وزارة الأوقاف ادارات لها أجهزتها القوية ، وظهر أثرها فى اعداد محكم لوسائل الدعاية للاسلام والتصدى الحازم لكل مارق من حملة مكروبات الالحاد والزيغ ، وصدرت مجلة (الوعى الاسلامى) وتقدمت وشقت طريقها بكل ثبات وصارت مجلة العالم الاسلامى الأولى كما تشهد بذلك تقارير وأنباء ، ووجد قراء العربية فى أيديهم كتيبات تحمل الترياق لسم الالحاد ، وستكون فى المستقبل القريب ملاحق مع الوعى بلغات المسلمين فى كل مكان ، واتخذ نشر التراث طريقا واضحا وسار بخطى ثابتة وارتضاه كل من اطلع على ماصدر منه من علماء العالم الاسلامى ، ورأوا فيما تسلكه الوزارة

منهجا واضحا يقاوم كل عوامل الهدم ويدفعها ويقضى على آثارها .

بقيت همسة نسرها فى أذن أولئك الذين لا يهمهم الاالحديث عن الخطباء ؟ خطباء المنابر ، ويحاولون النيل بمختلف الهمزات والغمزات من قدرتهم وكفاءتهم ، والواقع أن هذه الفئة فى الكويت وفى طليعتهم علماء الأزهر الشريف المخلصون لدينهم تقوم بأفضل دعاية للأسلام الحنيف ، وجهاز الدعوة والمساجد فى هذا البلد يعنى به ويشرف عليه كبار رجال الوزارة الذين ثقفوا العلوم العالية فى الاسلام واللغة لغة العرب ، ويبذلون كل جهد فى سبيل الوصول الى أعلى المستويات ، وعلى هؤلاء النافرين الغامزين مهما حملوا من ألقاب وزاولوا من تعليم أو تجهيل — أن يوضحوا — أهدافهم حين يقولون ان من العلماء من يجامل على حساب دينه ، وحين يصيح أحدهم ان الوعاظ مقصرون ، وحين يريد أن يشير الى أن بعض الداعين الى الله مرتزقة — ولنكن صرحاء — مع هؤلاء ان كانوا بعيدين عن الديار ووافدين اليها ، ماذا يريدون من صيحاتهم . ان كانوا يريدون الاصلاح . فالطريق أمامهم مفتوحة ، فليدلوا بدلوهم وليقدموا ما عندهم .

ان أهل البلد يعلمون لانهم عقلاء ، وليست هذه مجاملة ، وانما هى نتيجة خبرة طويلة ، يعلمون أن العلماء الذين عندهم هم أمثل الناس وأحق الناس بالرعاية ، ولهذا أكرموهم بما لم يحلم به أولئك الحاسدون ، وان هدأوا وحافظوا على الصلات الطيبة فنحن معهم وان لا فلنا جولة سوف لا نغلب فيها حفاظا على تقاليد بلد عشنا فيه زمانا طويلا وحفظنا وحفظناه وأكرمنا ، ونحن نسأل الله أن يعيننا على رد جميله كما يرضيه سبحانه .

وأخيرا : أسمع فى كل اذاعة ومن كل قطر اسلامى دعاة مفوهين وعلماء فاقهين ومحدثين مبدعين ، ويشهد بذلك العالم كله ، ولجهودهم آثار واضحة فى مقاومة الانحراف والهداية .

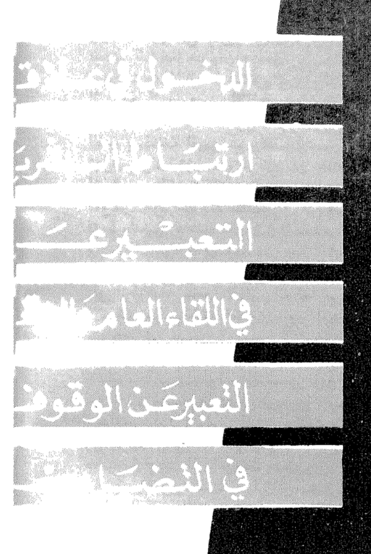
ثم ماذا — ثم هاهى وزارة التربية فى الكويت تنشىء ادارة دينية وتفتيشا للدين خاصا وتزوده برجال لا يرقى الشك الى اخلاصهم لربهم وعملهم ، وما أمر الجامعة عنا ببعيد ففيها تدرس ثقافة اسلامية وعقيدة اسلامية ولديها أساتذة فى الشريعة ، لايألون جهدا فى التوجيه الى الخير والهداية.

وفى الكويت جماعات لها وزنها الدينى ولها عملها المنتج وعلى قمتها فى الحكم رجال يعرفون واجباتهم نحو الله ، وفى أعيانها أعيان الاسلام ولولا ذلك لجرف التيار كل شىء وأتى على كل شىء .

وفى مصر ماذا فعل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فكم وزع من كتب وأرسل من بعوث وأنشأ محطة القرآن ، وسجل القرآن وفى السعودية مثل ذلك ، وفى العراق والشام ، ولولا هذا الدفاع القوى المنظم الآن لوجدت الاسلام ذكرى أيها المتجنى المقنع بالعفة والحرص على الاسلام .

ان اللسان العربى هو أقدر الالسنة على تبليغ رسالة الاسلام ومن وراء هذا اللسان قلب مؤمن وادراك واع وفهم صحيح ، وبذل وتضحية ، فعلى المتجنين على الدعاة أن يتقوا الله فى دينهم وكتابهم وأخيرا وليس آخرا أذكر هؤلاء بأن الهدم أسرع من البناء وان كل انسان قادر على الهدم ، وليس كل انسان قادرا على البناء .





في مجال الجماعة الكبرى

انية خالصة : شعيرة الاحرام

هابعض : شعيرة الطواف

ابرة والصبر : شعيرة السعي

وحده : شعيرة الوقوف بعرفات

رار في وجه الباطل : شعيرة رمي الجمار

خاء : شعيرة النحر

للدكتور : محمد البهي

اذا كانت صلاة الجماعة لها دورها فى الترابط فى الحياة اليومية للمؤمنين فى نطاق السكان فيما يحيط بالمسجد ، واذا كانت صلاة الجمعة لها دورها كذلك فى الترابط وتقوية الشعور بالاخاء بين المؤمنين فى دائرة أوسع وعلى فترة تتجاوز اليوم الى الأسبوع .. فان حج بيت الله الحرام هو العبادة السنوية التى تجمع بين المسلمين ممن يستطيعون أداءه فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى صفاء نفسى وفى مساواة تامة لا يتميز فيها غنى عن فقير ، ولا صاحب جاه عن عديم الجاه .

١ ــ الدخول فى علاقة انسانية خالصة :

ووظيفة العبادة فى الاسلام اذا كان من شأنها أن تخلق فى نفوس المؤمنين بالله روح « المساواة فى الاعتبار البشرى » وروح « المساواة أيضا أمام الله » فان الحج بوجه خاص يؤكد هذه المساواة منذ اللحظة الأولى فى مباشرة أدائه . فالاحرام ــ وهو أول شعيرة من شعائره ــ اعلان من المحرم أمام الله

وأمام نفسه بتحريم كل ما يحول دون المساواة فى الاعتبار البشرى ، أو يحول دون اخلاص النفس لله وحده ، وصفائها فى العلاقات بين المؤمنين .

فالمحرم باحرامه يعلن تحريم لبس المخيط على نفســـه ، كما يعلن العودة الى « البساطة » فى الثياب ، وترك الزينة عن طريق شـــعر الرأس أو طيب البدن والثياب . لأن المخيط من الثياب قد يختلف ويتنوع فى مظهره . وعن طريق اختلافه وتنوعه فى المظهر يخرج الأمر بين الحجاج قليلا أو كثيرا عن مســـتوى المساواة المطلوب فيما بينهم . وبذلك يتميز بعضـــهم عن بعض فى الصـــورة المحسوسة . ولأن ايضا تزيين الشعر بقصه أو تسويته ، ووضع الطيب على الملابس والبدن من شـــأن أى منهما كذلك ان يحدث أثرا مميزا بين الحجاج فى المظهر ، مما يقلل من تأكيد « المساواة » ، التى تستهدفها هذه العبادة فى لقاء المسلمين فى يومهم العظيم . فهى تستهدف « التجرد » عند اداء شعائرها مما يترك أثرا فى النفوس : من أن هذا غنى أو صـــاحب جاه ، وذاك فقير أو عديم الجاه .

وعن هذا « التجرد » فى الاحرام لا تشتغل نفوس الحجاج بشىء سوى الله ، وســـوى ما بينهم من علاقات الأخوة فى الايمان بالله ، ومما يتطلبه هذا الايمان فى سبيل بقائهم وقوتهم .

وفى الوقت الذى يعلن فيه المحرم تجرده من المخيط والزينة يعلن فيه أيضا بعده عن كل ما يربطه بمتع الدنيا ، وعما يسيىء الى الآخرين معه .. يعلن بعده عن المرأة ، وبعده عن كل ما يؤدى الى الانحراف والخروج عن الصراط السوى ، وبعده عن لغو القول وفضوله ، والخصومة واللجاجة فى المناقشة . وفى الوقت نفسه يحزم أمره على أن يكون ســـلوكه ، كموقفه ، هو ســـلوك الخير المهذب وموقف الممتثل الى الله ولهدايته . وفى هذا تقول الآية الكريمة :

« الحج أشهر معلومات ،

« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج ،

« وما تفعلوا من خير يعلـــمه الله ، وتزودوا فان خـــير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى « الألباب » (١) .

ومع ذلك فليس من المحظور على « المحرم » أن يباشر السعى لتحصـــيل الرزق أثناء أدائه عبادة الحج . لأن ســـعيه لذلك لا يجعل منه ماديا منحرفا ، ولا ينزل به الى مجال يناقض هدف احرامه فى مباشرة هـــذه العبادة : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » (٢) . والسعى من أجل الرزق لا يخل بعبادة الحج ، كما لم يخل بأداء الجمعة الانتشار فى الأرض بعد أدائها لا بتغاء فضل الله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٣) .

وهـــذا وذاك يدلان على أن العبادة لله وحـــده وان كانت هى الغاية من خلقه ، فيما تذكره الآية الكريمة : « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون » (٤) .. فالعمل من أجل الرزق والسعى ابتغاء وجه الله لا يخرج عن غاية الانسان من خلقه ، وهى العبادة . فالانسان فى عبادته يتجه الى الله ، وهو فى ســـعيه ابتغاء فضل الله يتجه اليه كذلك .. هو طالب عونه جل شـــأنه : ان فى أداء الصلاة ، وان فى أداء السعى من أجل الرزق .. وهو مقر بربوبيته فى مباشرة شعائر الحج وفى ابتغاء فضل الله .. وهو ان سعى وتقوت من رزق الله فلكى

ينهض بأداء العبادة لله ، وان نهض بأداء العبادة لله فلكى يستعين به على الهداية الى الصراط المستقيم ، ومن الصراط المستقيم تجنب ارتكاب المنكرات من قتل وسرقة واستباحة أكل مال اليتيم والضعيف بالباطل فى سبيل القوت والمعيشة ، والاتجاه الى الله والتوكل عليه وحده فى سعيه الخاص وعمله لتحصيل رزق الله .

٢ ـ ارتباط البشرية بعضها ببعض :

واذا كانت شعيرة « الاحرام » ـ أولى شعائر الحج فى أداء عبادته ـ تستهدف « المساواة » بين حجاج بيت الله والترابط بين المؤمنين بالله على أساس من الصفاء النفسى وعدم الاحساس بفروق التميز فى الاعتبار البشرى .. فان شعيرة أخرى من شعائره ، وهى شعيرة الطواف بالكعبة تعيد الى الترابط بين البشرية كلها فى أجيالها العديدة منذ ابراهيم الى محمد عليهما الصلاة والسلام ، قوته واعتباره . كما أن تقبيل الحجر الأسود داخل الكعبة يجسد المحبة لله .

فقد كانت الكعبة أول بيت وضع للناس على عهد ابراهيم ، وكان الطواف حولها شعيرة مستمرة من شعائر الحج الى هذا البيت الحرام . واستمرار الطواف كشعيرة للحج ينبىء عما تتوخاه هذه الشعيرة من الاسهام فى تذكير المؤمنين بالله من الصلة القوية التى تربط أجيالهم . وهى صلة الايمان بالله فى مواجهة الالحاد على الأخص . وهذه صلة تاريخية تضيفها عبادة الحج الى صلة الترابط بين المؤمنين بالله عن طريق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأداء العبادة ذاتها . يقص القرآن ما وجه الى الرسول فى قول الله تعالى :

« انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء ، وأمرت أن أكون من المسلمين .

« وأن أتلوا القرآن ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل انما انا من المنذرين » (٥) .

وما أمر به رسوله الكريم هنا هو ما استجاب الله اليه من ابراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ عندما دعاه بقوله :

« واذ قال ابراهيم ، رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام .

« رب ! : انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم .

« ربنا انى أسكنت من ذريتى (زوجه هاجر ، وولده اسماعيل) بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (٦) .

...فقد دعا ابراهيم ربه :

أ ـ فى أن يمكنه من أن تكون عبادته لله وحده ، ويجنبه بذلك الشرك ، وعبادة الأصنام ، والوقوع تحت تأثير الوثنية المادية : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس » . وذلك لصالح البشرية واخراجها من الضلال .

ب ـ وأن يجعل هذا البلد ـ وهو مكة ـ بلدا آمنا : « رب ! اجعل هذا البلد آمنا » ليكون مثابة للناس وأمنا .

جـ ــ وان يجعل منه مكانا يتجه اليه الناس بعبادة الحج حتى يكون مكانا صالحا للسكنى ، وبذلك تستمر فيه عبادة الله وحده فى البيت العتيق ، أول بيت وضع لله تعالى : « ربنا : انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . فحجاج بيت الله الحرام تهوى أفئدتهم اليه فيؤمونه يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا .

.. ثم يتجه القرآن الى المؤمنين لاقرار فريضة الحج على من استطاع اليه فيما يقوله الله جل شأنه :

« قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات ، مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا .

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » (٧) .

.. فوق أن الكعبة أول بيت لله وضع للناس منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وأن الحج اليه فريضة على من استطاع اليه سبيلا .. فان من يدخله له حق الامان وحق الحماية على الله سبحانه وتعالى .

وبذلك ــ كما يعطى الطواف حول الكعبة معنى الترابط التاريخى للبشرية فى ايمانها واستقامتها ــ يعطى الاحساس بالامان من الخوف والتتبع فى رحاب الله وبيته العتيق . فالكعبة تجسم هذا الاحساس بالامان كما تجسم الذكرى التاريخية للبشرية : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما (أى سندا) للناس » (٨) . « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » (٩) .

٣ ــ التعبير عن المثابرة والصبر :

وشعيرة ثالثة من شعائر الحج قصد بها كذلك توكيد الروابط بين المؤمنين ، ولكن من جهة التعبير عن مثابرتهم وصبرهم ، وعن خفة حركتهم وسرعتها فى الاستجابة الى ما يطلبه الايمان بالله منهم من معاونة ومؤازرة فى وقت الشدة ، أو من دفع اعتداء عدو عليهم وقت عدوانه . وهى شعيرة السعى بين الصفا والمروة . فتحديد المطلوب فى السعى فى الطريق الواقع بين هذين الجبلين : الصفا ، والمروة ، بأنه سعى ينم عن النشاط وخفة الحركة وابعاد البطء والتراخى فيه وأنه سعى متكرر .. ليرشد المؤمنين فى أداء عبادة الحج الى أن بعض ضرورات الحياة قد تتطلب من المؤمنين زيادة المثابرة والصبر ، والمبادرة وسرعة الاستجابة ؟ على نمط ما يلاحظ فى أداء شعيرة السعى بين الصفا والمروة ، وتكون سرعة الاستجابة عند ئذ عبادة وقربى الى الله كذلك ، وكذلك المثابرة والصبر على تكرار السعى وزيادة مراته .

وفيما تطلبه الآية فى أداء هذه الشعيرة ، فى قول الله تعالى :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (١٠) .. من المتطوع ، بالزيادة فى أداء شعيرة السعى ، وفيما تعتبره من أن الزيادة فى أدائها خير ، هو لتقرير هذا النموذج وفى سرعة الحركة فى نفوس حجاج بيت الله ، فى الصبر عند الاستجابة لما يطلبه الله سبحانه من المؤمنين به .

٤ ــ فى اللقاء العام والاتجاه الى الله وحده :

وهكذا اذا انتقلنا من هذه الشعائر الثلاث التى تستهدف « روح الجماعة الكبرى » فى أداء عبادة الحج الى الشعيرة الرئيسية فيه ، وهى : الوقوف بعرفات وجدنا : أن طريق اداء هذه الشعيرة من « تجمع »جميع حجاج بيت الله فى يوم معين هو يوم التاسع من ذى الحجة ، وعلى قمة جبل معين هو عرفات ، وتوجههم الى الله سبحانه فى دعاء واحد : « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. وجدنا أن هذه الصورة فى اداء هذه الشعيرة تزكى روح الجماعة الكبرى ازكاء ماديا ومعنويا : تتلاصق اجسامهم الغفيرة فى صعيد واحد ، وترتفع أصواتهم من على قمة جبل واحد ، تردد دعاء واحدا وتضرعا واحدا الى الله المعبود الواحد . تملأ الكثرة العددية نفوسهم فخرا بقوتهم ، وتتجاوب فيها قوية اصداء الايمان بالمعبود الذى وعد المؤمنين به وحده بالنصر والظفر على الاعداء الأول للاسلام أصحاب الشرك والمادية الالحادية ، وطهر منهم بيت الله العتيق الى الأبد . ينسون الدنيا ومتعها ، وينسون وجودهم الشخصى ، ولا يذكرون الا الله الواحد .

والذهاب الى « منى » والمبيت بها ليلة التاسع من ذى الحجة ، تمهيدا للوقوف بعرفات ، قيل : انه لتذكر التقاء آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة . والوقوف بجبل الرحمة ــ كما يسمى ــ لا يقوى فحسب الشعور بالقوة والعزة والترابط بين المؤمنين برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يذكرهم فقط بالمؤمنين السابقين منذ ابراهيم عليه السلام وبرسالته فى محاربة الشرك والوثنية المادية . وانما يذكرهم كذلك بالتقاء آدم وحواء ، بعد خروجهما من الجنة .. يذكرهم اذن بأب البشرية ، كما يذكرهم بأولى الرسالات السماوية ، بجانب تعزيز روابط الأخوة الايمانية بينهم .

وهكذا : شعائر الحج اذا ارتبطت بأمكنة معينة فلأن هذه الأمكنة المعينة تجدد ذكريات خاصة من شأنها أن تطهر النفوس وتزكيها ، وتقوى الصلات بين بعضها بعضا . والأمكنة اذن لا تقصد لذاتها ، بقدر ما يتصل بها من ذكريات . فهى رموز ، أو تعبير ، أو تجسيد لهذه الذكريات . وهى لا تتقدس لأنها أمكنة . وانما يقدس ما توحيه من ذكريات خالدة للانسانية كلها .

٥ ــ التعبير عن الوقوف فى اصرار فى وجه الباطل :

وشعيرة رمى الجمار نيط بها الوقوف فى ايمان وثبات فى وجه الباطل . والجمار ثلاث فى الطريق من منى الى مكة . وأولاها جمرة العقبة ترمى فى يوم النحر . ولاشك أن يكون للعزم الأكيد الناشىء عن الوقوف بعرفات وأداء شعيرته أثره فى الثبات على الحق ومؤازرته ومناوأة الباطل ومطاردته . ومن هنا كان رمى الجمار تعبيرا محسوسا وواضحا عن مطاردة الباطل والاصرار على الوقوف فى وجهه . فتكرار الرمى ، وعلى أيام متفرقة ، يعطى التعبير عن مدى مناوأة الشر والباطل مناوأة أكيدة ، لا هوادة فيها .

وكان الحاج برميه الجمار الثلاث يعطى العهد على عدم تراخيه فيما بعد فى انكار المنكر ، وفى دفع الباطل ، وفى الوقوف بجانب الحق . فهو الآن

شهد من شعائر الحج ومناسكه ما جعله يحمل « روح الجماعة الكبرى » .. روح الجماعة المؤمنة منذ ابراهيم الى محمد عليهما السلام وهي تلك الروح التى تساند الحق وحده ، وتعبد الله وحده ، وتدفع فى عنف وثنية المادية الالحادية والشرك بالله تعالى ، باعتبار انه مصدر اضلال كثير من الناس : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس » .

والأصنام من الأحجار ان دل اتخاذها وعبادتها على الجهل لمن يعبدها ، فان الأصنام من الناس يدل تقديسها على المهانة والمذلة لمن يقدسها . وما ينشأ عن الجهل ضلال . وما ينشأ عن المهانة والمذلة ضلال أنكى ، وهو ضلال الضعف والنفاق والاحساس بالصغار والحقارة .

٦ ـ فى التضامن والاخاء :

وعن روح الجماعة الكبرى التى يحملها كل حاج ـ أو يجب أن يحملها ـ يقوى فى نفس الحاج باعث التضحية فى سبيل الاخاء والتضامن . ومن هنا كان « نحر الهدى » عقب رمى الجمار ، واشراك الفقراء فى طعام ما ينحر تعبيرا واقعيا عن « الاخاء » و « التضامن » بين المؤمنين .

والهدى أو الأضحية أو النحر فى التعبير المادى عن الاخاء والتضامن ، تشير من جانب آخر الى أن ختام شعائر الحج يحمل من معناه الشىء الكثير ، تلك العبادة التى تسعى الى تحقيق المساواة فى الاعتبار البشرى .

ولذا يبرز القرآن الكريم هذه الشعيرة ـ وهى شعيرة النحر ـ كهدف قوى من أهداف الحج يماثل هدفه العام فى جملته من المنافع المادية والمعنوية . اذ تذكر الآية :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ،

« ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (١١) .

... وذكر الله على مارزق من بهيمة الانعام كناية عن النحر والذبح . وجعل مقصود ما يذبح وينحر هو « المشاركة » فى الطعام منها مع أصحاب الحاجة « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » . فاذا لم تقع المشاركة فى الطعام منها من جانب صاحب الهدى وتركها جميعها للبائس والفقير فان هذه الشعيرة لم تؤد حينئذ غايتها الكاملة .

كذلك اذا لم ينحر ويذبح ودفع ثمن ما يذبح وينحر نقدا لأصحاب الحاجة فان « واجب » الهدى ـ اذا وجب بارتكاب ما يخالف بعض الشعائر أو بالتمتع بالعمرة الى الحج مثلا ـ أو التبرع به جريا على السنة الشريفة ، لا يؤدى كما يقضى الواجب أو كما جرت به السنة .

ان شعائر الحج جميعها تكاد تكون تجسيدا لمعان تكون الهدف الأصيل من أداء عبادته .

أ ـ فشعيرة الاحرام والتجرد من لبس المخيط تجسد المساواة فى الاعتبار البشرى ،

ب ـ والطواف بالكعبة يجسد الترابط بين المؤمنين بالله طولا وعرضا ، أو فى حاضرهم وماضيهم ،

جـ ـ وتقبيل الحجر الأسود يجسد حب الله والولاء له ،
د ـ والسعى بين الصفا والمروة يجسد المثابرة والصبر فى الحياة ، والسرعة فى الاستجابة الى حاجة الآخرين ،
هـ ـ والوقوف بعرفات يجسد الاعتزاز بالقوة المادية للمؤمنين وبقوتهم المعنوية فى صلتهم بالله ،
و ـ ورمى الجمار الثلاث يجسد الاصرار فى دفع الباطل وانكار المنكر ،
ز ـ والنحر أو الهدى يجسد التضامن والاخاء .
وروح الجماعة الكبرى المستهدفة اذن من أداء عبادة الحج هى مجموع هذه « المثل » أو المعانى التى هى :

* المساواة فى الاعتبار البشرى ،
* والترابط بين المؤمنين فى حاضرهم وماضيهم ،
* والاخلاص لله وحده ومحبته ،
* والصبر والمثابرة والسرعة فى الاستجابة الى أصحاب الحاجة من الآخرين ،
* والحرص على القوة المادية والمعنوية ،
* والاصرار على مناوأة الباطل الممثل بالأخص فى الوثنية المادية الالحادية ،
* والتضامن والاخاء بين الغنى والفقير وصاحب الجاه ومن لا جاه له .

واذا كانت شعائر الحج هى رموزا أو تعبيرات حسية عن معان مستهدفة تتكون منها الروح العامة للمؤمنين ولجماعتهم ، فانه من غير المقبول أن تؤدى شعيرة منها فى غير الرمز والتعبير الذى وردت فيه . أو على الاقل لا يبلغ عند ئذ تعظيم الشعيرة المستوى المطلوب على نحو مايوصى القرآن الكريم فى قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

وفيما تنتهى به هذه الآية من قول الله تعالى : « ... وأحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم (أى الا ما يتلى عليكم تحريمه فى كتاب الله) ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله ، غير مشركين به » (١٢) ... قصد منه تحذير : أن ينقل تعظيم هذه الشعائر الحسية لما فيها من معان مستهدفة الى صورها المادية فتقدس كأمكنة محسوسة ترى وتشاهد ، وليس كتعبيرات ورموز عن معان مطلوبة .

فاذا نقل التعظيم على هذا النحو صار الامر الى رجس الاوثان ، الذى نهت عنه الآية : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » لأنها تصبح عندئذ أوثانا مادية ، وصار الى قول الزور المنهى عنه كذلك : « واجتنبوا قول الزور » لأنه ينسب الى الله الآن الامر بتعظيم ما لا يعظم فى قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله » فهو يدعو جل جلاله الى تعظيم المعنى المستهدف وليس الى الصورة الحسية التى يظهر فيها ، وكان الذين يفعلون هذا النقل والتحويل آنئذ من المشركين بالله ، على النقيض مما يطلبه الله فى قوله : « حنفاء لله غير مشركين به » .

واذا ضمت عبادة الحج هذه الشعائر العديدة فان الثمرة المرجوة منها هى البقاء على ذكر الله وحده ، بحيث يكون ذكره فى السلوك والافعال والمواقف ، وفى التفكير والتصور كذكر الآباء أو أشد ذكرا . ولذا يربط القرآن هذه النتيجة بالانتهاء من أداء مناسك الحج فى قوله : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله

كذكركم آباءكم ، أو اشد ذكرا » (١٣) . والتشبيه بالآباء لأن أمرهم لا ينسى من أبنائهم ، اذ ينتسبون اليهم ويحملون أسماءهم فى تمييز أشخاصهم .

وينص القرآن الكريم على طلب هذه النتيجة لأن الطبيعة البشرية — مهما تمرست على أداء العبادة لله — قد تنجذب الى اغراء المتع الدنيوية . وعندئذ قد تنسى الله سبحانه وتعالى فلا تذكره ، ولا تذكر هدايته ، ولا صراطه المستقيم فى سيرها فى الحياة ، حتى بعد أن أدى صاحب الطبيعة التى استهواها فيما بعد بريق الحياة المادية ، عبادة الحج ، وبعد أن شارك فى شعائرها وحرماتها . وعندئذ لا يعفيه اداء الحج مما سيلحقه من جزاء مقرر . وهنا تستطرد الآية السابقة فتقول :

« .. فمن الناس من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا ، وما له فى الآخرة من خلاق (أى من نصيب) .

ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » .

فالقرآن هنا ان ربط الجزاء بنوعية العمل الذى يؤدى من الانسان وبالاتجاه الذى يسير فيه طوال حياته ويحول أن يشفع عمل صالح لعمل سىء ، فانه لا يرى « الدنيا » شرا ولا مباشرة ما فيها من متع أمرا سيئا .

والسىء فى رأيه هو الاكتفاء بالدنيا عن الآخرة .. هو الوقوف بالسعى عند تحصيل متع الدنيا ، ولو كان طريق تحصيلها يسبب ايذاء وأضرارا للآخرين . وهذا هو ما يتصوره الفريق الأول من الناس الذى تصف الآية اتجاهه فيما تقوله : « فمن الناس من يقول : ربنا : آتنا فى الدنيا ! ، وما له فى الآخرة من خلاق (أى من نصيب) » . فان هذا الفريق يقصر أمله على ما فى الدنيا وحده . والتعبير بـ « آتنا فى الدنيا » دون ذكر نصيب مما فيها يجعل المطلوب كله دنيويا .

أما الفريق الآخر الذى يطلب فى هدفه وفيما يحصله بسعيه نصيبا من الدنيا ، ونصيبا آخر من الآخرة ، كما تذكره الآية : « ومن الناس من يقول : ربنا ! : آتنا فى الدنيا حسنة (أى نصيبا حسنا لا شبهة فيه من حرام أو باطل) وفى الآخرة حسنة (أى نصيبا مقبولا عند الله خالصا لوجهه) وقنا عذاب النار (هو تأكيد لما يطلبه من حسن النصيب الدنيوى والأخروى) أولئك لهم مما كسبوا (أى مما أتوا به وحصلوه بسعيهم وارادتهم سواء فى الدنيا أو من أجل الآخرة) والله سريع الحساب (للمثيب والمسيىء على السواء) « .. أما هذا الفريق الآخر الذى يطلب الدنيا والآخرة معا ، ويعمل من أجلهما سويا بحيث لا ينطوى عمله على اساءة ما فهو مجزى على حسن عمله بالحسنى : ان فى اليوم أو فى غد .

وما قد يشاع بين العامة اذن من أن الحج فى أدائه يمحو كل سىء فى حياة الانسان : ما سبق وما سيأتى ، فهو لا يتفق مع ربط الجزاء بنوعية العمل فى صلاحه وفى اساءته . هذا الربط الذى يمثل ارادة الله سبحانه وتعالى ، كقانون لا يتخلف فى حياة الانسان على مداها .

وما قد يفهم خطأ كذلك : من أن الدنيا شر يجب تجنبه ، فهو يخالف منطوق

الآية السابقة مخالفة صريحة . والعبرة دائما بنوع السعى للانســـان ، وبنوع اتجاهه فى الحياة .

والعمل فى الدنيا من أجل الآخرة لا ينفصل عن العمل من أجر تحصيل بعض متع الــدنيا . عمل الآخـــرة فى الدنيا هـــو فى بعد العمل من أجل الدنيا عن الاساءة . . هو فى رعاية « الحسنى » والتصديق بها فيما يعمله فى دنياه .

والعمل لذات الدنيا هو الاستهانة « بالحسنى » فى أدائه . . هو التكذيب بها كمبدأ فى السلوك والعمل .

وآية العمل الأول هو التقوى والعطاء من المال . وآية الثانى هو البخل والاستغناء بالمال والاعتزاز به وحده :

« والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . ان سعيكم لشتى :

« ــ فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى (أى نجعل طريقه سهلا ميسورا)

« ــ وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى .

« ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى . » (١٤) .

وننادى بما نادى به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة على جبل « الصفا » :

« لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ولله الحمد ، وهو على كل شىء قدير .

« لا اله الا اللـــه وحده ، أنجـــز وعده ، ونصر عبده ، وهـــزم الأحزاب وحده » .

ويجب أن ينادى به المســـلمون عن ايمان ليشـــهدوا نصر اللـــه لهم على أعدائهم ، ويروا وعده حقيقة منجزة فى حياتهم بالحسنى ، فى الدنيا والآخرة .

---

(١) البقرة ١٩٧ .
(٢) البقرة ١٩٨ .
(٣) الجمعه ١٠ .
(٤) الذاريات ٥٦ .
(٥) النمل ٩١ ، ٩٢ .
(٦) ابراهيم ٣٥ : ٣٧ .
(٧) آل عمران ٩٥ ــ ٩٧ .
(٨) المائدة ٩٧ .
(٩) البقرة ١٢٥ .
(١٠) البقرة ١٥٨ .
(١١) الحج ٢٧ ، ٢٨ .
(١٢) الحج ٣٠ ، ٣١ .
(١٣) البقرة ٢٠٠ .
(١٤) سورة الليل ١ ــ ١٣ .

من آيات الوجود

للشاعر: الربيع الغزالي

أَرَأيتَ آياتِ الوُجُودِ عِيانَا ... أَرَأَيْتَ بُرهانًا يَلِي بُرْهَانا
أَرَأَيْتَ آفاقَ الفضاءِ بَعيدةً ... أَعْيَتْ أَساطِينَ العُلومِ رهانا
تَمْضِي رِيَادَاتُ الفَضَاء لِغَايَةٍ ... فِيهَا فَلاَ تَسْطِيعُها إمكَانَا
إنْ أدْركَتْ قمراً وَنَالَت زُهْرَةً ... نَطَقَتْ بِآيَةِ رَبِّهَا إيْمَانا
وكأنما قَدْ سَبَّحَتْ بِجَلاَلهِ ... سُبْحَانَهُ سُبْحَانَه سُبْحَانَا
هذا الوُجُودُ شُمُوسُه ونُجُومُه ... يَسْبَحْنَ فى أفْلاَكِهِنَّ أَمَانَا
وَعلىَ كَوَاكِبِهِ الحْيَاةُ تَغَايَرَتْ ... وَتَشَابَهَتْ .. وَتَفرَّقَتْ ألْوَانا
وَكَوَاكِبُ تَجْرى الْحَيَاةُ بِهَاعَلَى ... نَسَقٍ تَفِيضُ حَيَاتُه عُمْرَانا
وَعَوَالِمٌ أَللهُ يعْلَمُ أَمرهَا ... وَعَوالِمُ الأَسرَارِ فَوقَ نُهَانَا
مَنْ صَانِعُ الْأَجْرَام فِي مَلَكُوتِه ... تَجْرِي عَلَى أفْلاَكِهَا دَوَرَانَا
وَكَأَنَّ سُرْعَتَهَا الخَيَالُ إذاجَرَى ... في وَمْضَةٍ بَلَغَ السَّمَاءَ عِنَانَا
وَعَلَى نِظَامٍ لَيْسَ يَدْرِى كُنْهَهُ ... عَقلٌ وَلَيْسَ يُحِيطُهُ اسْتِكْهَانَا
لاَ الحَصْرُ يَبْلُغُ عَدَّهَا بِمَرَاصِدٍ ... دَقَّتْ وَسَائِلُ عِلْمِها إتْقَانَا
كَلاّ وَلاَهُمْ بَالِغُون بِعِلْمِهِمْ ... مَاجَلَّ مِنْ أَسْرَارِها أَوهَانَا
تَمْضِي لِغَايَتِها فَلَيْسَ يَعُوقُها ... شَىْءٌ وَلَيْسَ يَسُومُهَا إذْعَانَا
لا تَلْتَقِى مَهْمَا ٱلتَقَتْ أفْلاكُها ... وَتَشَابَكَتْ وَتَعَدَّدَتْ أَفْنَانَا
تَمْضِي بِنَامُوسِ الوُجودِ لِغَايَةٍ ... مَرْصُودَةٍ حَتَّي تَرَى إيذَانَا
يَمْضِي الزَّمانُ عَلىَ تَقادُم عَهْدِهِ ... أَزَلاً إلى أَبَدٍ بِمَا قَدْ كَانَا

هَذَا ٱلنِظامُ مَن الذَّى قَدْ صاغَهُ ... وَأَقامَ مُحْكَمَهُ البَدِيعَ وَصَانَا ؟!

اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ ... سُبْحَانَه سُبْحَانَه سُبْحَانَا

مَاسِرُّ هَذَا كُلِّهُ مَا حِكْمَةُ ... دَقَّتْ عَلَى فَهْمِ الْوَرَى تِبْيَانَا ؟!

اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ ... سُبْحَانه سُبْحَانه سُبْحَانَا

سِرُّ الْحَيَاةِ ... مَنْ الَّذِي أَحيا بِهِ ... صُوَرَ الْحَيَاةِ تَخَالَفَتْ أَلْوَانَا ؟!

هَلْ يَسْتَطِيعُ الْعِلْمُ خَلْقَ قُلامَةٍ ... أَوأَن يُسَوِّيَ فِي الْيَدَيْنِ بَنَانَا !؟

وَالنَّفْسُ يَا لَلنفْسِ مَا أَسْرارُها ... وَالْعَقْلُ مَنْ أَعْلَى بِهِ الإِنْسَانَا

وَالْجِسْمُ صَوَّرَه سُلالَةَ طِينَةٍ ... تَجْرِي الْوارِثَةُ فِيهِ أَعْجَبَ شَانَا

قُلْ لِلأُولَى قَدْ أَنكَرُوا أَحْلامَهُمْ ... وَعُقُولَهُمْ : لاَتَبْتَغُوا بُرهَانَا

بُرْهَانُكُم : أَنْتُمْ يَضِلُّ ضَلاَلُكُمْ ... وَتَرَوْنَ مَابِعُيُونِكُمْ عُمْيَانَا

هَاتُوا مِنَ الْجَزَّارِ : بَعْضَ عِظَامِهِ ... أَوْ بَعْضَ لَحْمٍ .. وَاصْنَعُوا إِنْسَانَا

ثُمَّ اصْنَعُوا عَقْلاً لَهُ وَدَعُوهُ يَمْشِـــــــي بَيْنَكُمْ .. هَلْ يَسْتَوِي حَيَوانَا

يَا كَافِراً بِالله .. فَانْظُرْ .. هَلْ تَرَى ... مَنْ أَنْتَ مَاذَا فِي إِهَابِكَ كَانَا ؟!

جِئْتَ الْوُجُودَ .. أَجِئْتَهُ بِإِرَادَةٍ ... قَدْ شِئْتَهَا وَحَلَلْتَ فِيهِ مَكَانَا ؟!

وَحَيِيتَ .. هَلْ تَحْيَا بِأَمْرِكَ آنَةً ... وَشَبَبْتَ هَلْ تَنْمُو بِأَمْرِكَ آنَا ؟!

وَإِذَا قَضَيْتَ فَهَلْ بِأَمْرِكَ تَنْتَهِي ... مِنْكَ الْحَيَاةُ وَتَلْبَسُ الأَكْفَانَا ؟!

مَنْ ذا أَرَادَ لَكَ الْوُجُودَ أَأَنْتَ أَمْ ... أَبَوَاكَ قَدْ شَاءَاكَ سَاعَةَ كَانَا ؟!

قَدْ أَلْقَيَاكَ مَجَاجَةً مَمْجُوجَةً ... فَإِذَا الْمَجَاجَةُ سُوِّيَتْ إِنْسَانَا

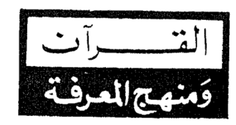
مَنْ ذَا أَرادَ أَأَنْتَ أَمْ رَحِمٌ بِهَا ... قَدْ كُنْتَ شَيْئاً يُشْبِهُ الدِّيدَانَا

يَادُودَةً فِي الْقَاعِ .. مَنْ قَدْ شَاءَهَا ... بَشَراً سَوِيّاً .. يَمْلأُ الأَكْوَانَا ؟

اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ ... خَلَقَ الْحَيَاةَ وَصَوَّرَ الأَبْدَانَا

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي قَدْ خَصَّنَا ... مِنْهُ بِنِعْمَةِ دِينِهِ وَهَدَانَا

وَأَنَارَ بِالْقُرْآنِ لَيْلَ حَيَاتِنَا ... لِنَرَى الْحَيَاةَ وَنُورَهَا : الْقُرْآنَا



الفطرة.. والكون

للأستاذ : البهي الخولي

قد يقول بعضهم فى انكار أو عتب : ما بال القرآن يقحم فى مباحث الفلسفة ، والعلم ، والفكر ؟ ! ذلك ان من الاسس التى يعتمدها الغرب ضابطا للتفكير العلمى ، استبعاد النصوص الدينية جملة عن أفق العلم ، فلا يستشهد بها لصحة شىء منه ، ولا تجعل مصدرا لحقيقة من حقائقه ، ولا تتخذ قاعدة للتفريع فيه أو البناء ... عندهم أن لكل عالم أو مفكر أن يعتقد ما شاء فى الخالق .. له أن يجحده وله أن يؤمن به ، وليس له بحال أن يجعل لعقيدته والنصوص المتعلقة بها أثرا ما فى حياته العلمية ومنهجه العقلى ، فان امور العقيدة والدين لديهم — على أحسن التقدير — أمور وجدانية ترجع الى الذوق الباطن ، والتصديق القلبى والوحى الالهى اذا اعتقدوا ان الدين وحى من السماء ، أما امور العلم فترجع الى حكم الواقع المحس الذى تمحصه الملاحظة والتجربة وتضبطه معايير العقل بمختلف القواعد والأقيسة الرياضية .. ولا يستقيم شأن الانسان فى الدين والعلم الا ان يأخذ كلا بدستوره فى التحصيل والتعاطى هذا بالقلب والالهام وذاك بمعايير الفكر وفيصل التجربة .

وبيننا كثيرون أخذوا هذا الأخذ بحسن نية أو بمحض التبعية العقلية للغرب ، فقضايا الدين لديهم ليست من قضايا الفكر ولا حقائق العلم التى تناقش بها شئون الواقع وتحرر بها أوضاع الحياة ، ومنهم من صرح بأن موضوعات الدين وبرامجه الاذاعية ليست برامج ثقافية ، انما هى موضوعات لطمأنينة النفس وارضاء الوجدان العام فاذا رأوا عنوانا يتحدث عن « القرآن ومنهج المعرفة — مثلا انغضوا رءوسهم وزموا شفاههم وقالوا — ما للقرآن نقحمه فى

اخص موضـــوعات الفلسفة والفكر وربما طووا المجلة أو طووا ـــ على الاقل صفحات المقال لأنه يقوم على فكرة خاطئة تستبيح الخلط بين ما هو من شئون الوجدان وما هو من شئون المنطق » .

ونحن نعذر الغرب ـــ الى حد ما ـــ اذ جعــل للدين هذا المفهوم الذى يفصل بين الدين والحياة ويعزل العقيدة عن مجال العقل ، فان لذلك أســبابه من سلوك رجال الدين المسيحى وتفســير نصوصـــه فى القرون الوسطى ، ونعذر الى حد ما ـــ أيضـــا ـــ اولئك الذين تابعوهم منا على ذلك المفهوم فان له ـــ أيضا ـــ أسبابه التى لا نطيل بذكرها ، ونعلن لهؤلاء وأولئك أن المعنى الذى فهموه للدين هو تلفيق شــــائه لا يمثل حقيقة كونية ولم يرده الله لدين من الأديان ، انما اراد الله دينا هو حقيقة علمية يشهدها العقل فى صفحات الكون المحس كما يشهد ان الواحد نصف الاثنين وأن الكل اكبر من الجزء .. اراد الله دينا هو حصــــيلة نظر عقلى حر فى حقائق الكون المادى غير متأثر بأى ايحاء ، أو تخيل او تقليد موروث .. فاذا كانت حصيلة النظر فى آفاق الكون تعتبر فى ضوابط المعرفة وموازينها (علما) فهذه الحصيلة ذاتها هى مفهوم الدين .. اى هى علم ودين ما .. وذلك معنى سنعرض لبيانه ان شاء الله فى موضعه .

فاذا ذكرنا القرآن بصـــدد المعرفة فانا نعنى كتابا نمطا غير الذى تمثلوه للكتب الدينية ، نعنى كتابا يتضمن مناهج سديدة فطرية للنظر فى الكون ، ويجعل حصيلة ذلك النظر قوام علم الانســـان وجماع مبادئه وقيمه ، وهو فى تقريره لتلك المناهج لايعنت الفطرة باقحام الاوامر وســـوقها الى مالا تعهد ، بل ينبه معايير الوعى والادراك فيها أن تنظر فيما حولها ، ولا يرضى بتة بغير ما تقبل وتأتى به تلك الفطرة .. فلينظروا معنا فيما يعرض ذلك الكتاب الحكيم ، فانهم موشكون أن يروا النمط الأصح لمسلك الفكر الى المعرفة ، وهو نمط يحســم الاخطاء ويبلغ اليقين الذى تقر به الافئدة وتسعد الضمائر .

فالقرآن فى هذا الباب انما هو ترجمة مافى الفطرة ، يقرر صلتها بالكون ، وما تتضمن من ملكات النظر وكيفيته .. فلو أن انسانا ـــ لايعرف القرآن ـــ أقام فطرته على سمتها فى نظره الى الكون ، وانعم النظر وتحليل الملاحظة ، وسجل ماينتهى اليه جهــد التفكير والتفاعل مع الكون لوجدنا حصــــيلة تتحلى بنفس الخصائص التى يقررها القرآن مع فارق أساسى ظاهر هو الشمول والاحاطة فى تقرير القرآن مع صدق الخصائص وعمقها .. وهذا هو النهج الذى اتبعته فى هذا المبحث فانى عولت على الفطرة وواقع تفاعلهـــا مع الكون ، واطلقت العقل على سجيته فألفيته فى أكثر ما كتبت ينتهى بى الى مفهوم آية قرآنية لم تكن بخلدى حين بدء الكتابة ، بحيث لا يشرق على نصها الا وقد تمهد العقل لمفهومها فيظن العقل لقوة وضوح المعنى فى البديهة كأن الآية لا تتضمن ناموسا باقيا أو حقيقة خطيرة تستأهل التقرير .

تماثل الكـــون والفطـــرة

وقد كتب الباحثون كثيرا عن بداءة الانسان وتطور صلته بالكون منذ وعى نفســـه الى اليوم .. وكتبوا على الاخص فى صحبته العقلية له ، أو صـــلته العقلية به ، فبينوا كيف كانت ساذجة بادىء بدء لاتحسن التعليل والحكم على ماترى من مشاهد وظواهر كونية خطيرة كمشاهد الشمس والقمر والســـماء والنجوم .. وكظواهر الرعد والبرق والسحب والمطر والسيل ، اذ كان يسأل

نفسه فى دهشـــة ما هذا ؟ وكيف ؟ ولم ؟ أو من أحداثه ؟ فلا يجد فى خزانة تجاربه وملاحظاته ما يقدم له الحكم الصادق والتعليل القويم لما يرى .

وتمضى الحقب وتتتابع الدهور ، ويأخذ على ضوء ما حصل من تجربة وما توالى من ملاحظات فى تعديل احكامه ومراجعة ماله من تعليل حتى بلغ اليوم شأوا يعتد به فى ذلك .. ولسنا بصدد احصاء ما كان له من خطأ وصواب .. وخرافة وعلم وحمق وحكمة ، ولكنا نلحظ فى حصيلة ذلك الماضى وما انتهى اليه الآن ان بين الكون وفطرة الانسان فطرته الحسية وفطرته النفســية وفطرته العقلية علاقة تواؤم أو توافق تلفت النظر ومن ظواهر ذلك التوافق ما يلى :

١ ـــ الملاءمة التى يلبى بهــا الكون ضرورات الانســـان واحتياجاته فقد صحب الانسان الكون منذ بداءته بصفحة بيضاء خالية من التجربة فقادته حواسه ومعدته الى التفاعل معه فوجد انه كلما احتاج الى طعام أو شراب أو نحوهما من مقومات حياته قدمه له الكون اى وجده أمامه ميسرا حاضرا موافقا لفطرته وحاجته .

وهذا ضرب من التوافق بديهى وخطير معا ، بديهى لانه واضح وضوحا لا يكاد الانسان يلتفت اليه « ومن شدة الظهور الخفاء » كما يقول البوصيرى وخطير لانه أساس حياة الانسان الحسية فى الأرض . وقد كان من وضوح هذا التوافق اننا شغلنا عن التفكير فى خطورته وعجائبه حتى اذا رحل الانسان الى القمر لم يرحل اليه الا ومعه طعامه وشرابه ، بل لم يرحل اليه الا ومعه هواؤه الذى يتنفسه ، وكل من تتبع أنباء رحلات الفضاء كان يعلم أنه لو ثقبت ملابس احد رجال الرحلة لفقد حيـــاته ولا بد ، لأن هواء القمر ليس له التركيب الذى يتلاءم به مع كيان الانسان الحسى .

ومن هنا ندرك أن قوله تعالى (ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حـــلالا طيبا) و (كلوا واشربوا من رزق الله) لا يقتصر فحواه على انه مجرد دعوة الى أن نأكل ونشرب مما فى الأرض لأن ضرورة الانسان تدعوه بل تضطره الى ذلك دون انتظار لصدور الاذن أو الأمر به ، انما يتضمن القول الكريم ـــ الى معنى الدعوة ـــ حقائق هى سنن من سنن الله ، يدخل فى غرضنا منها الآن اثنتان : الاولى تقرير افتقار حياة الانسان أى افتقار فطرته الحسية الى مافى الارض من عناصر ، وتلك حقيقة كونية خاصة بنا لا جدال فيها ، والثانية تقرير الملاءمة بين عناصر الأرض وفطرة الانسان وهى سنة كونية أخرى ..

وفى كل ذلك للانسان آفاق من الاعتبار والعلم على مثل ما يقول تعالى (كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) ولسنا بصدد الاستطراد الى حديث تلك الافاق فسيأتى ان شاء الله فى مناســـبته ، والذى يعنينا فى مقامنا هذا أن ما قررناه هو ضرب من الملاءمة أو التماثل بين الانسان والكون لا مرية فيه .

٢ ـــ وفى الكون ضروب من الثروات كالحديد والنحاس والذهب والفضة وغيرها من الفلزات التى ليست بطعام ولا شراب ولا تدعو اليها ضرورات البدن الحيوية ، اذ أن اى حيوان انما يعيش دون حاجة الى حديد أو معدن ، بل دون أن يدرى ما الحديد ولا المعدن ، ولكنا ندرك فى الوقت نفسه أن تلك المعادن تدخل فى حياتنا دخولا عمليا فلا نجد ظرفا من ظروف حياتنا المختلفة الا ولها فيه دور يتطلبها ، (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ذلك ان للانســـان فطرة عدا فطرة الحيوان التى قدمنا فى الفقرة الســـابقة هى فطرة التحضر

والتمدن التى لا تنشد طعاما ولا شرابا بل تنبعث باحتياجات لا تجد سدادها الا فى مكونات تلك الأرض من معدن وحجارة ونحوهما .

والمعروف أن الانسان القديم حين دعاه الخوف الى التجمع ليدرا عن نفسه غائلة الضوارى ظل له احساسه بفرديته التى يسمونها : ال (أنا) فان التجمع كان مطلوبا لحماية ال (أنا) لا لتذوب فيه الفردية وتتلاشى ، وما لبث بالتجمع ان وجد نزوعا فطريا ينبثق من تلك الفردية فى عمق ينشد التستر والانفراد بمسكن مستقل ، وسنعود لشىء من تحليل ذلك بعد قليل فى هذا المقال ، والذى يعنينا هنا أن هذا النزوع الفطرى كان بمثابة نداء باطنى ملح فى طلب السكن المستقل ، ولم يكن باستطاعة الانسان أن يتجاهله فتحرك فى بيئة الجبال يطلب الكن ، واقبل فى بيئة البدو يتخذ من الجلود والأوبار خباءه ، وفى بيئة الادغال يتخذ كوخه ، وفى الريف وجد ما ينشد فى مادة الارض حجارتها وطينها ونحوها وفى هذا المعنى الدقيق الذى يمثل البذرة الأولى لحضارة الانسان يقول تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم » ، « والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا » .

وإلحاح هذا الباعث وشدة دأبه على الحفز والاستحثاث لطلب البيت المستقل يذكرنا بالحاح باعث المعدة لطلب القوت ، كأن الباعث الاول (معدة نفسية) الى جانب المعدة المحسة ، فهما دائبتان على حفز الانسان للاتصال بالكون الخارجى ، معدة الحس تطلب القوت من مادة ذلك الكون ، لتحصيل الطاقة التى بها سعى البدن وممارسة نشاطه على وجه الأرض ، والمعدة الاخرى تطلب (البيت) من مادة الكون نفسه اذ هو الحضانة الضرورية لخصائص حضارة الانسان ، فتكون المعانى والطاقة النبيلة التى تقوم بها الحضارة وتزدان الحياة .

ولسنا نتحدث عن دور البيت بل نتحدث عنه باعتباره أمرا مطلوبا تنشده الفطرة وتلح فى طلبه فلا تسكن الا أن ينبعث الانسان ويحقق لها من مادة الأرض ما تريد ، ويعنينا من ذلك أن كوننا الأرضى واجه مطلب الانسان فقدم له من مادته ما يلائم ضرورته ، وهو ضرب من التماثل أو المواءمة لا مرية فيه .

٣ — وفى الكون ما نسميه (قوانين الطبيعة) وهى حقائق مغلقة دون الحواس ، ولا تجد مفاتحها فى ذهن حيوان أو معدن أو نبات ، انما تجدها فى ذهن الانسان وحده ، ومعنى ذلك ان لذهن الانسان خاصية تلائم نظام تلك القوانين ، فاذا التقت تلك الخاصية بتلك القوانين على السنة العلمية المقررة أو المقدرة لالتقائها أفضت القوانين للذهن بسر تسخيرها ، وكان للانسان منها كل منفعة مقدورة ممكنة ، فالانسان بهذا لم يسخر القوانين ، ولم يوجدها كما يتبادر لذوى النظر السطحى الذين يزعمون أن الانسان قهر الطبيعة وسخر قوانينها ، وتحدى الكون فظهر عليه ، فان الانسان لا يملك أية قدرة عقلية او بدنية لتسخير قانون مافى غير ماقدر له ، أى لاقدرة له بتة على اخراج نواميس الكون عن طبيعتها ليجعلها كما يشاء ، فالذى يدل عليه النظر الصادق النافذ أن نواميس الكون سويت على ما أراد خالقها ، وقد سويت على الوضع الذى يحقق التطابق بين بعضها وبعض « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » ومن تلك النواميس نظام عقل الانسان ، وبهذا التطابق بين الجميع تعمل كافة النواميس فى تناسق وتكامل ، فلا يكون النظام الذى يتفق مع مصلحة كل كائن بحسب

مكانه فى الكون ودرجته فى سلم الحياة وكل الكائنات فى ذلك سـواء الا أن خاصية الرياضـة فى ذهن الانسان ـ أى خاصـية فهم تقديرات النواميس لا تهتدى الى نظام تطابقها الا بالتجربة ودقة الملاحظة ، فاذا اهتدت تيسرت للانسان منها منفعة ، وقيل انه سخر الطبيعة وهو خطأ قدمنا صوابه ، فالطبيعة قد خلقت مسخرة ميسرة لما أريد لها ، والمصالح انما هى ثمرة التطابق ومظهره ،، واذا كان التطابق يعنى معرفة التقديرات الرياضـية التى تعمل بها كافة قوانين الطبيعة عملها الدائب ، فيكيف الانسـان أسـلوب سـعيه فى تحقيق منافعه ومصالحه على قواعد الاستفادة من تلك القوانين ، اذا كان التطابق يعنى ذلك فان مرادنا هو ذلك التماثل بين عقل الانسان ونظام الكون .. وهو ضرب ثالث من الملاءمة والتوافق لا مرية فيه .

تلك ظواهر ثلاث قائمة مسلمة ، لا شك فى قيامها وتسليمها ، ويعنينا منها أنها دليل حاسم على ما بين فطرة الانسان ونظام الكون من تواؤم وتطابق ، بل ان الامر على ماهو واضح فوق مرتبة الدليل الحاسـم ، فان ماقدمنا انما هو ثمرة الملاءمة والتطابق يراها العقل ملحقة بأصلها فى يقين لا شـبهة فيه بتة ، والمرء بازاء رؤيته العقلية لتلك الثمرة لا يجد فى نفسه أى مجال لالتماس دليل يثبت له تلك الصلة ، فان التطابق لو لم يكن أمرا مشتركا بين الكائنات وسنة جامعة لها لرفض الجسم أى طعام يتناوله الانسان بل لما كان ثمة طعام قط ، ولما تهيأ للانسان ادراك أى قانون طبيعى ، ولما نشأت له أى حاجة الى حديد أو نحوه ، ولكانت صلتنا بالفلزات عامة كصـلة اى حيوان او دابة فى البر والبحر والجو ، ونخرج من هذا بأن التطابق بين نظام فطرة الانسان ونواميس الـكون وحقائقه ليس من قبيل الدعوى أو القضية ، انما هو حقيقة مشهودة بآثارها لمن اعتادوا أن يدركوا بقولهم حقائق الكون الحسية والمعنوية .

الفطرة رائدة الى التواؤم

وواضح مما تقدم أن فطرة الانسان ـ فطرته الحسية والنفسية والعقلية ـ كانت هى رائدة جهوده فيما حقق من تطابق بينه وبين الكون .

١ ـ فان حواس الانسـان ومعدته قادته ـ على ما قدمنا ـ الى التفاعل مع الكون ، فوجد أنه كلما احتاج الى طعام أو شراب قدمه له : وتقرير ذلك من حيث طبيعة الجسم أن الانسان يحس الجوع فيبعثه الى أن ينهض باحثا عن القوت أو ساعيا اليه ، فاذا أدرك حاجته منه سكن عنه الجوع ، ثم يتقلب فى الأرض تقلبه ويكد ما يكد ، فيفقد الجسم بما يبذل من جهد وحركة الكثير من خلاياه ـ أو الكثير من لبنات بنائه فيتخلخل ويفقد توازنه ويحتاج الى عملية تعويض تعيد اليه ما فقد من بنائه ، ويكون (الاحساس بالجوع) هو الناقوس الذى ينبه الانسان ويدعوه الى عملية التعويض ـ أى الى وجبة طعام ـ تقيم الصلب على سمته الطبيعى .. وبنداء هذا الداعى ـ الجوع ـ ينهض الانسـان باحثا عن الطعام أو ساعيا اليه .. وهكذا ... وذلك ما يسمونه غريزة « المحافظة على الذات » .

ونلاحظ فى تقرير ذلك أن المعدة لا تفقد شيئا من بنيتها بسبب سعى الانسان وكدحه اليومى ، انما الذى يفقد هو الدم ، وهو الذى يضار ويتخلخل ، ويحصل بتلك الخلخلة وما احترق من الخلايا أن يحس الانسـان (بالتعب) وذلك منطق تركيب بنية البدن ، فاذا أصاب الانسان حظا من الراحة قد يذهب عنه احساسه بالتعب ، ولكن يظل الجسم تنقصه (عملية التعويض) فاذا لم يكن هناك ناقوس

فطري يسوقه سوقا الى وجبة الطعام ، فان الانسان لا يتنبه لشيء الا الى ان جسمه فى ضمور وذبول مستمر .. حتى يقضي .. فشاءت حكمة الخالق أن ينبعث هذا (الاحساس الصائح) الجوع من جوف المعدة ، العضو الذى لم يمسه نصب ولم يفقد من بنائه خلية واحدة مع التساهل بعض الشيء فى المصطلحات الطبية ، فالاحساس بالجوع هو قوام غريزة (المحافظة على الذات) .. وهو بما قدمنا أمر فطرى مركوز فى النفس لا ينفك عنها ، وهو اذ يؤدى للانسان أخطر ما يحفظ كيانه الحسى ، **يعمل عمله الدائب القوى فى سوقه الى التواؤم مع الكون .**

هذا وقد بلغ الانسان فى هذا الضرب من التواؤم أقصى غايته اذ لم يبق فى الأرض عنصر واحد تدعو اليه المحافظة على الذات — أى تتعلق به حياة البدن — الا أخذ حظه منه منذ أقدم العصور من هواء وماء وخضر وحب وفاكهة وبقل ونحوه .. وما نشهد للانسان من جهود فى هذا السبيل انما هو اعادة وتكرير لمطالب (المحافظة على الذات) وليس من قبيل الاضافة التى تحقق بها غريزة المحافظة على الذات تطابقا جديدا مع عناصر لم تكن تطابقت معها .

على أن الانسان منذ أقدم عصور تحضره نسى باعث المحافظة على الذات ، وتولاه نهم الى الترف ومضاعفة الاحساس باللذة ، وتنوع صنوفها ، والحصول على اكبر قدر ممكن منها : فلا يأكل أو يشرب ليؤدى لبدنه حقه ، بل استجابة لما يصبو اليه من لذات .. كل ذلك فى طموح يزيد الجهد والتوسع فى الانتاج مع ابتكار المثيرات والأخلاط التى تشهى الطعام وتثير الرغبة اليه .

ولا شك أن اللذة أمر زائد على ماتطلبه غريزة المحافظة على الذات ، فان الاغراق فيها والاستكثار من صنوفها ليس عنصرا غذائيا يتجدد به للجسم ما فقد من خلاياه ، فهو بذلك أمر دخيل على طبيعة ونواميس صحته ، يرهقه وينهكه ، الى مايلحق بالنفس من تلف وبطر .. فاذا عرضناه على منطق السنن الفيناه طاقة أو جهدا خاسرا لا مكان له فى الكون ، لا يأوى الى سنة ولا يتطابق مع شىء ..

ولا جرم أن نبذ القرآن هذه الآفة — آفة الترف — وجعلها من ظواهر انحلال الحضارات والأمم على ما سيأتى فى مكانه .

أما الطموح الذى أشرنا اليه فهو قوة مباركة تحدو الانسان الى المثل الأعلى فى كل شأنه (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ولكن استيلاء عوامل الغفلة على الانسان ينسيه مثله الأعلى ، فتضل تلك القوة غايتها ، وسنعرض لذلك ان شاء الله فى مناسبته ، وما أردنا بالاشارة اليه الا أن نفرق بين ما هو حق وما هو باطل فى الميدان الذى تصطرع فيه قوى الانسان المختلفة ليعرف فضل غريزة المحافظة على الذات فيما تؤدى اليه من مصلحة وفيما تحدوه اليه من تطابق مع الكون ..

٢ — والتجمع بالنسبة للانسان كان وسيلة يدفع بها عن ذاته مع بقاء تلك الذات على ما لها من معالم الفردية ، وخصائص الأنانية .. وفى ظل التجمع وحماه بدأ يحس نزوعا من أعماق ذاته ينشد التستر فى بعض أمره .. بدأ يحس لنظرات الناس اليه فى بعض أمره حسابا غير حساب تعاونهم معه فى جلب صيد أو مغالبة الضوارى ، بدأ يحس لهذه النظرات انقباضا يحمله على ستر

بعض أعضائه واقامة ركن مستقل لمواراة بعض شأنه ، وازاء الحاح هــذا الاحساس وقوة دفعه وتوجيهه أقام الانسان (البيت) وسكنت به نفسه .

ولم يكن ذلك عرفا أو وضعا ارتضته الجماعة ، فان الاعراف قواعد محلية تنشأ ببواعث خاصة وتختلف من بيئة الى أخرى ، على حين نرى تلك الظاهرة ــ ظاهرة اتخاذ البيت ــ عامة فى كل بيئــات الانسان التى تسنى له فيهــا التجمع ، حتى لنرى أهل الريف والبدو وسكان الجبال والادغال تأخذهم داعية ذلك النزوع فيتخذون ذلك الكن ، فمنهم من وجد فى الجبال كنه ، وفى الادغال كوخه ، وفى البدو ــ من جلود الانعام ــ خباءه ، وفى مادة الريف من الطين أو اللبن مأواه ، على ما يعم القرآن بقوله الذى قدمنا (والله جعل لكم من بيوتكم ســكنا وجــعل لكم من جلود الأنعــام بيوتا تســتخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) .. (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا) .. واذا كان ذلك عامــا فى كل بيئــة فقد مضى عليــه شــأن الافــراد فى كل عصر .

وكذلك لم يكن عامل المناخ هو الذى حفز الانسان أساسا لاتخاذ (البيت) ، فقد رأينا (البيوت) فى بعض البيئات ولا سقف لها فقصارى أصحابها منها أن تكنهم عمالا يريدون من نظرات التطفل والاستكناه (١) ذلك الى أن داعى التستر فى بيوت البدو أوفر وضوحا من دواعى اتقاء البرد والريح وغيرهما من عوارض الجو فى الليل والنهار (٢) .

ومن الملاحظ أن الانسان فى بعض المناطق يكتفى بستر عورته مع انها أقل أعضاء بدنه تأثرا بحرارة الجو ، هذا وقد صحب الانســان عوامل الجو دهورا طويلة قبل مرحلة التجمع فلم تثره الى ستر عورة أو اتخاذ بيت خاص ، انما كان ذلك بعد التجمع فى شأن لسنا بازاء بيانه .

واذا لم يكن اتخاذ البيت من قبيل العرف فى الجماعة ولا لاتقاء عوارض الجو ، وهو مع ذلك عام لجميع الافراد فى كل بيئة وجيل فهو أمر ذاتى لا عرضى يرجع الى فطرة النوع نفسه .

ويلاحظ أن باعث جمع القوت فى الفقرة الســابقة ــ الموســومة برقم ١ ــ باعث حســى حيوانى ، اذ المراد بالمحافظة على الذات المحافظة على حياة البدن ، أما الباعث هنا فلا يطلــب قوتا وليس هو من الــبواعث التى تنبثق من فطرة المحافظة على الذات ــ رأس غرائز الانسان ــ فليس هو جمعا لعرض ، أو منافسة عليه ، أو تصديا لقرن ، أو طلبا لسيادة ..

وقد يذكر هنا داعى (الفردية الاقتصادية) الذى يجنح بالفرد ليحوز الى جانبه حصيلة عمله فيكون جمعها فى (حيز خاص) تحقيقا لفرديته وارضاء لأنانيته وتوكيدا لشخصيته وارادته ، ويكون ذلك تفسيرا اقتصاديا لاتخاذ البيت ، وذلك مردود لأن من كان رزقه فى الغابة أو مذخورا له فى صيد البحر ، يحصل عليه يوما بيوم دون ضرورة لحيز لم يغنه ذلك عن اتخاذ البيت .

وكذلك الكثيرون الذين لا تزيد حصــيلة عملهم عن كفاية قوتهم اليومى ، فانهم قد اتخذوا البيت مع عدم الحافز الاقتصادى اليه ، ذلك الى أن (للفردية الاقتصادية) وزنا آخر يجردها من شوائبها وتعقيداتها ــ سنعرض له ان شاء الله فى حينه ــ وقصارى ما تنتهى اليه تلك الفردية بعد تجريد جوهرها من عقابيل الانانية ، وأوهامها الدخيلة ، انها عامل عمارة واحياء ، وليست من مقاصــد الطبيعة فى الحيازة والكنز .. ولما انحرف الانسان عن مثله الأعلى باســتيلاء

الغفلة والعوامل الدخيلة انحرف معه طموحه وصادف اتجاهه نحو الحيازة نفس اتجاه عاملنا الأدبى الملح فى اتخاذ البيت ..

واذا فباعث اتخاذ البيت لا ينبثق من فطرة الحس فى الانسان .

واذا كان هذا الحافز فطرة غير حسية ، وهو فى الوقت نفسه فطرة فى كافة افراد النوع فهو فطرة معنوية أو روحيـــة أو أدبية ، ولولا اثرهـــا العميق الحافز الى التستر فى دأب لا يسكن الا أن يتخذ الانسان بيته لما احس لها احد وجودا ، وأول ما قص القرآن من تجارب الانسان فى تلك الفطرة النازعة الى النيل أن آدم وزوجه عليهما السلام لـــا أكلا من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما ادركهما وازعهما ، أو داعيهما النبيل ، وطفقا يخصـــفان عليهما من ورق الجنة سترا لـــا بدا منهما ..

ولقد سمى النزوع الى جمع القوت (غريزة المحافظة على الذات) لأن تلك المحافظة هى الغاية من الطعام ، وامضاء لهذا المنطق نسمى نزوع النفس الى اتخاذ البيت (غريزة السكن) ، اذ بهذا البيت تسكن النفس بســـتر ما يؤذيها تعرضه للأنظار ، وقد سماه الله (ســـكنا) بقوله : (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) ، وليس الشأن فى النص الكريم شأن مبتدأ وخبر انما هو نص على قانون من فطرة الانسان ، لا ينفك عنها ، وهو سكن نفسى لاحسى ، لا يتحقق الا أن يحتوى الانسان (بيت) خاص به ، ومما له دلالة على (فطرية) هذا القانون فى النفس أن الانسان اذا نزل (فندقا) أحس ـــ بامتداد الاقامة ـــ نزوعا الى بيته الخاص مهما يكن بالفندق من أسباب الراحة وجودة الطعام والخدمة .

واذ تقرر أن تلك غريزة تبعث الانســـان على التماس مطلب له من مادة الأرض ، وقد وجـــدت فى تلك المادة ما يلائم المطلب ، فذلك شـــاهد لتلك الفطرة بأنها قائد الانسان أو رائده الى التطابق مع الكون .

ويبقى أن نسأل : هل أتمت غريزة السكن دورها فى تحقيق التطابق أو ان ثمت مدى عليهـــا أن تبلغـــه ؟.. والاجابة ميسورة اذا ذكرنا أن تلك الغريزة لا تنشد سوى ما يكنها عن نظرات الفضول ، وقد تحقق ذلك من أول الأمر بأيسر المواد .. بخباء البادية ، وكوخ الأدغال ، وبالحجارة الساذجة أو الطين أو اللبن أو بهن جميعا فى الريف ، وما زاد عن ذلك بالاتساع وكثرة الحجرات أو التعالى فى البنيان ، فليس من مطلب الفطرة وهو فوق ما تدعو اليه الضرورة ، فمكانه هنا هو مكان التزيد فى الأطعمة من الترف وتزينها بالنسبة لغريزة المحافظة على الذات ، وقد كان بيت النبى محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ حجرة بســـيطة قائمة بالجريد الذى يشـــده الطين والشعر بعضـــه الى بعض ، فليس التعالى والتوسع والغلو فى الزخرف والأثاث ونحوه الا اثر الاستغراق فى شهوات المظهر وفتنة حاسة النظر عما جعلت له ..

ويجب أن نفرق بين ذلك الغلو فى اتخاذ البيت وبين واجب العمارة الذى القى على الانسان بقوله تعالى (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) اى طلب اليكم عمارتها بالزرع والاحياء ، وبناء المدارس والمستشفيات والمصـــانع ونحوها من المنشـــآت النافعة ، ولذا نعى الله على قوم مجاوزتهم للحكمة فى البنيان بقوله : (أتبنون بكل ريع آية تبعثون) ، واعتد ذلك من مظاهر انحلال الأمم وذهاب الحضارات ، وسنعرض له فى موضعه من البحث .

فثمت عمارة دعى اليها الانسان وأهل لها بملكة فى الذهن ، وثمت مطالب غريزة السكن التى لا تنشـــد سوى مجرد بيت ،، ويجب أن أن نفرق بين هذين

وبين مظاهر الطموح الذى ضـل سبيله ، فجاوز بجهود الانسـان حدا الحكمة والضرورة فى المطعم والمسكن الى عبث يوبق النفس والمال والمجتمع .

ونخلص مما تقدم بأن غريزة السكن قد أدركت غايتها من تطابق الانسان مع الكون ، منذ استخلصت من مادته الطبيعية حاجتها الى بيت يكن على صورة أولية ، وأن جهود الانسان فيما وراء ذلك لا تحقق جديدا من التطابق فى بابها لأنها اما عبث ذاهب الى خسر ، واما عمارة سيأتى نبؤها على ما قدمنا ..

٣ ــ وكان ما حقق الانسان من مواءمة عقلية بينه وبين نواميس الكون ثمرة فطرة حافزة رائدة ، انبثقت فى الانسان وصحبته فى مدارج تطوره منـذ وعى نفسه الى اليوم ، اذ كانت تلك الفطرة تستشرف لكل ما يثير اهتمامها من ظاهرة أو حدث أو كائن ، محاولة أن تعرف ماهيته ، أو كيفيته ، أو علته .. لم تكن تملك أن تنظـر السماء والقمـر والنجـوم والشمس فى غير اهتمـام وتساؤل ، وما من شك فى أن ظاهرات البرق والرعد والعواصف والسحب والمطر وارتفاع مد البحر مثلا قد أثارتها فانبعثت تسأل ما هذا ؟! كيف كان ؟! لم ، أو من أحدثه ؟! وكانت فى كل ذلك تثير العقل للبحث والكشف عن المراد ، وكان العقل خلال هذا المدى الطويل كثيرا ما يعود من بحثه باجتهاد خاطىء أو وهم وقع له على غير أساس علمى .. وقلما كان يصيب ..

ولا يعنينا ما كان للعقل فى ذلك من خطأ وصواب ، وخرافة علم وكذلك لايعنينا لم كان الخطأ أو لم كان الصواب ، انما يعنينا شأن تلك الفطرة المستشرفة التى تتساءل فتبعث العقل ليعرف ما تسأل عنه .. ان هذا التساؤل يمثل ولا بد رغبة نازعة الى المعرفة أو الى التعلم ، ومن البديهى أن يسبق التساؤل ادراك الحواس لشىء يثير السؤال ، ظاهرة أو حدث أو كائن ، فاذا حصل ذلك الشىء فى وعى الانسان ، وكان غير معروف الكنه أو الكيفية أو العلة ــ استشرفت تلك الفطرة فطرة التعلم الى معرفة ما تجهل ، فادراك الحواس لشىء ما أمر ضرورى لحصول ذلك الشىء فى وعى الانسان ، ثم يكون الاستشراف للمعرفة والتساؤل ويكون انبعاث العقل للملاحظة والتجربة والموازنة والكشف .

وتلك فطرة فى كل آدمى بلا جدال ودون استثناء ، وهى جديرة أن تسمى (فطرة المعرفة) ، ولكن أجدر من ذلك أن تسمى (فطرة التعلم) ، ففى كلمة (التعلم) معنى ايجابى ، و دلالة على جهد ذاتى ، ينشد الكشف عما لا يعلم الانسان ، وذلك نفسه هو شأن تلك الفطرة ، على أننا ننظر فى ذلك الاختيار الى قوله تعالى فى أول ما نزل به الوحى « علم الانسان ما لم يعلم » فالتعليم هنا ليس تعليم تفـاصيل الشرائع وأصولها ، وليس تعليم كائنـات الطبيعة عناصرها وخواصها وقوانينها ، وليس تعليم السنن الانسانية الخاصة بتقويم الانسان ، وما بذلك التقويم من عجائب الملكات ، وقوانين الايجاب ، وحقائق السلب ، وما له فى مجتمعـه من نواميس الصـلاح والترابط أو الفسـاد والانحلال . التعليم هنا لا يراد به قطعـا شىء من ذلك لأنه حين نزول النص الكريم (علم الانسان ما لم يعلم) لم يكن للانسان علم بما قدمنا أو نحوه ، واذ هو تعالى صادق أتم الصدق وأكمله ، فالنص الكريم يتضمن اخبارا بخصوصية تكوينية ثبت بها فى الانسان ملكات التعلم ، واستعداداته التى تجعله طلعـة دائم الاستشراف لمعرفة ما لم يعلم ، ويؤنسنا فى هذا قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) ، فان التأمل فى تاريخ الانسان ، وتدرجه فى المعرفة مع الاطلاع على ما لأئمة المفسرين من قول فى ذلك ، يوجه العقل الى أن هذا التعليم ليس

مرادا به أنه تعالى علم آدم كل علم كان وكائن وسيكون بكل لغة كانت وكائنة وستكون ، فكان عليه السلام يعلم قوانين الطبيعة فى الفلك والكيمياء وتسخير الماء والهواء والمغناطيس والكهرباء والرياضة البحتة ونظرية النسبية والذرة ومحتوياتها ونحوه مما هو معروف الى ما يجد الانسان فى معرفته وكشف اللثام عنه ، ولسنا نستبعد ذلك على قدرة الله ، ولكنا نقوله لأن الاليق بحكمة الله أن يعلمه — فعلا — ما ينظم صلته بواقعه ، وتتحقق به المصلحة ، أما أن يعلمه ذلك كله كما يعرفه العلماء الآن وكما سيعلمونه فيما بعد ليكون معطلا فى ذهنه لا يطبق منه شيئا فى حياته ولا يكون له أثر فى انتفاع أهله وبنيه به ، فهو مناف للحكمة على ما علمنا من سنته تعالى ، اذ لا يجلى الشيء الا حين تتهيأ الاسباب للانتفاع به ومعرفة حكمته ، انما نذهب فى هذا التعليم الى ما ذهبنا فى قوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) . .

ونخرج من هذا بأن أجدر ما تسمى به تلك الفطرة هو (فطرة التعلم) لمطابقته لغويا لواقع الانسان فى المعرفة ولورود الوحى به .

واذ تقرر من فطرة التعلم أنها نازعة أبدا الى التساؤل والاستشراف ، سائقة الانسان أو متنقلة به من جهل الى معرفة ، والمعرفة هي الأمر الحتمى للتطابق بين نظام عقل الانسان وقوانين الكون — فان معناه أن فطرة التعلم كانت رائدة الانسان فيما حقق من تطابق .

وقد سألنا فى شأن غريزتى (المحافظة على الذات) و (السكن) هل أدركت كل منهما تمام دورها فى التطابق ، وتبين من المناقشة أن كلا منهما أدركت الغاية من ذلك ، ومن الطبيعى أن نسأل هنا السؤال نفسه : هل حققت فطرة التعلم غايتها ؟ أى هل حققت دورها فى التطابق العقلى بين الانسان والكون ؟

ولكى يتهيأ الذهن للاجابة عن هذا نذكر .

ا — أن صفحة الكون الطبيعى كله فى الأرض والسماء بما حوت من كائنات ونواميس هى مجال نشاط تلك الفطرة ، وذلك بديهى ، فانه ليس لنا مصدر طبيعى للعلم سواها .

ب — وان وسيلة تحصيل العلم منها تلك الفطرة .

جـ — وأن صفحة الكون مبسوطة أمامنا لا تطوى عنا شيئا من محتوياتها ودلالاتها ، ولا تكف أحدا عن التطلب والتعلم ، واذا كان ذلك هو الواقع البديهى فقد قرره القرآن الكريم بقوله : — (انظروا ماذا فى السموات والأرض) ؟ ، أى يطلب الينا أن نقوم بعمليات مسح عقلى لآماد الكون وآفاقه لنعرف (ماذا فى السموات والأرض) ، ومعلوم أن ذلك مطلب رهيب خطير ، فان مفهوم السموات يمتد آفاقا بعد آفاق فى مسافات تحيد الرءوس لذكر أبعادها الى ما لا يمكن ادراك أبعاده ، وتنقطع دونه أدق الوسائل العلمية ، فلن تبلغه يوما من الايام ، (فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون) ، ولكن الخالق تعالى ما كان ليكلفنا هذا التكليف الخطير الشريف الا وهو يعلم أن ما كرمنا به من أهلية التعلم كفء له ، (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) .

واذا كلفنا الله النظر فى تلك الآفاق السحيقة والمجاهيل التى لا يعلم كنهها الا هو ، طلب الينا الا نجاوز مادة الواقع المحس قيد شعرة ولا ما دونها (انظروا ماذا فى السموات والأرض) ؟ ، أى انظروا أى شىء فى السموات والأرض .. وهو نظر حسى عقلى معا ، وانما يقع الحس والعقل على مادة الكون لا غير ، وما يلابسها من حقائق عقلية ، أما ما وراء مادة الكون ، أى ما عداها ، وما يسمونه الشطحات والتورط فيما لا يناله الحس ولا يضبطه العقل برؤية بديهية أو قانون محسوب بقواعده وأقيسته ، فليس من سنن النظر العلمى الذى دعا اليها النص الكريم .

وقد ذكرنا (ملابسات) المادة ، ونعنى بها (حقائق) تلازمها ، ولا تنفك عنها ، ولا يمكن أن ترى المادة مستقلة عنها بحال ، من ذلك . أن المادة تشغل (حيزا) ، ولا بد .. وهـذا الحيز بقدر حجمها ، ولا بد .. لا يزيد عنه ولا ينقص ، ولا يتسنى للعقل بحال أن يرى المادة دون أن يراها متلبسة بالحيز كما لا يستطيع أن يرى حيزا ما مستقلا عن المادة بحيث يقول هذا حيز طائر فى الجو أو طائرة أو سحابة دون أن يكون ثمت شىء من ذلك ..

فالحيز حقيقة علمية لا شك فيها ، لأن العقل يشهدها ملابسة للمادة . كما تبصر العين شخوص الأشياء العادية ، ولكنه حقيقة لا تدل على ذاتها بنفسها بل تدل عليها المادة .

هذا مثال للحقائق البديهية العلمية التى تلابس المادة ، ويشهدها العقل ملابسة لها ، فاذا قلنا : ان المادة وحدها وما يشهد فيها العقل والحواس من عناصر وخصائص وملابسات هى موضوع (فطرة التعلم) ، واذا قلنا مع ذلك إن الحواس والعقل هما وسيلة تلك الفطرة ، وفيصلها فى تمحيص وتحرير ما يستخلص الانسان من حقائق . فقد المنا بالأساس الذى لا يعتمد العلم سواه نهجا للمعرفة ، اذ ليس لنا فى غير الكون الشاخص للحس والعقل معا معتمد طبيعى للحق .

وبعد فتلك فطرة التعلم ، وذلك مجالها ونهجها .. فهل حققت غايتها من التطابق بين عقل الانسان وحقائق الكون ؟ ذلك ما سنعرض له فى المقال التالى ان شاء الله .

---

(١) مما يتسق مع كون البيوت للكن (والاستتار قول النبى محمد عليه الصلاة والسلام (لو أن امرأ طلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقات عينه لم يكن عليك جناح) . وقول القرآن (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) .

(٢) من شواهد اللغة عندنا ــ على ذلك أن البدوى يسمى بيئته (الخباء) ومنه خبأ الشىء أى ستره ، والخباء ما يعمل من وبر أو صوف للسكن ، وليس فى ذلك ما يتصل بمعانى مدافعة الجو .. ذلك الى أن البيت أصلا مصدر بات يبيت وهو متصل أو ملابس لليل ، وفيه معنى الستر ولما رأى العربى فى مسكنه حقيقة الستر الدائم أطلق عليه كلمة بيت ، فصارت اسما له ، كان سدول الليل التى لا تنفذ منها الابصار تفشيه كل آن فلا تقتحمها نظرة فضول بليل أو نهار .. وليس فى تلك اللفتات والحركات الفعلية والنفسية ما ينظر الى هجمات جو ، لأن سدول الليل مقصورة على رد عوادى النظر لا عوادى الجو من أى نوع .

فلينظر الإنسان مم خلق

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

صلة الانسان بالطين

بينا فى المقال السابق المنشور بالعدد رقم — ٦٥ — جماد الاول سنة ١٣٩٠ هـ

الصلة الوثيقة التى بين الانسان وبين أمه الارض ، وتمييز الانسان عن كل ما فى الأرض من كائنات بجعله خليفة لله فى الأرض ، وسر هذه الخلافة ، وأن هذه النظرة فى خلق الانسان وتطور مراحله جنينا دفعت البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ، وأن العلم لم يصل الى الحقائق التى جاء بها القرآن فى شأن تطورات الجنين فى الرحم الا فى قرون متأخرة جدا ، وأن الكشف عن هذه الحقائق خير هاد ومرشد للحق وموجه للايمان الكامل .

وسنتناول فى مقال هذا العدد : تنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وأساس تكوينه ، وكيف خلق الله الانسان الأول من الطين ، وقدرة الله على خلق بعض أفراد البشر على غير ما جاء فى هذا النص الكريم .

الآيات القرآنية الكريمة التى اشارت الى خلق الانسان عديدة ومختلفة ،

فمنها ما تناول خلق الانسان الأول الذى تنتهى عنده البشرية ، ومنها ما تناول الخلق نتيجة التزاوج ،

والحـــمل ، والتوالد ومن ذلك قوله تعالى (١) : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانســـان من علق » . وقوله جــل شـــأنه (٢) : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

ومنها ما تناول الأمرين معا فنبه الانسان الى أصل خلقه من الأرض الميتة ، ثم التوالد من نطفه مستقطرة أو مستلة من جسم الحى يقول الله ســـبحانه (٣) : « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانســـان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » . ويقول جــل شـــأنه وعظمت قدرته (٤) : « هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » .

أما الآيات التى أشارت الى خلق الانسان الأول والى ربط الانســـان بالارض وبيان صـــلته بالتراب والماء فانها بينت ان الانسان خلق من مادة البناء الأولى وهـــى عناصر الأرض يقول الله ســـبحانه (٥) : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .. » .

ويصـــور موقف ابليس من خلق آدم وقد أمر الله الملائكة بالسجودلآدم فســـجدوا جـــميعا الا ابليس أبى واســـتكبر وكان من الكافرين فيقول الله (٦) . « ما منعك ألا تســـجد اذ أمرتك ؟ . قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

وينقـــل النويرى فى كتـــابه نهاية الارب (٧) عن وهـــب بن منبـــه أنه قال : قرأت فى الـــتوراة ان اللـــه عزوجل حين خلق آدم ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثة فى ولده تنمو فى جسدهم وينمون عليها الى يوم القيامة : رطب ، ويابس ، وسخن ، وبارد . فالله خلق آدم من تراب ومـــاء ، وجـــعل فيه يبســـا ورطوبة . فيبوسة كل جسد من قبل التراب ، ورطـــوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح .

والواقع أن الروح الانسانية هو ذلك المعنى الذى ميز الله به الانسان على غيره من الاجناس حتى الملائكة الذين أمرهم الله أن يســـجدوا لآدم اذ نفخ فيه من روحه فان جـــمهور المحققين على أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة لأنهم يطيعون الله لا عن جبلة ، وانما يطيعونه عن رياضة وجهاد حتى تصفو نفوســـهم ، وأما عوام البشر فان عوام الملائكة أفضل منهم لأنهم أقرب الى الله طاعة وأكثر منهم عبادة يقول العز بن عبد السلام الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ « اختلف الناس فى التفضـــيل بين الملائكة والبشر ، ولا شك أن الملائكة من حيث اجســـادهم أفضل وأشرف من أجساد البشر ،

وأما باعـــتبار الأرواح فان روح الانبياء أفضل من عدة وجوه .. » .

ولقد نفخ الله الروح فى آدم على ذلك الوجه الخارق ، ثم شاء الله أن يجعل لاعادة النشأة الانسانية طريقا معينا هو طريق التوالد نتيجة التقاء الذكر والانثى واجتماع البويضة التى يفرزها مبيض الأنثى بالحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل اجتماعا يتم فيه تلقيح البويضـــة وتـــكون أداة لبدء التكوين الجنينى . وقد مضى مألوف الناس على قاعدة التزاوج والتناسل بالتصوير فى الأرحام كيف شاء الله على الســـنن التى ألفتهـــا البشرية « فيهب لمن يشـــاء أناثا . ويهب لمن

يشـــاء الذكور » ويهب لمن يشـــاء الجنسين ويجعل من يشاء عقيما .

والآيات التى أشـــارت الى خلق الانســـان . تدل فى جملتها على أن التراب ، والطين هـــو أول طور من أطوار الانسان على معنى أنه أصل للغذاء الذى هو مادة تلك الـــنطفة فان مادتها ترجـــع الى التغذى من النبات الذى تنبتـــه الأرض فى أى صورة كان تناول ذلك النبات ، ومن الحـــيوان الذى عاش وتغذى على ذلك النبات . فعناصر التربة الأرضية غذاء للانسان بطريق مباشر أو غير مباشر .

ومن المفسرين من يرى أن التراب المقصود فى آيات تكوين الانســـان هو التراب الذى نشأ منه الأب الذى هـــو أصـــل الانســـان آدم عليـــه السلام ولا كلام فى أنه المادة الاولى التى تكون منها الانســـان الأول ثم تناسلت ذريته منه . ومهما يكن فان التراب هو الأصل فى تكوين الانسان فى مادته الاولى الـــتى كان منهـــا بلا واسطة وهى « آدم » وفى أفراده المتناســـلة أيضا ، وبذا يكون معدن الانسان من التراب ، والطين ، ويكون مرد هذا الانســـان الى التراب فمن الارض نشـــأنا واليها نعود . انظر قول الله تعالـــى (٨) « ولقد خلقنا الانســـان من صـــلصـــال من حمأ مسنون » . والصلصال كما فى كتب اللغة . الطين اليابس الحر المخلوط بالرمل . . . وانظر قوله جل شأنه (٩) « هـــو الذى خـــلقكم من طـــين » وقوله (١٠) . « يا أيهـــا الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب » .

وقد أثبت العلم أن هناك تشابها بين المواد التى يتـــكون منها الطين والمواد التى يتكون منها الانســـان . فالطين كما يقول المتخصصون فى علم طبقات الأرض يحتوى على مـــواد معدنية مثل الحديد ، والفســـفور ، والكالســـيوم والنحاس وغير ذلك . ومواد عضوية أساســـها النباتات والحـــيوانات الـــدقيقة التى فتتت وتحللت وامتزجت مع المواد المعدنية الموجـــودة فى الطين والتى جلبتها الأمطار من الجبال ، والصـــخور ، والمرتفعات .

وقال المتخصـــصـــون فى علم الحيوان: ان جسم الانسان يحتوى على كميات ونسب معينة من المواد التى يتكون منها الطين مما يقطـــع بقوة الصلة بين الانسان وبين الطين ويجعلنا نؤمن عن اعتقاد صادق بأننا من سلالة من طين وأن الانسان خلق من صلصال .

ويجعلنا نؤمن بحق بقرآنية هـــذا الـــكلام وأنه من عند الله . فما كان محمد صلوات الله وســـلامه عليه بالمتخصص فى علم طبقـــات الارض ولا عنده من الأجـــهزة ما يمكنه من معرفة تراكيب الانسان ومعدنه بل لم يكن عرف الجنس البشـــرى هذه الاجهزة وتلك الحقائق .

وبعد اثـــبات هذا التشـــابه فى التركيب بين عناصر الانسان والأرض يظهر بوضـــوح بطلان النظـــريات العلمية القديمة التى اتجهت الى أن الكائنات الحية نشأت هكذا من نفسها بطريق التوالد الـــذاتى من مـــواد الأرض ، والتى اتجهت الى أن المادة الحية قد وصلت الى الأرض بطريق الصدفة عن بعض الاجسام الاخرى الموجودة فى الفضـــاء ومن حقنا أن نتساءل كيف نشأت الحياة فى هذه الأجسام الأخرى الموجودة فى الفضاء

ومن الذى صنع هذا التوالد الذاتى وأوجد هذه الخاصية فيه . لابد أنه قوة عليا فوق طاقة هذه الحياة . لابد أنه الله خالق كل شىء ، وصدق الله فيما أخبر به .

وواضح أن أساس ما أتناوله بالكتابة فى هذا الموضوع هو الانسان الناشىء عن التوالد . الانسان الذى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . فلا يدخل فى موضوعنا ما خرج عن دائرة الجنين مما هو معروف من آيات الله فى خلقه غير خاضع لنظام التطوير . فهذا الخلق الأول الذى أشرنا اليه آية من آيات الله التى لا ترتبط بهذه السنن التى نحاول عرضها على القارىء الكريم ليثبت عقيدته ويقوم خلقه ويطمئن كل الاطمئنان الى أنه على حق فى عقيدته الاسلامية وأن الله حق وأن محمدا رسول الله حقا وصدقا وأن الله على رجعه لقادر ، وأنه محاسب على ما قدمت يداه .

كما أن خلق الأم الأولى للبشرية ليست مما يتصل بموضوعنا لأنها ما كانت من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، وانما خلقها الله كما شاء على مقتضى قدرته وحكمته وكما يقول (١١) : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. » وكما دلت عليه السنة النبوية الكريمة فلم يكن ، عجيبا بالاضافة الى قدرة الله أن يكون الذكر وعاء للأنثى وظرفا لخلقها وتكوينها .

وكذلك خلق المسيح عليه السلام من أمه البتول العذراء مريم لم يكن فى نظام هذا التطوير الذى نحاول عرضه على قراء مجلة الوعى الاسلامى ، وانما كان آية من آيات الله وقعت على وجه الاعجاز من غير خضوع لسنن الكون وأطواره لقول الله سبحانه (١٢) : « واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت . انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت: انى يكون لى غلام ولميمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ... » .

وسواء قلنا ان حمل المسيح عيسى ووضعه كان فى ساعة واحدة كما ينقل الالوسى فى كتابه (١٣) ، أو فى مدة الحمل الطبيعى ، أو دونه بقليل كما يقول بعض آخرون فهو شىء لم يخضع لنظام التوالد الذى نقصر بحثنا هنا عليه تبعا للآية التى ندور فى فلكها « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

هذا وقد بين لنا الله جل شأنه وعظمت قدرته أنه قسم خلق الانسان فى أقسام ثلاثة وأضاف اليها ارادته العقم فى بعض الأفراد كما يقول سبحانه (١٤) « لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير » فانظر كيف قدم الله سبحانه عرض هذه الأقسام بأن له ملك السموات والأرض مما يدل على أن له أن يتصرف بمقتضى ملكه بما يشاء ويحقق أى قسم من هذه الأقسام بقوله : « انه عليم قدير » . ليدل على أن كل هذه الأحوال كما أنها خاضعة لتثبيته . فهى غير جارية على مطلق الاستبداد بالأمر وانما هى على وفق

علمه الدقيق الحكيم وبمقتضى قدرته .

ولهذا فان الله قد يخرق العادة لبعض خلقه ممن وقع فى العقم كما وقع ذلك لسيدنا ابراهيم الخليل وزوجته سارة فقد كانت امرأته عجوزا ، عقيما وكان هو شيخا كبيرا كما يقول سبحانه (١٥) فىقصة سارة وقد بشرتها الملائكة بالولادة حكاية عنها . . « قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب » . ويقول فى موضع آخر (١٦) . « فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم . قالوا : كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » .

وكما وقعلزكريا وزوجه فيما يقصه الله علينا بقوله (١٧) : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » وبقوله سبحانه (١٨) حكاية عنه : « أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » .

فهذا التحويل الآلهى من العقم الى الانجاب شىء من آيات الله التى لا تتصل بالسنن الكونية ونظامها المعهود مع مافيه من دلالة واضحة على قدرة الله الخارقة وأنه اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . وهو ان اتصل بموضوعنا فانه لا يتصل به من ناحية ما فيه من اعجاز تتمثل فى نتاجه بعد عقم وانما يتصل به من خضوعه للسنن الكونية والتطورات التى يمر بها الجنين بعد أن من الله عليه بذلك الانتاج . ولذلك فان العقم ليس من موضوعنا هنا أيضا وانما يقتصر كلامنا على الانسان الطبيعى ومراحل تطويره فى الرحم من بدء تكوينه حتى ولادته .

والى لقاء فى مقال آخر لنبدأ الكلام فيه عن أطوار الجنين فى الرحم التى يشير اليها قول الله تعالى (١٩) : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث . . » .

---

(١) سورة العلق آية ٢/١ .
(٢) سورة لاطارق آيات ٧/٥ .
(٣) سورة السجدة آية ٨/٧ .
(٤) سورة النجم آية ٣٢ .
(٥) سورة آل عمران آية ٥٩ .
(٦) سورة الاعراف آية ١٢ .
(٧) حـ٢ص٧ طبع دار الكتب بالقاهرة .
(٨) سورة الحجر آية ٢٦ .
(٩) سورة النعام آية ٢ .
(١٠) سورة الحج آية ٥ .
(١١) سورة النساء .
(١٢) سورة مريم آيات ١٦ ــ ٢١ .
(١٣) روح المعانى جـ ١٦ ص ٧٩ .
(١٤) سورة الشورى ٤٩ ــ ٥٠ .
(١٥) سورة هود آية ٧٢ .
(١٦) سورة الذاريات آية ٢٩ ــ ٣٠ .
(١٧) سورة آل عمران آية ٤٠ .
(١٨) سورة مريم آية ٨ .
(١٩) سورة الزمر آية ٦ .



تطور الفقه ومنهج أتباع التابعين

تطور الفقه الاسلامى أمر ضرورى تتطلبه حياة الأمة التى تتجدد من زمن لآخر بمتطلباتها وحوادثها تلك الحوادث التى لايمكن حصرها على مدى العصور ، ولن يتأتى أن يكون لكل حادثة منها نص فى كتاب الله أو سنة رسوله ، ولهذا تدعو الحاجة الى الاستنباط والاجتهاد لمعرفة حكم ماجد من حوادث ، وفى هذا يقول الشهر ستانى (وبالجملة نعلم قطعا ويقينا أن الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا انه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك ايضا ، والنصوص اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية ، ومالا يتناهى لايضبطه ما يتناهى علم قطعا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد) .

وقد حذا اتباع التابعين حذو اسلافهم من الصحابة والتابعين فى فقه ماجد من حوادث معتمدين فى ذلك على ما نقل اليهم من اقوال هؤلاء السلف بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم أقرب الى عهد النبوة وأصدق فهما للقرآن (وما استنبطوه من أحكام ينبغى أن يكون موضع اهتمام الا اذا اختلفوا فيما بينهم ، وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولهم مخالفة ظاهرة .

وهذا النهج الذى نهجه أتباع التابعين هو طريق السداد الذى تقتضيه الأمانة العلمية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم ((**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله**)) .

تطور الفقه ـ المدارس الفقهية ـ أسباب الاختلاف ـ المذاهب الفقهية المشهورة ..

للأستاذ : مناع القطان

وكان اختلاف آراء الصـــحابة والتابعين فى المسألة الواحدة حافزا لأتباع التابعين على البحث فى مرجع هـــذا الاختلاف وتمحيص الرأى فيه ، وأدى هذا الى افساح المجال للاختيار وأن تأثر علماء كل بلد بشيوخهم السالفين .

المدارس الفقهية للأمصار

كان من آثار استقرار عدد كثير من الصحابة فى الأمصار الاســـلامية أن نشأ فى كل مصر منها مدرسة تولاها بادىء الأمر الصحابة بأنفسهم ، ثم خلفهم أتباعهم الذين ورثوا عنهم فقههم ورووا فتاواهم وانتقل الأمر الى أتباع التابعين على هذا النمط .

١ ــ فقهاء المدينة الســـبعة المشهورون انتقل الفقه من بعدهم الى نافع مولى عبد الله بن عمر ، وأبى بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، وعبد الرحمن بن القاســـم بن محمد بن أبى بكر ، ويحيى بن ســـعيد ابن قيس الأنصارى ، وأبى الزناد عبد الله بن يزيد بن هرمز ، وربيعة ابن أبى عبد الرحمن مولى بنى تيم من قريش وهو المعروف بربيعة الرأى ، ثم انتقل الفقه بعد ذلك الى عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن اسحاق بن مالك بن أنس ، وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون ، والامام مالك بن أنس.

٢ ــ وفى مكة انتقل فقه التابعين فيها من تلاميذ ابن عباس : عطاء بن أبى رباح ، وطاوس بن كيسان ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وعكرمة الى أبى الزبير المكى ، وعبد الله بن طاوس ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وسفيان ابن عيينة ــ ثم الى مسلم بن خالد بن سعيد الزنجى ــ ولقب بذلك لحمرته ــ وسعيد بن سالم القداح ثم الى محمد بن ادريس الشافعى .

٣ ــ وفى الكوفة انتقل الفقه من كبار التابعين علقمة بن قيس النخعى ،

والأسود بن يزيد النخعي وشريح بن الحارث الكندى القاضي وأبى ميسرة عمر وبن شرحبيل الهمداني الى ابراهيم النخعى ، وعامر الشعبى ، وسعيد بن جبير — ثم الى حماد بن أبى سليمان ، وسليمان الأعمش ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وشريك القاضي النخعي وسفيان بن سعيد الثورى ، وأبى حنيفة النعمان بن ثابت .

٤ — وفى البصرة — انتقل الفقه من الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وأبى بردة بن أبى موسى الأشعرى وجابر بن زيد أبى الشعثاء — الى أيوب بن كيسان ، والقاسم بن ربيعة ، وأياس بن معاوية القاضي ثم الى عبيد الله بن الحسن العنبرى ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد .

٥ — وفى الشام انتقل الفقه من أبى ادريس الخولاني وقبيصة بن ذؤيب الخذاعي ، وسليمان بن حبيب — الى عبد الرحمن بن جبير ، ومكحول وعمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة وعبد الملك بن مروان — الذى كان يعد من الفقهاء قبل أن يلى الخلافة — ثم الى سعيد بن عبد العزيز والعباس بن يزيد وأبى اسحاق الفزارى صاحب ابن المبارك ويحى بن حمزة القاضي ، وأبى عمرو عبد الرحمن ابن عمرو الاوزاعي .

٦ — وقدم الى بغداد بعد أن بناها المنصور عدد كثير من الائمة والمحدثين ، وكان من فقهائها أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبى صاحب الشافعي ، ثم كان امام أهل السنة أحمد بن حنبل .

٧ — وفى مصر انتقل الفقه الى يزيد بن حبيب ، وبكير بن عبد الله بن الأشج ، وعمرو بن الحارث ، ثم انتقل فقه هؤلاء الى عالم مصر أبى الحارث الليث بن سعد الذى كان معاصرا للامام مالك — ثم الى عبد الله بن وهب ، وأشهب ، وابن القاسم من أصحاب مالك ، والمزنى ، وابن عبد الحكم والبويطى من أصحاب الشافعي .

٨ — كما نشأ فى المدن الأخرى المفتوحة كثير من الفقهاء ، فكان بالقيروان سحنون بن سعيد وسعيد بن محمد الحداد .

وكان بالأندلس يحيى بن يحيى ، وعبد الملك بن حبيب ، ومنذر بن سعيد ، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ،

وكان باليمن وهب بن منبه الصنعاني ، ويحيى بن أبى كثير ، ومطرف بن مازن قاضي صنعاء ، وعبد الرزاق بن همام ، وسماك بن الفضل .

وهؤلاء الفقهاء الذين عرفوا فى الأمصار الاسلامية المختلفة كانوا جميعا يتصدون للفتيا ، دون أن يقلد أحدهم الآخر ، وان أخذ فقهاء كل مصر عن شيوخهم السابقين ، يقول ابن حزم « ثم أتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبى حنيفة ، وسفيان ، وابن أبى ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ، ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان التبى ، وسوار بالبصرة والأوزاعي بالشام ، والليث بمصر ، فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم ، وهو موجود عند غيرهم ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، وقد ذكر الخضرى هذا المعنى فقال « ولم يكن عرف بين الناس الانتساب الى فقيه معين يعمل بما ذهب اليه من رواية أو رأى وانما كان هؤلاء المفتون فى الأمصار المختلفة معروفين بالفقه ورواية الحديث ، فكان المستفتى يذهب الى من شاء منهم فيسأله عما نزل به فيفتيه ، وربما ذهب مرة أخرى الى مفت آخر ، وكان القضاة فى الأمصار يقضون بين الناس بما

يفهمونه من كتاب الله أو سنة رسوله أو رأى ان ظهر لهم ، وربما استفتوا من ببلدهم من الفقهاء المعروفين ، وربما ارسلوا الى الخليفة يسألونه ، كما حصل كثيرا فى عهد عمر بن عبد العزيز » .

أسباب الاختلاف بين الأئمة فى صدر هذه الأمة .

أولا : الظاهرة البشرية : فمما لا شك فيه أن الناس بشر ، وأن هؤلاء الائمة يعرض لهم الخطأ والنسيان ، وليست هناك عصمة فيما طريقه البلاغ الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نجد الرجل يحفظ الحديث ثم ينساه ، ولا يحضره ذكره عند الفتوى ، فيفتى بخلافه ، بل ربما عرض هذا فى آيات القرآن الكريم ، وآية ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب على المنبر وأمر الا يزاد فى مهور النساء فذكرته امراة بقول الله تعالى ((**وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا**)) فترك قولهوقال — كل أحد أفقه منك يا عمر — امرأة أصابت وأمير المؤمنين أخطأ .

وأمر برجم امراة ولدت لستة أشهر ، فذكره على بقول الله تعالى ((**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**)) مع قوله تعالى ((**والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين**)) فرجع عن الأمر برجمها .

ثانيا : ان الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة فى الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند كل واحد منهم من العلم ما ليس عند الآخر ، وفيهم المقل وفيهم المكثر ، وقد تفرق هؤلاء وأولئك فى الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات الاسلامية ، فاذا عرضت قضية فى مصر منها نظر الصحابة الحاضرون فيها ، فان وجدوا أثرا عن النبى صلى الله عليه وسلم حكموا به ، والا كان الاجتهاد ، وقد يكون فى تلك القضية حكم عن النبى صلى الله عليه وسلم لدى صحابى آخر فى بلد آخر ، ولهذا أمثلة كثيرة .

١ — فقد كان حكم التيمم عند عمار وغيره ولم يعلمه عمر وان مسعود فقالا لا يتيمم الجنب .

٢ — وكان حكم الاستئذان عند أبى موسى ، وعند أبى سعيد ولم يعلمه عمر .

٣ — وكان حكم تحريم المتعة والحمر الأهلية عند على وغيره ، ولم يعلمه ابن عباس .

٤ — وكان حكم الاذن للحائض فى أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سليم ، ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت .

٥ — وكان حكم أخذ الجزية من المجوس عند عبد الرحمن بن عوف ، ولم يعلمه عمر وجمهور الصحابة .

٦ — وكان حكم اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب عند ابن عباس وعمر ، فنسيه عمر سنين ، ثم ذكر فذكر فأجلاهم .

ثم جاء التابعون ، ثم اتباع التابعين ، وتفقه كل على من قبله .

ثالثا : ان بعض النصوص قد يبدو فى ظاهرها التعارض ، فيجتهد فيها أحد هؤلاء الفقهاء وهو مأجور أصاب أم أخطأ ، فيميل الى ترجيح أحد النصين على الآخر ، بينما يميل غيره الى ترجيح هذا الآخر لمرجح لديه .

كما روى عن عثمان فى الجمع بين الاختين قال : حرمتهما آية ، وأحلتهما

آية ، وكما مال عمر الى تحريم نســاء أهل الكتاب لقوله تعالى « **ولا تنكحـوا المشركات حتى يؤمن** » وقال لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها ، وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة فى الآية الأخرى « **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب** » .

المذاهب الفقهية المشهورة وأصولها

تحدثنا آنفا عن المدارس الفقهية ، وذكرنا أئمة الفقه فى كل مصر ، ولكن بعض هؤلاء الأئمة قد وجد أتباعا يعملون على ذيوعه وانتشاره ، فكان مذهبهم أوفر حظا ، وتتابع الأخذ به والتفريع عنه حتى صار مذهبا مشهورا ،، بينما لم يجد الآخرون مثل هذا الحظ فأصبح فقههم منثورا فى بطون الكتب ، ولم يتيسر لهم من الأتباع من ينشر مذهبهم ، فالأئمة الأربعة المعروفون لم يكونوا جميعا أحق بالخلود من آخرين كالاوزاعى امام أهل الشام ، وسفيان الثورى الذى قال فيه ابن عيينة : ما رأيت رجلاأعلم بالحلال والحرام من الثورى ، والليث بن سعد امام أهل مصر ، وصديق الامام مالك الذى قال فيه الشافعى هو أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به ، وغير هؤلاء كثير ، وسوف نقتصر هنا على بيان أصـول المذاهب المشهورة اجمالا بما يعطينا فكرة عن كل مذهب منها .

١ ــ ابو حنيفـة

تركزت مدرســة أهل الكوفة أو أهل الرأى فى أبى حنيفة ، ويمكن اجمال أصول مذهبه فيما يأتى :

١ ــ التشدد فى قبول الحديث :

كان أبو حنيفة يتحرى عن رجال الحديث ، ويتثبت من صحة روايتهم فقد لا يقبل الخبر عن رســول الله صــلى الله عليه وسلم الا اذا رواه جماعة عن جماعة ، أو اتفق فقهاء الأمصار على العمل به فأصــبح مشهورا ، وبهذا تضيق دائرة العمل بالحديث ، وقد نقل الشافعى فى الأم عن أبى يوسف ما يوضح خطته وخطة أبى حنيفة شيخه فى ذلك قال أبو يوسف (فعليك من الحديث مما تعرفه العامة ، واياك والشاذ منه ، فانه حدثنا ابن أبى كريمة عن أبى جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود فحدثوه حتى كذبوا على عيسى ، فصــعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال (**ان الحديث سيفشو على فما آتاكم عنى يوافق القرآن فهو منى وما آتاكم عنى يخالف القرآن فليس منى**) وكان عمر فيما بلغنا لا يقبل الحديث عن رسول الله صــلى الله عليه وسلم الا بشــاهدين ، وكان على بن أبى طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله والرواية تزداد كثرة ويخرج منهــا مالا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه ، ولا يوافق الكتاب ولا السنة ، فاياك وشاذ الحديث ، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث ، وما يعرفه الفقهاء ، فقس الأشياء على ذلك فما خالف القرآن فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان جاءت به الرواية فاجعل القرآن والسنة المعروفة لك اماما وقائدا ، واتبع ذلك وقس عليه مايرد عليك مما لم يوضح لك فى القرآن والسنة .

٢ ـ التوسع فى القياس

وحيث ضاقت دائرة الأخذ بالحديث كان التوسع فى الاخذ بالقياس ، وهكذا كان أبو حنيفة يعمل رايه فى المسألة ، ويجتهد فى استنباط حكمها دون أن يتقيد بقول سابق للصحابة أو التابعين مالم يتبين له صحة نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عنه انه قال (انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات ، فاذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وادع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم ، فاذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين وسعيد ابن المسيب فلى أن أجتهد كما اجتهدوا) .

٣ ـ الاستحسان :

يعتبر الاستحسان من أصول الادلة فى مذهب أبى حنيفة وان بالغ فى الاخذ به بعض العلماء الاحناف فقالوا : ان المجتهد له أن يستحسن بعقله الا ان المتأخرين منهم على أن الاستحسان عبارة عن دليل يقابل القياس الجلى الذى تسبق اليه الافهام .

٤ ـ الحيل الشرعية :

ينسب كثير من الباحثين الى فقه أبى حنيفة الحيل الشرعية ، وانها كانت بابا واسعا من أبواب الفقه فى مذهبه ، وقد تكلم ابن القيم عن الحيل فى كتابه (أعلام الموقعين) وشنع على من توسع فيها وقال (ان المتأخرين أحدثوا حيلا لم يصح القول بها عن أحد من الائمة ، ونسبوها الى الائمة وهم مخطئون فى نسبتها اليهم) . واكثر ما ينسب الى أبى حنيفة من ذلك أفتى به فى مسائل تتعلق بالايمان عامة وبالطلاق خاصة ، وليس فيها تحايل على ابطال حق ، ولكنها استنباط فقهى للخروج من مأزق كأن يحلف رجل ليقربن امرأته نهارا فى رمضان فيفتيه أبو حنيفة أن يسافر بها فيقربها نهارا فى رمضان ، ويحلف آخر وقد رأى امراته على السلم فيقول : أنت طالق ثلاثا ان صعدت ، وطالق ثلاثا ان نزلت ، فيفتيه أبو حنيفة أن تقف المرأة على السلم ولا تصعد ولا تنزل ، ويحتال جماعة يحملون السلم بالمرأة فيضعونها على الارض وهكذا .

٢ ـ مالك :

كما تركزت مدرسة أهل الرأى فى أبى حنيفة تركزت مدرسة أهل الحديث فى مالك رضى الله عنه ومن أصول مذهبه .

١ ـ الاهتمام بالحديث :

اهتم مالك بالحديث ولم ينهج نهج أبى حنيفة فى تضييق دائرته ، واشتراط

شهرته مع تحرى صحة السند ، وكان يقول لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ ممن سواهم لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحمل وما يحدث به .

وقد جمع مالك فى كتابه (الموطأ) ما صح من الاحاديث والاخبار لديه ، واعتبره أساسا لمذهبه .

٢ ــ عمل أهل المدينة :

ذهب مالك الى ان المدينة هى دار الهجرة ، وبها نزل القرآن ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام صحابته ، واهل المدينة أعرف الناس بالتنزيل ، وبما كان من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحى ، وهذه ميزات ليست لغيرهم ، وعلى هذا فالحق لا يخرج عما يذهبون اليه ، فيكون عملهم حجة يقدم على القياس ، وعلى خبر الواحد ، وفى كتاب الامام مالك الى الليث بن سعد « ان الناس تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن » .

٣ ــ قول الصحابى :

ويرى مالك فى مذهبه أنه اذا لم يرد حديث صحيح فى المسألة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فان قول الصحابى اذا لم يعلم له مخالف يكون حجة ، وقد ضمن موطأه العديد من أقوال الصحابة والتابعين ، فالصحابة أعلم بالتأويل ، وأعرف بالمقاصد لأنهم حضروا التنزيل وسمعوا كلام رسول الله ، فقولهم أولى بالاخذ يخص به العام ، ويترك لأجله القياس .

٤ ــ المصالح المرسلة :

والعمل بالمصالح المرسلة أساس من الاسس التى اعتمد عليها مالك فى مذهبه ، وهى جلب منفعة او دفع مضرة لم يشهد لها الشرع بابطال ولا باعتبار معين ، لأن تكاليف الشريعة ترجع الى حفظ مقاصدها فى الخلق ضرورية كانت أو حاجية أو تحسينية ، **والضرورية :** هى التى لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا فى الضروريات الخمسة الثابتة فى الملل جميعا وهى حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل .

والحاجية : هى التى تؤدى الى رفع الضيق والحرج والمشقة .

والتحسينية : هى المتعلقة بمكارم الاخلاق ، وكون هذه المعانى مقصودة عرف بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة مما يدل على مقاصد الشرع ، ولذا ذهب مالك الى أن هذه المصلحة تكون حجة .

٣ ــ الشافعى :

١ ــ المنحى الوسط :

كانت رياسة الفقه قد انتهت فى العراق الى أبى حنيفة ، وفى المدينة الى

مالك بن أنس ، وقد لازم الشافعى مالكا ، واخـذ عنه كما اخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، فاجتمع اليه علم اهل الرأى وعلم أهل الحديث ، وانتحى مذهبا وسطا أصل اصوله ، وقعد قواعده .

خالف أبا حنيفة فى تقديم القياس على خبر الآحاد ، ودافع دفاعا شديدا عن العمل بخبر الواحد ، ما دام راوية ثقة ضابطا ، وما دام الحديث متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشترط شهرته كما اشترط أهل العراق كما أنكر على أهل الرأى العمل بالاستحسان ، وخالف مالكا فى حجية عمل أهل المدينة ، والقول بالمصالح المرسلة .

٢ ـ أساس مذهبه :

دون الشافعى أساس مذهبه فى رسالته الاصولية فهو يحتج بظاهر القرآن ، ثم بالسنة ، ثم بالآثار الصحيحة ، ثم يعمل بالاجماع عند عدم العلم بالخلاف ، فان لم يكن هناك دليل مما سبق عمد الى القياس فعمل به ، مشترطا أن يكون له أصل معين يقول فى رسالته (ان جهة العلم الكتاب والسنة والاجماع والآثار ، ثم القياس عليها ولا يقيس الا من جمع الآلة التى له القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وأدبه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ، ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن ، واقاويل السلف ، واجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشبه ، ولا يعجل بالقول به دون التثبت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد تثبتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك) .

٤ ـ أحمد بن حنبل :

أصول مذهبه :

فقه السنة : أخص ما يتميز به مذهب أحمد أنه يقوم على فقه السنة ، ولذا فانه يعد من كبار المحدثين ، وقد ذكر ابن القيم أن فتاوى أحمد بن حنبل مبنية على خمسة أصول نجملها فيما يأتى :

١ ـ أحدها النصوص :

فاذا وجد النص أفتى بموجبه ، ولم يلتفت الى ما خالفه ، ولا من خالفه كائنا من كان ، ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا .

وثانيها :

فتاوى الصحابة أى ما أفتى به الصحابة اذا وجد لبعضهم فتوى لا يخالفه فيها أحد منهم ، ولم يقل الامام أحمد ان ذلك اجماع ، بل كان يقول تورعا لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو ذلك .

وثالثها :

الاختيار من فتاوى الصحابة اذا اختلفوا فانه يتخير من اقوالهم أقربها الى الكتاب والسنة .

ورابعها :

الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يجد فى الباب اثرا يدفعه ولا قول صاحب فان العمل به عنده أولى من القياس .

وخامسهما :

القياس للضرورة فاذا لم يكن عنده فى المسألة نص ولا قول للصحابة او واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو حديث ضعيف عدل الى القياس فاستعمله للضرورة .

الظاهريـــة :

كانت العراق قاعدة أصحاب الرأى ، ولكننا نرى فى مطلع القرن الثالث الهجرى رجلا يولد بالكوفة (٢٠٠ — ٢٧٠ هـ) وينشأ ببغداد ، ويأخذ العلم عن اسحاق بن راهويه ، وأبى ثور ، ويدرس مذهب الامام الشافعى ، ويتعصب له ، ويصنف فى مناقبه ، وتنتهى اليه رياسة العلم ببغداد ، ثم يستقل بمذهب جديد على النقيض من مذهب أصحاب الرأى ، فينكر القياس ، ويرى أن عموم النصوص من الكتاب والسنة تكفى لبيان الأحكام ، لأن القول بالقياس تشريع عقلى ، والدين الهى ولو كان الدين بالعقل لجرت أحكام على خلاف ما أتى به الكتاب والسنة ، ولهذا وجب أن نتقيد بظاهرهما الا اذا قرن النص بعلة الحكم ، وقد قال الله ((**وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله**)) ولم يقل الى الرأى والقياس .

ذلك الرجل هو أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى ، المعروف بالظاهرى .

وقد اتبع مذهب الظاهرية كثير من الناس فى فارس والأندلس ، ومن اشهر رجاله أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد المغلس ، وأبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، ومن أمثلة ذلك فى فقههم .

١ — أن الاسلام حرم الربا وقال صلى الله عليه وسلم ((الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء)) .

وقد ذهب عامة الفقهاء الى أن الحرمة لا تقتصر على هذه الأنواع الستة بل تتعداها الى غيرها قياسا ما وجدت العلة واختلفوا فى علة المطعومات

١ — فقال جماعة ان علة تحريم الربا فى المطعومات الكيل والوزن وعلى هذا يجرى الربا فى كل مكيل أو موزون بيع بجنسه مطعوما كان أو غير مطعوم .

٢ — وقالت طائفة : العلة كونه مطعوما فيحرم الربا فى كل مطعوم قوتا كان أو فاكهة أو دواء .

٣ ــ وذهب قوم الى أن العلة كونه طعاما مكيلا أو موزونا .

٤ ــ وقال آخرون العلة الاقتيات والادخار أى كون الطعام مقتاتا مدخرا .

أما الظاهرية الذين لا يأخذون بالقياس فلم يوافقوا على هذا ، وقصروا الربا على الأصناف الستة المذكورة فى الحديث ، وقالوا ان الشارع خص من المكيلات والمطعومات والاقوات أشياء أربعة ــ فلو كان الحكم ثابتا فى كل المكيلات أو فى كل المطعومات لقال مثلا :

لا تبيعوا المطعوم بالمطعوم متفاضلا بالنص على علة التحريم ، فان هذا الكلام يكون اكثر اختصارا وفائدة ، فلما لم يقل ذلك ، بل عد الأربعة علمنا ان حكم الحرمة مقصور عليها .

٢ ــ وذهب الأئمة الأربعة الى ان حد الأمة اذا زنت خمسون جلدة بكرا كانت أو ثيبا ، اما الثيب فلقوله تعالى ((**فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب**)) والمراد بالعذاب الجلد لأن الرجم لا يتجزأ ، وأما البكر فلما فى الصحيحين من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة اذا زنت ولم تحصن فقال ((**اذا زنت فاجلدوها ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير**)) .

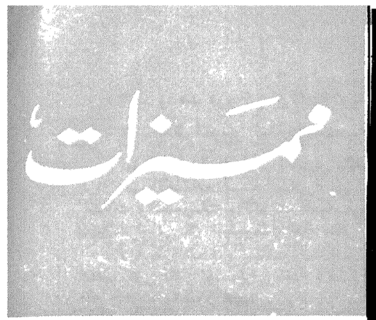
وقال داود ــ على الأمة نصف الحد اذا زنت وكانت محصنة لظاهر الآية وتجلد مائة اذا كانت بكرا لظاهر العموم فى قوله تعالى ((**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**)) وقد خرج من هذا العموم الأمة المحصنة بقوله تعالى ((**فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات**)) فتبقى التى لم تحصن فى العموم .

هذه فكرة مجملة عن نشأة الفقه الاسلامى وأصول مذاهبه تصور لنا ذلك الجهد الذى بذله علماء هذه الأمة وائمتها ، وكيف حرص هؤلاء المجتهدون على النظر فى شريعة الله ؟ واجهدوا قرائحهم فى معرفة أحكام ماجد من حوادث ، وقد خلفوا لنا تراثا فقهيا خالدا يتضمن من الشروح والتفسيرات ما يكشف عن ثروة شريعتنا وعظمة مبادئها ونمو قواعدها ، فهى شريعة حية لاينضب معينها ، ولا يغيض ماؤها .

واليوم ــ وقد تكالبت على أمة الاسلام قوى الشر فى الشرق والغرب ، ونفثت سموم افكارها وسحرت أعين الناس ببريق خداعها ، وتخلت أقطار اسلامية عزيزة عن تحكيم شريعة ربها ، وانسلخت عن تاريخ مجدها وولت وجهها شطر الغرب تارة ، والشرق أخرى ــ اليوم وقد وصلت أمتنا الى هذا الدرك تتطلع النفوس المؤمنة الواعية فى أنحاء العالم الاسلامى الى يقظة جديدة تنفض عن كاهل أمتنا ركام هزيمتها ، وتعيد اليها ثقتها فى عظمة شريعتها وتشق طريق الكفاح فى سبيل هذه الغاية مجاهدة صابرة محتسبة حتى تحطم طواغيت الضلال والفساد ((**الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا**)) .

والانسانية المعذبة التى تكتوى بنار الصراع الدولى فى عصر يسمونه عصر المدنية تنتظر ساعة الخلاص مما أصابها من بلاء ،

وعلى يد الجيل المسلم المجاهد فى كل بلد ترتقب الدنيا هذه الساعة لتقر عينها ويهدأ بالها فالاسلام كان ــ ولا يزال ــ سفينة نوح فى كل طوفان .



« ١ »

ريادتها وأسبقيتها

« ٢ »

عمومها وشمولها

« ٣ »

توازنها واعتدالها

« ٤ »

مراعاتها للحقوق الإنسانيّة الاخرى

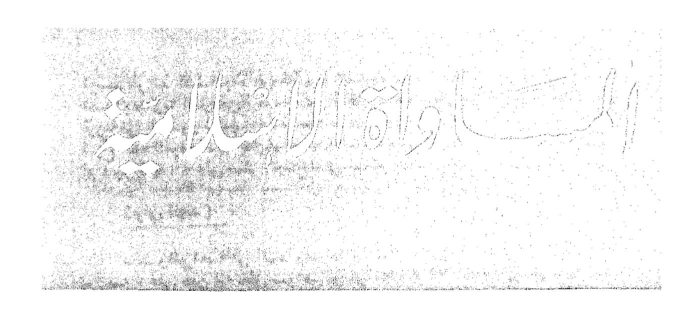
« ٥ »

جمعها بين التشريع والتطبيق

أشرقت شمس الاسلام ، فى تلك البقعة الصحراوية بين تهامة ونجد ، وظلمات العصور الوسطى ، تسود العالم شرقا وغربا ، فلا بصيص لأى حق من حقوق الانسان ، ولا حرية ولا اخاء ولا مساواة ، هنا أو هناك .. عند العرب أو غيرهم ..

عند العرب :

أ ــ فالعرب تنكروا بجاهليتهم الجهلاء لسائر هذه الحقوق ولا سيما حق المساواة ، بين العربى والعربى وبين العربى وغير العربى .. وقد حاول كسرى أبرويز ــ وهو ملك الفرس ــ أن يصهر الى النعمان بن المنذر أحد ولاته الخاضعين لجبروته وسلطانه ، ولكن النعمان أبى أن يزوجه من ابنته (حرقة بنت النعمان) فكبر ذلك على كسرى ، الذى استدعاه الى (المدائن) عاصمة الفرس ، حيث أمر بطرحه تحت أقدام الفيلة التى صرعته شر مصرع .. ولما حذر كسرى أن يظفر بابنة هذا العربى الصريح ، أباها عليه هانىء بن قبيصة ، الذى استودعه النعمان



ابنته قبيل سفره الى (المدائن) . . وانتهى الأمر بالعرب والفرس من جراء ذلك الى (موقعة ذى قار) (١) التى هى أول معركة أنتصر فيها العرب على الفرس .

ويحدثنا مجد الدين بن الأثير ، أن أحد دهاقين الفرس ، حاول أن يتزوج عربية من قبيلة باهلة ، ولكن الباهليين أبوا عليه هذا « الشرف الرفيع لأنهم يرون نفوسهم — وان كانوا من باهلة — أسمى وأعظم من كل أعجمى كائنا من كان . . فلا مساواة بين العربى والاعجمى — ولا مساواة بين العربى من قريش مثلا والعربى من باهلة أو تيم التى قال فيها شاعرهم بيته المشهور مستخفا بها :

ويقضى الأمر حين تغيب « تيم » ولا يستأمرون وهم شهود

(عند بنى اسرائيل)

ب — والاسرائيليون كانوا يعتقدون فى نفوسهم أنهم « شعب الله المختار لأنهم من سلالة الأبن البار بأبيه » سام بن نوح على حين أن الكنعانيين أبناء الابن العاق لأبيه « حام بن نوح » لم يخلقهم الله الا خدما وأتباعا لهم ، استجابة لدعوة نوح على ابنه حام ونسله الكنعانيين . . مصداقا لما جاء فى الاصحاح التاسع من سفر التكوين .

(وفى اليونان)

ج — واليونان القدامى ، كانوا يطلقون على غيرهم أسم « البربر » ويرون نفوسهم أفضل الناس ، وذلك ما عبر عنه بأسلوبه الفلسفى المعلم الأول

---

(١) انظر الطبرى ج ٢ ص ١٥٠ ، ثم ، العقد الفريد ٣ : ١١٣ .

أرسطو – كما جاء فى كتاب (السياسة) .. ثم عبر عنه عفوا أو قصدا بأسلوبه التاريخى (هـ . ا . ل . فشر) حيث قال ص ١١ من كتابه « تاريخ اوربا فى العصور القديمة » ما نصه « اننا معشر الأوروبيين أبناء هيلاس » وفى شرح هذه العبارة قال المترجمان لهذا الكتاب ص ١٤٥ « يطلق اسم (هيلاس) أو (جرايكيا) ، على شتى البقاع التى استقر بها الاغريق قديما » .

(وفى الهند)

د – والبراهمة فى الهند وغيرها ، كانوا يعتقدون أن (براهما) قد خلقهم من فمه ، على حين أنه خلق سواهم من ذراعه ، أو من فخذه ، أو من قدمه فكيف يرضون المساواة بينهم وبين غيرهم ؟ وأين الفخذ أو الذراع فضلا عن القدم من الفم أعلى وأشرف الاعضاء ؟ وأين المنبوذون الخدم الاتباع ، من سادتهم البراهمة ؟ وأين الثرى من الثريا ؟

هكذا كان حق المساواة بين الانسان وأخيه الانسان ، لا مكانة له ولا مكان وقت ظهور الاسلام ، الذى أعلن وطبق كل حق من حقوق الانسان ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وللمرة الاولى فى تاريخ الانسان .

(الاسلام وحده)

وبذلك أحرز الاسلام قصب السبق (والتقدمية) مع الاحاطة والشمول ، فى توازن واعتدال بين الحقوق والواجبات .. حتى لا يجور حق على واجب ، ولا يطغى حق على حق آخر من حقوق الانسان ، التى اعتبرها الاسلام كلا لا يتجزأ ، بل حلقة مفرغة لا يدرى : أين طرفاها ؟ ولا غنى لطرف منهما عن الآخر .. واعتبرها فى تعاونها على اسعاد الانسان ، كاليدين للانسان ، والجناحين للطائر ، واليد الواحدة لا تصفق ، والجناح الواحد لا يحلق .

(حقيقة المساواة)

وماذا يعنى الاسلام بالمساواة ؟

لا يعنى بها المساواة بين الناس ، فى الملكات الشخصية ، والمواهب الطبيعية ، والاستعدادات الوراثية (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ..) مختلفين ومتفاوتين فى مواهبهم وقدراتهم وامكانياتهم ، والمساواة بينهم فى ذلك . هى عين المستحيل ، الذى عناه الفيلسوف الانجليزى الحديث (هكسلى) بقوله « ان أية محاولة للمساواة بين الناس مقضى عليها بالاخفاق ، وانما المستطاع تهيئة فرص متساوية للجميع ، لأن بعض الناس يولدون مبصرين ينظرون بعيدا ، وبعضهم يولدون عميانا أو ضعاف بصر ، على تفاوت طبيعى بينهم فى ذلك ... » .

وانما يعنى الاسلام بالمساواة ، المساواة بين الجميع ، على اختلاف أديانهم وألوانهم وأجناسهم ، فى تكافؤ الفرص بينهم ، وفى اتاحة العمل الملائم لكل منهم ،

وفى جزاء كل منهم على عمله خيرا أو شرا فى الدنيا والآخرة ، دون ما نظر الى الفوارق والاعتبارات التى تحيد بنا مراعاتها عن سواء السبيل ، أو تميل بميزان العدالة المنشودة بعض أو كل الميل (من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

وهذه المساواة الاسلامية ، نستطيع أن نقسمها تقسيما تقريبيا الى ثلاثة أقسام :

١ ــ مساواة اقتصادية ...
٢ ــ مساواة اجتماعية ....
٣ ــ ومساواة قانونية ....

<u>أما المساواة الاقتصادية فأبرز معالمها ما يأتى :</u>

١ ــ المساواة بين الناس فى التمتع بحق بقاء الملكية الشخصية بقاء حقيقيا أو بقاء اعتباريا ، وقد اعتبر الاسلام حرمة هذه الملكية الفردية أعظم وأقدس عند الله من حرمة الكعبة البيت الحرام ــ كما قال عليه الصلاة والسلام ــ ما دامت هذه الملكية الشخصية لا تتجاوز الحدود المشروعة بالتضخم أو الاستغلال أو المضارة للمصلحة العامة ، التى يجعل الاسلام لها الاعتبار الأول .

٢ ــ والمساواة بينهم فى الانتفاع بالملكيات الجماعية ، التى لا يملكها ولا يصح أن يملكها شخص معين ، وانما تملكها الشخصية المعنوية للجماعة أو الأمة أو الدولة أو الانسانية ، شأنها فى ذلك تقريبا شأن الأرض والسماء والشمس والقمر والهواء وما الى ذلك مما يدخل فى (المرافق العامة) التى أشار الى بعضها رسول الاسلام بقوله صلى الله عليه وسلم « الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار » وفى (١) رواية (الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلأ والنار) ، وفى سنن أبى داود أن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما الشىء الذى لا يجوز منعه ؟ فقال الماء . قال وماذا أيضا ؟ قال الكلأ فقال وماذا أيضا ؟ قال الملح ...

وفى حديث آخر أن رجلا يدعى « أبيض بن حمال » وفد من اليمن على رسول الله ، وطلب اليه أن يقطعه الملح الذى ببعض الجهات فى بلاده ، فأقطعه له رسول الله .. ولما خرج الرجل قال أحدهم يارسول الله أن هذا الملح بأرض ليس فيها ماء ، ومن ورده من الناس أخذه وهو مثل الماء الجارى . فعاد الرسول وانتزع الملح من أبيض بن حمال ... وجعله من المرافق العامة التى ينتفع بها الجميع ... وفى تعليل ذلك يقول ابن قدامه فى كتابه (المغنى) ما نصه (لأن هذا الملح تتعلق به مصالح المسلمين العامة ، فلم يجز اقطاعه) وفى القياس على الملح وما اليه يقول امامنا الشافعى فى الجزء الثالث من (الأم) ص ٢٦٦ فى (باب احياء الموات) (... ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو مومياء أو حجارة ظاهرة

---

(١) أنظر مصابيح السنة فى الحسان ، ثم انظر كتاب الأموال لابن سلام ص ٢٩٥ .

فى غير ملك لأحد فليس لأحد أن يتحجرها دون غيره ، ولا لسلطان أن يمنعها لنفسه ولا لخاص من الناس ، لأن هذا كله ظاهر كالماء والكلأ ، ولو تحجر رجل لنفسه من هذا شيئا أو منعه من له سلطان كان ظالما .. » .

٣ ــ والمساواة بينهم فى امكانيات الفرص واتاحتها للحصول على المال ، بالجد والعمل ، دون ما انحراف عن سواء السبيل بالربا أو الرشوة أو الغش أو الاستغلال .. أو نحو ذلك من ألوان أكل أموال الناس بالباطل ، أو الاخلال بأى حق من حقوق الأمة والجماعة ، مما يؤدى الى التفاوت الطبقى المدمر ، ويستحيل به رأس المال من عامل له أثره فى الانتاج العام ، الى غول يفترس المصلحة العامة ، ويفرض سيطرته ونفوذه عليها ، ووراء ذلك ما وراءه من الضرر والضرار « لا ضرر ولا ضرار » فى الاسلام كما قال عليه الصلاة والسلام ..

٤ ــ والمساواة بين جميع الولاة والحكام ، فى تحريم استغلال النفوذ والسلطان ، وهذا واجب الأمة حكومة وشعبا فى محاسبة هؤلاء الحكام أو الرؤساء المستغلين ، كما حاسب رسول الله ابن اللتيعة الأزدى عامله لجمع الزكاة ، وسأله عما معه من المال ، فقسمه الرجل قسمين قائلا : هذا لكم .. وهذه هدايا أهديت إلى .. فظهر الغضب فى وجه رسول الله ، وقام وخطب الناس قائلا ــ كما روى البخارى وغيره ... « ... أما بعد .. فانى أستعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا أهديت إلى .. فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر : أيهدى إليه أم لا ؟ » وكما حاسب عمر بن الخطاب أبا هريرة عامله على البحرين ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وابنه عبد الله بن عمر ــ كما روى الامام الذهبى فى « تاريخ الاسلام » ...

٥ ــ والمساواة بين أصحاب الملكيات الشخصية فى وجوب مراعاة المصلحة العامة ، فمن تقبل منهم ذلك بروح تعاونية سمحة كان جديرا بشرف المساواة بينه وبين أمثاله ... ومن أبى فليس له الا السلطان الذى يزع الله به ما لا يزع بالقرآن ، كما صنع الرسول مع « سمرة بن جندب » الذى كان له نخل فى بستان رجل من الانصار ، وكان يكثر من دخوله البستان هو وأهله ، مما جعل صاحب البستان يستغيث برسول الله .. فاستدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره أن يبيعه نخله .. فأبى .. فقال له : هبها لى ولك مثلها فى الجنة . فأبى أيضا . فقال له عليه الصلاة والسلام بقوة وحزم : أنت مضار ... ثم قال لصاحب البستان : اذهب فاقتلع نخله ..

وكما صنع عمر بن الخطاب القوى الأمين ، مع محمد بن مسلمة الذى كان يملك بستانا يمر من خلاله الماء الى أرض يملكها الضحاك بن خليفة الأنصارى .. فأبى صاحب البستان أن يدع الماء يصل الى أرض الضحاك .. فاستدعاه عمر وسأله : اعليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك ؟ قال : لا ... فقال عمر : والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمررته ...!!!

٦ ــ والمساواة بين جميع التجار فى تحريم الاحتكار ، والتحكم فى الاسعار ، وما الى ذلك من أساليب الضرار التجارى التى حرمها الاسلام تحريما

قاطعا بقول الرسول « لا ضرر ولا ضرار » وقوله « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » وبهذا الهدى المحمدى اهتدى الخلفاء الراشدون . فى وصاياهم للولاة والعمال ، من طراز وصية على بن أبى طالب الى الأشتر النخعى عقب توليته حكم مصر ...

وأما المساواة الاجتماعية الاسلامية فأبرز معالمها ما يأتى :

١ ــ المساواة بين الناس جميعا فى سائر الحقوق الاجتماعية للفرد ولا سيما حق الغذاء .. والكساء .. والمسكن .. والعلم .. ونحو ذلك ، دون ما تفرقة بين المسلم وغير المسلم . وهنا مسولية الأمة حكومة وشعبا ، تلك المسئولية التى قررها وأكدها كثير من فقهــاء الاسلام الذين ذهبوا ــ وفى مقدمتهم الامام ابن حزم ــ الى تقرير مسئولية البلد الذى يموت أحد أفراده جوعا فيدفع أهل البلد الدية متضامنين ، كأنهم شركاء فى المسئولية عن موته جوعا ، مسلما كان أو غير مسلم ، مصداقا للحديث المحمدى الشريف : « أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله.. » وبهذه الروح الاسلامية تشبع عبد الله بن عباس وهو يقول لغلامه أكثر من مرة : يا غلام لا تنس جارنا اليهودى ... وتشبع عمر بن الخطاب وهو يظل بلــواء التضامن الاجتماعى الاسلامى شيخا ضريرا يهوديا ــ كما روى أبو يوسف فى كتابه « الخراج » ص ١٢٦ ...

٢ ــ المساواة بين الجميع فى وجوب النهوض بالأعباء الاجتماعية التى تقتضيها المصلحة العامة ، ولا سيما الزكاة والضرائب والكفارات وما الى ذلك مما يطالب به القادرون عليها ايجابا أو ندبا ، حسبما يملك هؤلاء القادرون ...

٣ ــ المساواة بين الجميع فى وجوب احترام قواعد الميراث الاسلامى احتراما كاملا غير منقوص

أ ــ فلا حرمان لولد دون آخر من الميراث كما حاول النعمان بن بشير أن يصنع ذلك لولده من عمرة بنت رواحة ... فأبت عليه هذه الزوجة المؤمنة أن يحابى ولدها ... مستشهدة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أيدها فى موقفها قائلا لزوجها : اذهب فانى لا أشهد على جور .

ب ــ ولا حرمان للأنثى دون الذكر من الميراث فهذه جاهلية جهلاء ، ما تزال لها رواسبها حتى اليوم مع الأسف الشديد .

ج ــ ولا تحايل على قواعد الميراث بالوصية لوارث ميلا مع الهوى اهتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عقب نزول آيات المواريث « إن الله أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث ... »

د ــ ولا عدوان على حقوق الورثة بالوصية لغير وارث إلا فى حدود ثلث التركة ــ والثلث كثير ــ كما قال الرسول لســعد بن أبى وقاص فى حديثه المشهور ...

٤ ــ المساواة بين البيض والسود ، وبين العرب وغيرهم بقول رسول الله « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ، وليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح » وهذه المساواة العنصرية واللونية التى شرعها وطبقها الاسلام منذ مئات الأعوامما تزال بعض الدول « الراقية » بمعزل عنهـا فى النصف الثانى من القرن العشرين قرن التفرقة العنصرية واللونية التى ما تزال لها رواسبها ومظاهرها وآثارها ، حتى فى بيوت الله ، ومعاهد العلم والثقافة ، فى اتحاد جنوب إفريقية ، وفى بعض الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا سيما ولاية« أركيساس » وولاية « الاباما » وولاية « فرجينيا » ...

وقد ابت العنصرية البغيضة على العالم الفرنسى « جوبينو » الا أن ينادى عام ١٨٥٨م بتفضيل الجنس الآرى على الجنس السامى ، ونسج على منواله « رينان » و « هانوتو » و « داركور » .. وأخيرا « أرنولد توينبى » و « أزفلد شبنجلر » اللذان رسما للعالم المتحضر الأبيض حدودا تمتد من ألمانيا شرقا .. إلى الولايات الأمريكية المتحدة غربا .. ومن السويد والنرويج شمالا ... الى ايطاليا جنوبا ...

فأين هذه التفرقة العنصرية واللونية البغيضة من المساواة الاسلامية الاجتماعية التى أعلنها الاسلام ، ثم طبقها بالمؤاخاة العملية بين بلال الحبشى وصهيب الرومى .. والمؤاخاة بين سلمان الفارسى وعلى بن أبى طالب الهاشمى .. والصعود بالعبد الحبشى بلال فوق الكعبة المعظمة لأداء الأذان الاسلامى الخالد وتوليته على المدينة .. وتولية ميمون الفارسى بلاد اليمن ، ثم تولية ابنه مهران من بعده .. وارسال عبادة بن الصامت سفيرا إسلاميا الى المقوقس حاكم مصر الذى لم يكد يرى لونه الأسود الرهيب حتى قال لمن حوله مذعورا : نحوا عنى هذا الأسود .. فأجابه عبادة مرفوع الرأس ، موفور الكرامة : إن ورائى من هو أشد سوادا منى وأفظع منظرا . وانى لأدعوك الى الاسلام .. فان أبيت فالجزية .. فان أبيت فالسيف ..

٥ ــ المساواة بين الرجل والمرأة مع الاقرار للرجل بدرجة شورية تعاونية . تشبه درجة الرأس على سائر أعضاء الجسم مصداقا لقوله سبحانه « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وقوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. » وقد أثبت الله فى هذه الآية ــ كما قال المرحوم السيد رشيد رضا فى كتابه « نداء الجنس اللطيف ص ٧ ــ « الولاية المطلقة » : للمؤمنات كما أثبتها للمؤمنين على السواء ...

المساواة القانونية الاسلامية :

وهى بتعبير شعبى موجز : المساواة بينهم فى **الأصل والفصل** وتفصيلا لهذا الاجمال نقسم هذه المساواة ثلاثة أقسام :

١ ــ المساواة بين البشر جميعا فى الأصل الانسانى الواحد .
٢ ــ المساواة بين النساء جميعا فى الأصل الأبوى الأسرى ...

٣ — المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى ، والحكم القانونى ،

بين البشر جميعــا

١ — أما المساواة بين البشر جميعا فى الانتساب الى الأصل الانسانى الواحد فهى من حق كل انسان ، لأن آدم أبو البشر جميعا ، وحواء أم البشر جميعا ، وما دام الناس جميعـــا من أصل واحد ، فالواجب أن يساوى بينهم مساواة تستمد قوتها وعدالتها وحرارتها من وحدة هــذا الأصل ، وذلك ما عبر عنه الاسلام بآيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة . يكفينا منها قول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـــاكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم من خطبة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض عــلى أحمر ، فضل إلا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟.. اللهم فاشهد . الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

وقولــه عليه الصلاة والســلام لأبى ذر الغفارى ، حينما سمعه فى سورة الغضب ، يتطاول على بلال بن رباح قائلا له : يا ابن السوداء ... فقال له المرشد الأعظم فى حسم وقوة : طف الصاع .. طف الصاع « كناية عن تجاوز الحد اللائق » ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو العمل الصالح واستجاب أبو ذر لهذا التأديب المحمدى الكريم ، استجابة عملية حارة ، حيث سارع فوضع خده على الأرض ، مقسما على بلال بن رباح أن يتفضل فيطأه بحذائه ، حتى يغفر الله له هذه العنجهية الجاهلية الرعناء ، التى تجاوزت به حدود المساواة بينه — وهو ابن البيضـــاء — وبين بــلال — وهو ابن السوداء !!!

بين النساء :

٢ — وأما المساواة بين النساء جميعا ، فى انتسابهن قبل الزواج وبعده الى الأصل الأبوى الأسرى ، فهى حق لكل امرأة ، لأن عقد الزواج فى الشريعة الاسلامية ، لا يقطع صلة المرأة بأبيها ، ولا ينقل نســبة اسمها من أبيها الى زوجها كائنا من كان الأب ، وكائنا من كان الزوج .

فهؤلاء أمهات المؤمنين ، ينسبن حتى اليوم الى آبائهن .. لا الى زوجهن رسول الله ... فخديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وصفية بنت حيى بن أخطب اليهودى .. وليس للزوج بعقد الزواج أن يسلبها حرفا واحدا من نسبتها الى أبيها ، فضلا عن أنيتصرف فى مثقال ذرة من ثروتها الشخصية وملكيتهـــا الخاصة ، التى هى وحدها دون زوجها صاحبة الحق الأول والأخير فيها ، غير منازعة أو مدافعة أو مدفوعة الى استشارة زوجها أو استئذانه ...

وذلك ما حرمته المرأة الفرنسية تحت وطأة المــادة ٢١٧ من القانون

المدنى الفرنسي الذى يقول ويقرر « إن المرأة المتزوجة ، حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض ، بدون اشتراك زوجها فى العقد ، أو موافقته عليه موافقة كتابية » وعلى الرغم مما أدخل على هذه المادة من تعديلات ، فان المرأة الفرنسية ، ما تزال حتى كتابة هذه السطور ، محرومة من مقومات الشخصية المدنية بعد الزواج ، تلك المقومات التى تتمتع بها المرأة المستظلة بلـــواء المساواة الاسلامية كاملة غير منقوصة .

أمـــام القانون

٣ ــ وأما المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى ، والحكم القانونى ، والجزاء العادل على العمل .. فهى من حق اللائذين بمحراب العدالة الاسلامية التى تساوى بينهم جميعا فى الدنيا والآخرة ، مساواة كاملة ، لا تشوبها أية شائبة من شـــوائب التفرقـــة الجنسية أو العنصرية أو اللـــونية أو المادية ، مصداقا لقول الله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانـــوا يعملون » « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقســـط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا .. » « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون .. » « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » .

وبهذا الهدى القرآني الكريم ، اهتدى الرسول وخلفاؤه الراشدون ، فى إعلانهم وتقريرهم المساواة بين الناس جميعـــا ، وفى تطبيقهم أحـــكام هذه المساواة تطبيقا عمليا بين ســـائر الناس والعبرة بالتطبيق لا بمجرد التشريع ــ كما قال توماس بين ــ والى جانب الأمثلة التطبيقية التى مرت بنا فى تضاعيف هذا البحث ، نضيف الأمثلة التاريخية الحيـــة الآتية ، فى فخر واعتزاز بالاسلام ومجد الاسلام ، دون سواه :

ولا يستوى وحى من الله منـــزل　　وقافيـــة فى العالمين شـــرود

١ ــ سرقت فاطمة المخزومية قطيفة وحليا ، وعز على قومها بنى مخزوم من أشرف البطون القرشية . واليهم ينسب خالد بن الوليد .. أن تقطع يدها .. فتشفعوا بأسامة بن زيد الى رسول الله الذى صاح فى وجه حبيبه أسامة غاضبا لله دون سواه :

يا أسامة . أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب الناس معلنا أروع دستور للمساواة القانونية عرفه التاريخ : « إنما هلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ،

وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . وهكذا انتوت المساواة عمليا الى العدالة الكاملة بين فاطمة بنت رسول الله فضلا عن فاطمة بنت مخزوم ... وبين سائر الناس ...

٢ ــ ورأى عمر بن الخطاب رجلا يجامع امرأة ، فجمع الناس يستشيرهم فيما يعمل ، دون أن يذكر اسميهما ... فقال له على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين إما أن تأتى بأربعة شهداء وإما أن يقام عليك حد القذف اذا صرحت باسميهما ، لأن الله تبارك وتعالى يقول « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » فسكت عمر ... ولم يصرح باسمى الشخصين اللذين رآهما رأى العيان ...

٣ ــ وشكا يهودى على بن أبى طالب الى عمر بن الخطاب فى خلافته . ولاحظ على أن عمر قد نادى اليهودى باسمه .. وناداه هو بكنيته قائلا : يا أبا الحسن .. فغضب لأن عمر لم يسو ــ غير قاصد ــ بينه وبين اليهودى حتى فى أسلوب الخطاب ..

٤ ــ وشكا أحدهم الى عمر بن الخطاب أن أبا موسى الأشعرى أقام عليه حد شرب الخمر .. ولكنه تجاوز الحد بأن حلق شعره ، وسود وجهه ، ودعا الناس الى مقاطعته .. فانتصف له عمر من أبى موسى ، الذى هدده عمر بقوله له فى كتابه : لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك فى الناس ...

٥ ــ وشكا قبطى من أهل مصر الى عمر عدوان ابن عمرو بن العاص حاكم مصر عليه فى سباق كان بينهما ، فانتصف عمر للقبطى من ابن عمرو وصاح فى وجه عمرو بكلمته العمرية الخالدة : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ..؟!!

٦ ــ وشكا عربى فزارى الى عمر بن الخطاب أن الأمير الغسانى جبلة بن الأيهم لطمه فى موسم الحج لطمة هشمت أنفه .. فسأل عمر جبلة .. ولما اعترف بأنه لطمه لأنه وطىء إزاره .. أصر عمر على القصاص منه .. فسأله جبلة فى دهشة : أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة .. فقال عمر كلمته الحاسمة : ان الاسلام قد سوى بينكما .

٧ ــ وساوى الخليفة المأمون العباسى بين ابنه العباس وبين امرأة من عامة الناس فى محراب العدالة ، كما ساوى القاضى شريك بين الأمير العباسى على بن موسى وبين امرأة أخرى من غمار الناس ، وأصر على هذه المساواة حتى النهاية ...

وما هذه الأمثلة الا غيض من فيض المساواة الاسلامية بين الجميع ، وفى كل ناحية من نواحى الحياة ، جامعة بين التشريع والتطبيق ، حريصة على الموازنة بين الحقوق والواجبات .

فما أعظم فضل الاســلام على الانسان وحقوق الانسان ولجنة حقوق الانسان فى هيئة الأمم المتحدة ، التى تقول فى المادة الأولى من الاعلان العالمى لحقوق الانسان[1] « يولد الناس أحرارا متساوين فى الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء » . ولعل من المناســب أن أختم هذا المقال بشـــهادة لها مغزاها من رجل له تاريخه فى « التحررية » و « التقــدم » وهو الدكتور طه حسين الذى قال فى مقدمة الجزء الأول من كتابه « الفتنة الكبرى » ما نصه :

((النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية عجزت كلها عن تحقيق المساواة بين الجميع وتحقيق العدل الاجتماعى ، تحقيقا ينتهى بالناس الى اطمئنان لا يشوبه قلق ، وأمن لا يشوبه خوف ، والانسانية المعاصرة ترى من ذلك ما لا يحتاج الى أن نطيل القول فيه :

١ ــ فالشيوعية قد ضمنت للناس قليلا أو كثيرا من العدل الاجتماعى ... ولكنها ضحت فى سبيل ذلك بحريتهم كلهــا .

٢ ــ والفاشية قد ضحت بالحرية والعدل جميعها ...

٣ ــ والديموقراطية قد ضمنت للناس شيئا من حرية وقليلا من مساواة أمام القانون ، ولكنها لم تضمن لهم من العــدل الاجتماعى شيئا ...

سلكت الانسانية فى سبيل الحكم الصالح كل هذه الطرق ، وجربت كل هذه النظم : فلم تنته الى غاية .. وما زالت تشــكو الظلم والجور والضيق والاستغلال والاستذلال ...

وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس الحرية والعدل جميعا ، وهذا النظام القويم هو الذى حاولت الخلافة الاسلامية لعــهدى أبى بكر وعمر أن تنشئه ... ولم يعرف المسلمون ولا غير المســلمين ، أميرا حاول من العدل ما حاول عمر ، وحقق منه ما حقق عمر)) .

ذلك ما قاله طه حسين .. وأقول : ذلك سر الاسلام فى أهله : و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

---

(١) ص ٦٤ من كتاب المواطن للدكتور محمد مندور .

آراء لرشيد رضا

في

الثقافة والتربية والتعليم

للدكتور : أحمد الشرباصي

نشر التعليم :

أدرك رشيد رضا قيمة التعليم ، فتحدث عنه في كتابته أكثر من مرة ، وحث على نشره في مناسبات كثيرة باللسان والقلم ، وبالمقالة والمحاضرة والرسالة والمحاورة ، وفي مفتتح القرن العشرين تقريبا كتب يقول : « لو أن كل فقير في القطر المصري مثلا يبذل في السنة قرشا واحدا لأجل التعليم ، لاجتمع من ذلك ألوف الالوف ، وتيسر به عمل في البلاد كبير ، فكيف اذا أنفق كل أحد على قدره ، كما قال تعالى : (لينفق ذوسعة من سعته) (١) » .

ورشيد يرى أن التربية والتعليم هما الركنان اللذان يقوم عليهما بناء السعادة ، والعاملان الرافعان الى قنة السيادة (٢) .

ويؤمن رشيد بوجوب تعميم التربية والتعليم ، لأنه يؤمن بأن طلب العلم فريضة على كلمسلم كما علمه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويتألم رشيد لأنه يسمع كثيرا ممن يتحدثون عن نشر التربية والتعليم ، دون أن يصحب ذلك ايمان بما يقولون ، أو انتقال الى التطبيق والتنفيذ ، ويقول : « الذي قلت انه

وسيلة لسعادة الأمة تجمع كل الوسائل ، وسبب يرجع اليه كل الأسباب ، هو تعميم التربية والتعليم ، وهذا اللفظ تلوكه الألسنة كثيرا ، الا أن معناه لم يعط حقه من التبصر والتأمل (٣) » .

وعاد رشيد فتوسع فى شرح ذلك خلال مقال كتبه بعنوان : « التربية والتعليم (٤) » . وينبغى أن نلاحظ أن رشيدا فى هذا المجال يردد كلمتى « التربية والتعليم » مع أن اللفظ الشائع فى عصره المعبر به عن هذه الناحية هو كلمة « المعارف » ، بل قد ظللنا فى أكثر البلاد العربية نقول : « وزارة المعارف » الى عهد قريب ، ثم استجبنا لتوجيه أمثال رشيد رضا ، فتركنا كلمة « وزارة المعارف » ، واستعملنا كلمة « وزارة التربية والتعليم » .

ويبدو واضحا أن رشيدا يريد من كلمتى « التربية والتعليم » أن نجمع بين العلم والخلق ، لأن حشو الذهن بالمعلومات والمعارف لايكفى ، بل لابد معه من تأديب وتهذيب وتربية .

ونفهم من كلام رشيد أنه كلما كثرت ألوان المعارف والعلوم التى يأخذها الناشىء ازداد صلة بالثقافة الصحيحة ، واتسع أفقه العلمى ، ولذلك ينعى على بعض قومه أن يقتصروا فى ثقافتهم وتعلمهم على طائفة معينة من العلوم ، قد يكون لها قيمتها العالية ومكانتها السامية ، ولكنها لاتكفى لتكوين الثقافة العامة الواسعة ، ويحذر رشيد من طول العكوف على هذه العلوم وحدها ، دون تلقيحها بغيرها مما يساعد على هضمها ، أو يوسع دائرة الانتفاع بها ، وهو يقول :

« ان طول مدة التلقى والأخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية ، يضعف فى الطالب ملكة الحكم ، والاستقلال فى العلم ، ويحصر علمه فيما يسمع ويقرأ ، حتى لايكاد يجد غيره فيما يقرر أو يملى ، أو يصنف أو يفتى ، ومن كان هذا كل علمه فلا علم له ، وانما هو ينقل ماعند غيره ، علما كان أو ظنا ، حقا أو باطلا ، خطأ أو صوابا (٥) » .

ونحن نفهم أن رشيدا فى هذا النص يدعو الى أكثر من أمر ، فهو يدعو الى ترك الاقتصار على طلب علوم معينة لمدة طويلة ، ويدعو الطالب الى ترك الاقتصار على مايسمع أو يقرأ فى هذه العلوم ، ويحثه على اضافة علوم أخرى الى هذه العلوم السابقة ، وأن يحرص خلال ذلك على تربية ملكة الحكم عنده ، والاستقلال فى العلم والفهم ، حتى لايكون نسخة مكررة ممن سمع عنه ، أو من الكتاب الذى طالعه .

ولذلك نرى رشيدا فى مقام آخر يطالب أمته بأن تعرف العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ وتقويم البلدان (الجغرافية) ، لأن الاسلام دين الفطرة الآمر بكل علم نافع ، والناهى عن كل جهل مضر ، ويطالبها رشيد كذلك بالجد والعمل ، وترك الخمول والكسل (٦) .

ولما كان الكتاب هو أساس للتعليم دعا رشيد الى العناية بالكتب وحسن اختيارها ، وتأييد الصالح منها ، ومقاومة الضار ، وقال فيما قال : « الأمة لايصلح حالها الا اذا كانت الكتب المتداولة بين أفرادها فى التعليم والمطالعة مشتملة على مافيه صلاحها وطرق منافعها ، على الوجه الصحيح ، من حيث الأخلاق والآداب ومن حيث الأعمال » .

ثم يذكر أنواعا من الكتب الضارة المنتشرة فى مجتمعه ، ويطالب بمحاربتها ، ويدعو الى تيسير المعارف فى كتب سهلة واضحة ، ويقول : « هذا ركن عظيم من أركان الاصلاح ، وهو مطلوب من رجال العلوم وحملة الأقلام ، لا من رجال

السياسة والأحكام (٣) » .
وآراء رشيد السابقة سديدة موفقة ، تدل على عمق ادراكه لأهمية التربية والتعليم فى المجتمع .

رشيد ونوادر المخطوطات :

كان رشيد رضا طالب علم ، وعالما ، وكاتبا ، ومؤلفا ، وصاحب مطبعة ، وناشر كتب ، ولذلك لم يكن غريبا أن يعنى بالبحث عن المخطوطات المهمة ، وبخاصة ما اتصل منها بما عنى به من علوم الدين واللغة ، ومن أمثلة ذلك أنه شغل نفسه مدة طويلة بالبحث عن مخطوطات تتعلق بالمسائل المجمع عليها ، ولقد كتب فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ رسالة الى صديقه أمير البيان شكيب أرسلان يقول له فيها :

« فى المسائل المجمع عليها خلاف كثير ، وللحفاظ فيها مصنفات لا يوجد عندنا منها شىء ، الا أن يكون فى بعض المجاميع المجهول مافيها بدار الكتب ، أو فى بعض المكاتب الخاصة ، وجميع العلماء المحدثين ينقلون عن كتاب أو كتابين لأبن المنذر ، يوجد أحدهما فى مخطوطات خزائن الآستانة ، ولابن حزم كتاب آخر استدرك فيه على ابن تيمية بكتاب خطأه فيه بدعوى الاجماع فى مسائل كثيرة .

وقد ظفرت بهذا الكتاب مخطوطا ، وما زلت أبحث عن أصله لابن حزم ، حتى علمت بوجود نسخة منه فى الآستانة ، وبأنه تنقص منه ورقة من آخره .

وقد سافر فى الصيف الى الآستانة حسن بك عديل فؤاد بك سليم صديقنا الذى يقيم معه فؤاد بك فى داره ، فكلفته أن يسعى لأخذ صورة عكسية منه .

فان فعل فاننى أطبعه مع كتاب ابن تيمية ، فيكون أكمل كتاب لنا فى بابه ، وأضع له مقدمة فى بيان ماهو دينى ، وما هو غير دينى من مسائل الاجماع ، ويكون حجة لى وسندا فى سائر كتبى الاصلاحية (٨) » .

وفى أثناء كتابة رشيد فى مجلته وفى كتبه أشار أكثر من مرة الى عنايته بالمخطوطات الدينية وغيرها ، ولقد أسهم رشيد بذلك فى نشر الكتب القيمة التى كان قراؤها فى أشد الحاجة اليها حينئذ ، وكان نشر الكتب يسيرا متواضعا فى نطاق ضيق ، وهذا جهد منه مذكور ومشكور .

ومما يتصل بنشر الكتب أن رشيدا فى سنة ١٩٠٣ أبدى اعجابه بالفهارس التفصيلية التى يضعها الأوربيون مع الكتب التى ينشرونها ، وكان ذلك الابداء بمناسبة حديث عن ديوان « سبط ابن التعاويذى » الذى نشره المستشرق الانجليزى مرجليوث ، حيث قال رشيد :

« وهذه الفهارس التى يلحقها الافرنج بكتبهم ، وما يطبعونه من كتبنا ، مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف ، ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فاننا نحذو حذوهم فيها (٩) » .

وقد أعجبت برشيد حين رأيته سارع فحذا حذو هؤلاء ، فوضع فهارس كافية لمجلدات مجلته (المنار » ، وفى كثير من هذه المجلدات جعل رشيد فى صدرها فهرسا عاما لجميع الموضوعات ، مرتبا حسب الحروف الأبجدية ، وفهرسا للآيات القرآنية . وفهرسا للأحاديث الواردة فى المجلد ، وفهرسا للكتب والمجلات التى تحدث عنها ، وفهرسا للكاتبين فى هذا المجلد .

وقد يضيف فهرسا لوفيات الأعيان ، وقد تزيد صفحات هذا الفهرس للمجلد الواحد عن ثلاثين صفحة .

ولكن رشيدا فاته ـ لظروف مختلفة ، كغلاء الورق ، أو سفره بعيدا عن مصر ، أو عدم وجود من يعاونه ـ أن يضع مثل هذه الفهارس لبعض مجلدات المنار .

ولا شك أن هذه الفهارس جهد محمود ، لأنها تعين على مراجعة موضوعات « المنار » : تلك الموسوعة الاسلامية العربية الضخمة ، وقد سلك رشيد هذا المسلك الحميد فى « تفسير المنار » أيضا .

وانه لمن الخير العلمى والأدبى أن يوضع فهرس كامل شامل لمجلدات « المنار » كلها ، لكى يتسع نطاق الانتفاع بهذه الموسوعة ، والفهارس التى وضعها رشيد لمجلدات المنار تصلح أساسا لهذا الفهرس الكامل الشامل .

وأذكر بهذه المناسبة أن مجلة « المشرق » اللبنانية لها فهرس كامل شامل فى مجلد مستقل ، وهذا الفهرس يجعل طالب الحاجة من مجلداتها يهتدى اليها والى مواطنها فى أسرع وقت ممكن ، فليت مجلة « المنار » يتحقق لها ما تحقق لمجلة « المشرق » ، ولعل الأيام تتسع والأسباب تتهيأ لأحقق هذا العمل .

رشيد والترجمة :

لم يتقن رشيد لغة غير اللغة العربية ، وان كان قد عرف جانبا من اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وقد حدثنا رشيد عن طلبه العلم فى المدرسة ، فأخبرنا أنه لم يعن باللغة التركية ولا الفرنسية ، وان كان قد حفظ مافرض عليه من دروسهما فى المدرسة الوطنية ، ثم ندم على عدم تعلم الفرنسية ، بعد أن علم أن لها فوائد كثيرة فى خدمة الاسلام (١٠) .

ولهذا عنى رشيد بأن يعوض هذا النقص بمطالعة كل مايستطيع مطالعته من الكتب المترجمة ، وكان يطلب أحيانا من أصدقائه الذين يعرفون لغات أجنبية أن يترجموا له مايحتاج من مقالات أو بحوث .

ونفهم من رسالة كتبها رشيد الى الأمير شكيب أرسلان بتاريخ ٣٠ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٦ أن رشيدا كان حريصا على ترجمة كتاب « سرائر القرآن فى خلق وافناء واعادة الأكوان » الذى ألفه المرحوم مختار باشا ، وأنه حاول ذلك ، واتصل بالأمير شكيب ، ومحمود باشا مختار ، وعبد الغنى بك سنى ، والدكتور شرف الدين التركى ، لكى يحقق هذه الامنية (١١) .

وكذلك عنى رشيد بأن ينشر فى المنار الترجمة التى قام بها الأستاذ عبد العزيز محمد لكتاب « اميل القرن التاسع عشر » ، كما نوه أكثر من مرة بكتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » الذى ترجمه أحمد فتحى زغلول عن الانجليزية . كما نوه بكتاب « الرد على الدهريين » الذى ترجمه الشيخ محمد عبده ، وطبع كذلك كتاب « الصحة » الذى كتبه المهاتما غاندى ، وترجمه الشيخ عبد الرازق المليح أبادى ، وقصة « آخر بنى سراج » التى ترجمها الأمير شكيب أرسلان ، كما عنى بأن ينشر بحوثا ومقالات كثيرة مترجمة فى مجلة « المنار » .

● ● ●

رشيد والأدب الشعبى :

لم يفت رشيدا أن يتحدث عن الأدب الشعبى ، وأن يسجل بعض النصوص من هذا الادب — وان كانت موضع نظر عند رشيد وغيره من الجهة الدينية فهو ينكر هذا أشد الانكار — ومن أمثلة ذلك قوله :

« أعرف رجلا شيخا أشيب أعمى أجش الصوت ، ينشد الأماديح المنظومة على طريقة المواويل ، بالاستغاثة بالسيدة (١٢) .

يابنت بنت النبى ، طلى وشوفينا
يابنت بنت النبى ، دخلك أنا عيان

وأعرف امرأة عمياء كانت تجلس فى ظل دارنا ، وهى تحفظ أسجاعا متناسقة فى الدعاء ، هممت غير مرة بأن أنصت اليها وأكتبها عنها (١٣) » .

وينبغى أن نتأمل قوله هنا : « أنصت اليها » وقوله : « وأكتبها عنها » فان هذين القولين يدلان على عناية رشيد رضا منذ وقت مبكر بالأدب الشعبى ، ورغبته فى متابعته ، ولنتذكر أنه قال هذا الكلام فى أوائل القرن العشرين ، وفى وسط عام ١٩٠٤ ، فهو اذن قد وضع الاشارة الدالة على استحسان العناية بتتبع الأدب الشعبى ومحاولة تقييده .

رشيد ومقاومة العامية :

قد يفهم فاهم من محاولة رشيد رضا تتبع الأدب الشعبى أنه كان يرضى عن نشر العامية ، أو يدعو اليها ، وهذا خطأ ، لأن رشيدا عاش نصيرا للفصحى ، كارها للعامية ، محاربا للذين دعوا الى نشرها .

ومن الشواهد على ذلك — وهى كثيرة مبثوثة فى مجلة المنار وغيره من كتب رشيد — أنه فى سنة ١٩٢٩ سأله سائل عن مدير لمدرسة اسلامية فى بيروت ألقى خطابا فى مدرسة تبشيرية دعا الناس فيه الى احلال العامية محل الفصحى ، أو تسكين أواخر الكلام ، فرد عليه رشيد مستنكرا ذلك ، وقال فى اجابته :

« ان كان المدير الذى أشرتم اليه يدعو الى أن تجعل العامية لغة القراءة والكتابة ، أو يترك الاعراب منها ، فهو اما جهول لايعقل مصلحة الأمة العربية فى دينها ولا دنياها ، واما سىء النية يخدم الأجانب فى اضعاف هذه الأمة ، وافساد أمرها عليها ، الا ان كان يقصد بذلك الكلام المعتاد ، فله عذر ما ، وهذا الذى نظنه ، وقد يكون الناقل مخطئا فى الفهم (١٤) » .

رشيد واصلاح الخط العربى :

تكلم رشيد رضا سنة ١٩١٠ عن صعوبات الخط العربى ، ووجوب اصلاحه ، واقترح أن تكون الحروف متفرقة ليسهل الطبع والجمع ، وأن تختصر

هيآت الحروف ، ويستغنى عن « الفتحة » فى الشكل ، لأنها كثيرة ، ويوضع للرفع والكسر أداة ، واقترح رشيد على من يقومون بسبك الحروف أن يقدموا على تنفيذ هذه الفكرة (١٥) .

ولابد أن نتذكر هنا أن هذا الموضوع قد أثير بعد ذلك بعشرات من السنين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيره من الهيئات المختصة بالبحوث اللغوية ، واتجه الرأى فى السنوات الأخيرة ـ بعد بحوث ومحاولات طويلة متشعبة ـ الى الاخذ بما يقرب من رأى رشيد ، واستعملت فعلا هذه الحروف الميسرة فى بعض مطبوعاتها .

● ● ●

رشيد وقضية القديم والجديد :

فى بحث لرشيد بعنوان : « التجديد والتجدد والمجددون » قال :

« وأما المتقدم والمتأخر من الناس فقد كانت القاعدة عند أهل العلم والأدب منا تفضيل المتقدم على المتأخر ، ولكن القاعدة عند أهل النشوء والارتقاء العكس. وانما هذا وذاك بالنسبة الى جملة أهل العصر ، دون الأفراد النابغين الذين قلما تجود بمثلهم الأزمان » .

ثم يقول : « وقد كان بعض الأدباء يفضل المتأخرين فى بعض الأشياء ، وقد افتتح عنترة معلقته المشهورة بقوله : (هل غادر الشعراء من متردم) يعنى أن الشعراء قبله لم يتركوا لمن بعدهم قولا يقوله .

ولكنه هو جاء فيها بمعان لم يسبقه اليها غيره ، وقد عارضه ابن أبى حجلة فى تفضيل كتابه (ديوان الصبابة) على ما سبقه فى معناه . يقول فى خطبته : فان قلت الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ، أقول : فى الخمر معنى ليس فى العنب ، وأحسن مافى الطاووس الذنب .

وكلمة (الفضل للمتقدم) صارت مثلا فى أفواه العلماء والأدباء ، ولا أدرى أول من قالها ، هل هو عدى بن الرقاع الشاعر الأموى الذى ضمنها فى شعره أم غيره (١٦) ، وهذا شيخ صناعة الادب الحريرى (١٧) قد استشهد فى تفضيل بديع الزمان على نفسه فى مقدمة مقاماته بقول عدى هذا .

ثم رأيناه عقد المقامة السادسة منها لتفضيل الطريف على التليد ، ونصر العصاميين على العظاميين » .

ثم يقول : « والقول الحق فى الموضوع أنه لابد للبشر فى كل من القديم والجديد ، وأن فى كل منهما الحسن والقبيح ، والنافع والضار ، وأن من الناس من هو أميل بطبعه الى هـذا ، ومن هو أميل الى ذاك من أجناس الأشياء وأنواعها ، وقلما يفضلها لمحض جدتها الا الأطفال ، ومن على مقربة منهم من النساء والرجال .

وأما العقلاء المستقلون فلا يرغبون عن النوع القديم الى الجديد الا بمرجح

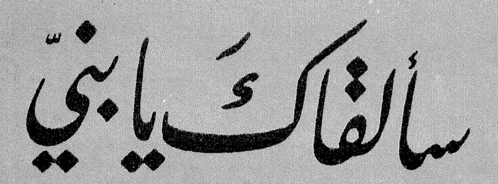
يرجحه عليه ، عملا بالقاعدة المنطقية فى المتساويين ، وانما تكون الجدة مرجحة فى جزءيات النوع الواحد ، اذا كانت متساوية فى سائر صفاتها ، فان الجديد يكون أزهى وأبهج ، وأثبت وأبقى (١٨) » .

وعندى أن هذا رأى معتدل ، لايعنى بالعصبية للزمن ، بل يعنى بالموضوع والثمرة .

---

(١) تفسير المنار ، ج ٤ ص ١٣٣ .
(٢) المنار ، المجلد الأول ، ص ٥٦٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٦ — ٦١ .
(٥) المنار والازهر ، ص ١٩٦ .
(٦) مجلة المنار ، المجلد ٣ ص ٢٤٤ .
(٧) المنار ، المجلد ٣ ص ٤٩ — ٥٣ .
(٨) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٧٥٥ .
(٩) المنار ، المجلد ٦ ص ٩٤٥ .
(١٠) المنار والازهر ، ص ١٣٨ .
(١١) السيد رشيد رضا ، ص ٤٦٥ .
(١٢) يقصد السيدة زينب بنت على .
(١٣) المنار ، المجلد ٧ ص ٣١٩ . عدد ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٤ .
(١٤) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٧٣٨ .
(١٥) المنار ، المجلد ١٣ ص ٢٠٤ . عدد ١٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩١٠ .
(١٦) تكرر من رشيد اتيانه بلفظة « أم » مع « هل » ، وهذا مما يلاحظ عليه لغويا .
(١٧) قد يثير هذا التعبير من رشيد عن الحريرى شيئا من العجب ، فقد عرفنا فى موطن آخر ان رشيد رضا يفضل بديع الزمان فى المقامات على الحريرى ، ويرى أن الحريرى متكلف متصنع .
(١٨) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٥١ و ٥٥ .





طالما تملكتنى هزات عنيفة اعادت الى خاطرى ما وعيناه فى دراساتنا الاسلامية ، هل يكون الجندى محاربا حقا اذا ذهب الى المعركة وهو حريص على حياته كلفا بان يرجع من المعركة وكأنه راجع من مباراة لكرة القدم مثلا ، ادى واجبه فلعب الوقت المحدد ليلاقى بالتصفيق او الاسف ، او انه يذهب الى المعركة كنزهة يعود بعدها لياخذ قسطه من الراحة ، ام أنه يذهب الى المعركة مملوءا بالرغبة فى القتال حتى آخر نفس يتردد فى صدره وحتى آخر قطرة من دمه تجرى فى عروقه .

اذا كانت الأولى فخير له الا يذهب لأنه فى منأى عن رسالته التى عليه اداؤها .

واذا كانت الثانية فهو يذهب حبا فى وطن حريصا على شرف راغبا فى شهادة ، وهذه هى رسالة الجندى .

لذلك كنت حريصا على تسجيل هذه الخواطر التى ملكت على مشاعرى حين جاءنى نبأ استشهاد انسان شرفت بشهادته شرفا لم انله قبله واحب لكل اب ولكل أم لهما جندى فى الميدان ان يناله .

كان امله دائما ان يلتحق بالخدمة فى القوات المسلحة . فقد كان على خلق عظيم ورجولة مبكرة لا تعهد فيمن هم فى مثل عمره ، هادئا عطوفا على كل صغير او كبير عرفه وعاشره .

تحقق أمله بالالتحاق بالقوات المسلحة ، وكنت اتلقى شجاعته واقباله على القتال فخورا ومشفقا فى وقت معا ، حصل من قيادته على التقدير يلى التقدير ماديا ومعنويا .

كان يرد على نصيحتى بالحذر بايمان عميق بقضاء الله وبالرسالة الخالدة للجندى وللمقاتل ، كان يقول لى ان ما سيصيبنى قذيفة كتب عليها اسمى وغيرها لن يصيبنى وان كانت هى فلا مفر منها .

ايمان بالله عريق وحب وفناء فى سبيله بلغ ذروة لم يصل اليها الا المجاهدون الصادقون الذين باعوا انفسهم لله ليشتروا بها جنة ونعيما فى جواره فربحت تجارتهم .

ايمان جعلني انسى العمر والزمن واتمنى ان اعود مقاتلا كما كنت منذ نيف من السنين وانادى بقول الحق ((يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما)) .
كنت اخلو الى نفسي فتغلبني العاطفة ســانحة من الوقت واقول لها ، قد اكون اعطيت هذا الابن الحبيب من طاقة الحماس اكثر مما يحتمله شبابه الغض وليس من العدل ان افرغ حصيلة من الجندية اختزنت في عشرات السنين بلغت بنا وبلغنا بها خريف العمر في نفس شاب في ربيع الحياة امامه سنين طويلة حتى يقوى على حملها ، لقد قدمت اخا شهيدا من ثلاث سنوات بها وليس عدلا ان اقدم بها ابنا نافعا يعدون العدة ليوم عرسه ويقترب مع الأيام يوم زفافه .

كنت استمع اليه يسرد قصصا حبيبة الى نفس كل جندى وهو يقول : لقد حطمت تحصينات العدو في مواجهتي ، وسانتقل بوحدتي الى موقع آخر لأحطم ما بقى منها ، وهكذا كان يتنقل بوحدته من شمال الجبهة الى جنوبها مؤديا لواجبه الحبيب الى نفســـه ، وهو تحطيم مواقع العدو وتحصــــيناته ، ومعها احلامه وآماله .
كان يقص على كيف اصيبت دبابته ولم يصب وهو بداخلها ، وكيف اخطاته قذيفة سقطت وانفجرت على بعد قليل منه ، ولم يصبه منها شظية بسوء فيزداد ايمانه بالقضاء ويقوى عزمه على القتال والاستبسال .

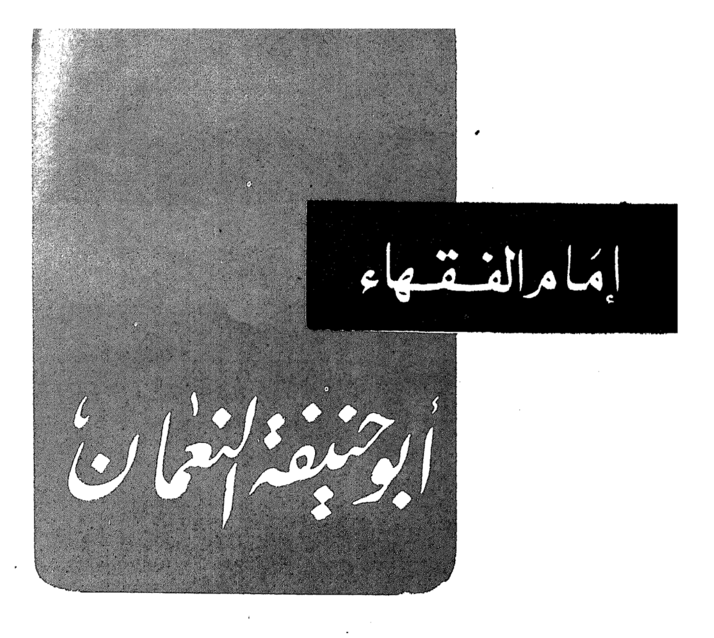
كان يستمع الى بشغف وثقة وانا اردد على ســـمعه ((انك واقرانك من المقاتلين تدافعون عن عقيدة عن شرف عشــــيرة وكل اسرة لها مثلك جندى فى الميدان يحمى فى الوطن عرضها ووجودها وامنها وان وطننا جدير بان يحب بكل قوة وبكل حياة ، واذا كان العدو الخبيث فى سبيل باطله يقاتل بهذه الضراوة والشراسة فحرى بكم ان تدافعوا عن حقكم بضراوة وشراسة اعنف واشد ، انكم تدافعون عن تاريخ مجيد حقيق بان يحب بكل نفس وبكل جارحة وبكل روح ، احب لكم ان يكون هتافكم وانتم تخوضون كل معركة ضد عدوكم ــ الله اكبر ــ كانى بك يا بنى وصوتك يهدر بالنشيد ، قد صدقت القدر فصدقك وكنت الشهيد .

اعطيت حياتك لله فهنيئا لك ما اعطيت وما اخذت فربحت عوضك الله عن عروس فى الارض عروسا تزف اليهـــا فى السماء اطعت ربك ووفيت عهدك وفديت انسانيتك ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .
هنيئا لك يابنى هذه الصـــحبة الطاهـــرة فى ظل العرش الكريم الى يوم القيامة ، هنيئا لك يابنى طيب الحياة وطيب الموت فقد ادركت الشهادة مقبلا غير مدبر حاملا سلاحك مصوبة الى نحر عدوك وعدو وطنك .

هنيئا لك يابنى فقد غسلت بالنار لا بالماء ودرجت فى علم لا فى كفن وكتبت الخلد فى سجل الخلود لا فى دفتر الصحة .

هنيئا لك قد بلغت بغيتك وبغية كل نفس مؤمنة بالله وبوطنها وعد الصدق سالقاك يابنى مرتين سالقاك وصحبك اعلاما خفاقة يوم النصر القريب ان شاء الله ، وسالقاك فى جنات ونهر فى مقعد صـــدق عند مليك مقتدر ، يوم البعث مع الشهداء الصديقين فهذا وعد لن يخلفه الله .

سلام عليك وعلى صحبك فى الصالحين الأبرار
سلام عليك وعلى صحبك فى الخالدين .



للدكتور : محمد محمد أبو شهبة

تقدمة

لما انتشر الاسلام واتسعت رقعته ، وامتد سلطانه حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار دخلت فيه الكثرة الكاثرة من ابناء هذه البلاد التى استظلت بلواء الاسلام عن طواعية واختيار ، واخلصوا لهذا الدين وللغته العربية : لغة القرآن غاية الاخلاص فلا تعجب اذا وجد من هؤلاء ائمة اعلام : فى التفسير والحديث ، والفقه والاجتهاد ، واللغة العربية وعلومها وآدابها .. والعلوم العقلية ولا سيما الكلام ، والعلوم العملية كالطب والهندسة ، والرياضيات كالحساب والجبر والمقابلة ، والعلوم الكونية كالكيمياء والطبيعة ، والفلك ..

من هؤلاء الأئمة الاعلام . امام الفقهاء أبو حنيفة النعمان ، الذى يعتبر مفخرة للفقه الاسلامي ولاسيما فى عصوره الاولى . وسأتناول فى هذا المقال شيئا من جوانبه الفقهية والاجتهادية ، وعلمه بالقرآن والسنة وانه ذو باع طويل فيها ، وعصره ونسبه ، وحياته الخصبة المشرفة التى تجعله فى عداد الخالدين من رجالات العلم فى العالم .

نسبه ونشاته :

الامام ابو حنيفة : هو النعمان بن ثابت بن زوطى(١) التيمى ولاء ، ذلك أن زوطى جد الامام كان فارسا من اهل كابل(٢) وكان مملوكا لبنى تيم الله ابن ثعلبة ، فأسلم فأعتق فصار ولاؤه لهم اما والده ثابت فقد ولد على الاسلام ، وهذا هو المعتمد فى نسبه ، وان زعم بعضهم انه لم يجر على احد من اجداده رق بل بالغ البعض ، فجعله يتصل الى العرب بنسب .

ولا يضير الامام قط ان يكون اصله فارسيا ، ولا أن يكون احد اجداده استرق ثم اعتق ، لأن الاسلام لا يفرق بين عربى وعجمى ، ولا بين مولى وسيد فى التقدير الدينى والعلمى ، وفى الموالى من رفعه دينه وعلمه الى مقاعد الشرف والسيادة ، وفى العرب من أوبقه كفره ، ورمى به فى زوايا الاهمال جهله ، وكانت ولادة الامام بالكوفة سنة ثمانين للهجرة ، وقد عاش بها معظم حياته ، ولم يفارقها الا الى مكة فترة وجيزة ، والى بغداد قبيل وفاته وكانت وفاته سنة مائة وخمسين فهو اذا عاصر معظم الدولة الاموية ، وأوائل دولة بنى العباس .

عصره وكونه تابعيا :

ان العصر الذى عاش فيه الامام يعتبر من عصور الاسلام الذهبية ، والامام ولد ونشأ فى قرن يعتبر من القرون الخيرة الفاضلة ، وهو عصر التابعين ففى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .. وقد صح كما قال الامام الذهبى(٣) انه رأى أنس بن مالك — رضى الله عنه — وهو صغير ، وروى ابن سعد فى كتابه (الطبقات) عن الامام انه قال : « قدم أنس بن مالك الكوفة ونزل النخع ، وكان يخطب بالحمرة قد رأيته مرارا » كما انه رأى عبد الله ابن ابى أوفى ، وغيره من الصحابة ورؤيته بعض الصحابة ليس فيها خلاف بين العلماء ، وانما الخلاف فى سماعه منهم ، والثقات من حفاظ الحديث ونقاده على أن الامام لم يسمع من أحد منهم ، ومذهب جمهور المحدثين أن السماع من الصحابى ليس شرطا لتحقق كونه تابعيا(٤) وهى خصوصية امتاز بها الامام عن بقية الائمة الاربعة .

اساتذته وشيوخه :

وللامام شيوخ كثيرون من اعيانهم محمد بن السائب الكلبى النسابة المفسر ، وجعفر الصادق ، وابن شهاب الزهرى عالم الشام والحجاز ، وشعبة بن الحجاج ، وربيعة الراى شيخ الامام مالك وسليمان بن مهران من كبار المحدثين ، وحماد بن ابى سليمان وهو الاستاذ الاكبر للامام ابى حنيفة ، وقد لازمه ملازمة طويلة وتخرج على يديه ، ونهل وعل من معينه الثر ، وحتى اثر عن حماد انه قال : « لقد انزفتنى »(٥) .

تلاميذه :

وقد روى عن الامام واخذ منه العلم والفقه الكثيرون من الأئمة من مشاهيرهم محمد بن اسحاق بن يسار امام اهل المغازى ، ومحمد بن عمر الواقدى ، وابراهيم بن أدهم ،

والحسن البصرى ، وابو يوسف القاضى ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ابن الهذيل ، وغيرهم وهؤلاء الثلاثة هم اخص تلاميذه المتفقهين عليه ، ويدل على جلالته أن بعض شيوخه قد اخذ عنه كربيعة الراى ومالك وحماد بن ابى سليمان ، ووضل بعض المؤلفين فى مناقبه بتلاميذه والآخذين عنه الى نحو الثمانمائة وسرد اسماء الكثيرين منهم(٦) .

فقه الامام :

والامام ابو حنيفة احد اذكياء الدنيا المعدودين ، ورائد الائمة المجتهدين المشهورين ، واحد الفقهاء الأربعة المتبوعين ، الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وسادت مذاهبهم فى اقطار العروبة والاسلام ، وقد اقر للامام بالفقاهة وتملك ناصية الاجتهاد ، وبلوغه الغاية فى ذلك جمهرة من فقهاء الشريعة الكبار ، وائمة الحديث المشهورين روى عن الامام اللوذعى محمد بن ادريس الشافعى انه قال : « الناس فى الفقه عيال على ابى حنيفة ، وهذا عبد الله بن المبارك يقول « كان ابو حنيفة افقه الناس ما رايت افقه منه » .

ويقول فى حقه سفيان الثورى : « وهو افقه اهل الارض » واثنى عليه وعلى قوة حجته امام دار الهجرة مالك بن انس فقال : « لقد رأيت فتى لو كلمك فى هذه السادية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته » .

علمه بالقرآن والسنة :

وقد كان الامام حافظا للقرآن ، مديما للقراءة له ، وقد روى انه كان يختم القرآن فى رمضان ستين ختمه ختمة بالليل وختمة بالنهار ، كما كان عالما بعلومه وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وعامه وخاصه ، ومطلقه ومقيده الى غير ذلك من علوم القرآن التى لا بد منها لمن يبلغ الاجتهاد فى الأحكام ، وبيان الحلال والحرام . كما كان — رضى الله عنه — حافظا للأحاديث والسنن شديد العناية بها ، ثقة فى الرواية ، بصيرا بالعلل والرجال ، مقبول الجرح والتعديل ، روى الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد عن سفيان بن عيينة قال : « اول من اقعدنى للحديث ابو حنيفة قدمت الكوفة ، فقال ابو حنيفة : هذا اعلم الناس بحديث عمرو بن دينار فاجتمعوا على فحدثتهم » وناهيك برجل يزكى سفيان بن عيينة فى الحديث ، والامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى وهو احد الائمة الستة فى الحديث يعتمد على الامام فى التعديل والتجريح فيروى فىكتاب العلل من (جامعه) عن الحمانى قال : سمعت ابا حنيفة يقول : ما رايت اكذب من جابر الجعفى(٧) ولا افضل من عطاء ابن ابى رباح « كما اثنى عليه جهابذة الحديث ونقاده ، سئل يحيى بن معين وهو الامام الحجة فى الجرح والتعديل : هل حدث سفيان عن ابى حنيفة ؟ قال : نعم كان ابو حنيفة ثقة صدوقا فى الفقه والحديث مأمونا على دين الله ، وروى عنه انه قال : « سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : « لا تكذب الله تعالى ، ما سمعنا احسن من راى ابى حنيفة » .

وكان يحيى بن سعيد القطان يذهب فى الفتوى مذهب الكوفيين

فيختار قول ابي‌حنيفة من أقوالهم(٨) ويقـول في حق الامام تلميـذه ابو يوسف وهو من حفاظ الحديث كما قال ابن جرير الطـبرى « كان أبو حنيفة ابصر بالحديث مني » ويقول : « ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من ابي حنيفة » ولا عجب أن يكون الامام أبو حنيفة بهـذه المنزلة وقد أخذ الحديث عن رجاله كسفيان الثورى وشـعبة بن الحجـاج ، والأعمش وغيـرهم من ائمة الرواية ، وكانت الـكوفة آنئذ منزلا لكثير من الأئمة الذين جمعوا بين الرواية والدراية(٩) وأما ما ذكر في تاريخ بغـداد من الطعـن في الامام فذلـك من آثار التحـامل والتعصب ، قال الامام السـيوطي في كتابه « مناقب ابي حنيفة » : « لا تغتر بكلام الخطيب فان عنده العصـبية الزائدة على جماعة من العلماء كأبي حنيفـة وأحمد ، وبعض أصحابه ، وتحامل عليهم بكل وجه » ولم يسلم ـ في الغالب ـ أحد من مشـاهير العلماء من الطعن والتجريح بغير حق ولعن الله الحاسدين والحاقدين .

التجني على الامام :

وقد غمط الامام حقه في العنـاية بالأحاديث والسنة ، وثقته في الرواية بعض حاسديه ورموه بما ليس فيه ، فزعموا أنه قليل البضـاعة في الحديث ، وأنه قلت روايته تبعا لذلك قلة لا نصـدقها في حق طالب من طلاب الحديث فضلا عن امام مجتهد تزعم مدرسـة في الفقه والاجتهـاد يعتبر رجالهـا مفخرة من مفـاخر الاسلام قديما وحديثا ، واليك ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته(١٠) ، وحكايته هذا القول الضعيف عن هذا البعض ، ورده عليهم قال : « واعلم أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه الصناعة والاقلال فابو حنيفة رضي الله عنه ـ يقال بلغت روايته الى سـبعة عشر حديثا او نحوها ومالك ـ رحمه الله ـ انما صـح عنده في كتاب الموطأ وغايتها ثلاثمائة حديث(١١) أو نحوها ، وأحمد بن حنبل في مسنده خمسون الف حديث ولكل ما أداه اليه اجتهاده في ذلك ، وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين الى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلذا قلت روايته ، ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الائمة لأن الشريعة انما تؤخذ من الـكتاب والسنة ، ومن كان قليل البضاعة في الحديث فيتعين عليه طلبه .. الى أن قال والامام أبو حنيفـة انما قلت روايته‌لما شـدد في شروط الرواية والتحمل ، وضعف رواية الحـديث اليقيني اذا عارضها الفعل النفسي ، وقلت من اجلها روايته فقل حديثه لا انه ترك رواية الحـديث متعمدا فحاشاه من ذلك ، ويدل على أنه من كبـار المجتهدين في علم الحديث اعتمـاد مذهبه بينهم ، والتعويل عليه » .

فها نحن نرى أن ابن خلدون ذكر هذه المقالة المتجنية على الامام بلفظ (يقال) وهي من صيغ التضعيف في عرف علماء الرواية ، واذا كان ابن خلدون بين السـبب في قلة رواية الامام فمراده بذلك القـلة النسبية لا ما حكاه في صدر كلامه بصـيغة التضـعيف ، ومما ذكرنا من نص المقـدمة يتبين للبـاحث المنصف والقارىء المتثبت أن عزو هذا القول الضعيف الى ابن خلدون تجن كذلك على العلامة ابن خلدون ، وخيانة للامانة في البحث ، وقد انزلق الى هذا الرأى الضعيف الذى لا سند له

بعض الكاتبين المحدثين(١٢) فى الحياة العقلية فى صدر الاسلام وجعله من قول الثقات ، ويعلم الله أن القائل به ليس من الثقة فى شيء وأنا لا أنكر تفاوت الأئمـة فى الحفظ والرواية فذلك أمر معلوم مفروغ منه ، ولكن الذى لا أكاد أصدقه أن تنزل مرويات الامام الأعظم الى هذه القلة الضئيلة وكيف يتهيأ لمجتهد أن يبنى مذهبا على سبعة عشر حديثا صحت عنده ، وأقل ما يقال فى مسائله التى تكلم فيها أنها تبلغ ثلاثا وثمـانين ألف مسألة فى العبادات والمعـاملات ، وكيف يجوز قبول هذا القول وشاهد العيان يرده ، فكثرة أحاديث الامام تظهر من حججه المسرودة فى أبواب الفقه التى نقلها عنه أصـحابه ، والمدونة فى تلك المسانيد السبعة عشر(١٣) لكبار الأئمة من أصـحابه وسائر الحفاظ ، وكان مع الخطيب البغدادى عندما حل فى دمشـق مسـند أبى حنيفـة للدارقطنى ، ومسند أبى حنيفة لابن شاهين وهما زائدان على السـبعة عشر المذكورة(١٤) .

والظـاهر أن الخطأ دخل على القائل بأن الامام لم يصـح عنده الا سبعة عشر حديثا من أنه سمع أن للامام سبعة عشر مسندا أى كتابا مرتبة أحاديثه على حسب الصحابة فظن أن المراد بالمسند الحديث الذى ذكر له اسـناد فوهم هذا الوهم الفاحش . وكيف نصـدق مثل هذا الرأى العارى عن الحجة ، وهذا هو الحسن بن زياد أحد تلاميذ الامام كان يقول : « كان أبو حنيفة يروى أربعة آلاف حديث : ألفين لحماد ، وألفين لسـائر المشيخة » واليك ما ذكره الحـافظ الناقد الذهبى فى حق الامام : « ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه فانه أول من استنبطه من الأدلة ، وعدم ظهوره فى الخارج لا يدل على عدم اعتنائه بالحديث كما زعمه بعض من يحسده ، وليس كما زعم ، وانمـا قلت الرواية عن الامام وان كان متسع الحفظ لأمرين : أحدهما : اشتغاله باستنباط المسائل من الأدلة كما كان اجلاء الصـحابة كأبى بكر وعمر وغيرهما يشتغلون بالعمل عن الرواية حتى قلت روايتهم بالنسـبة لكثرة حديثهم ، وكثرة رواية من دونهـم بالنسبة اليهم ، وهذان الامامان مالك والشافعى لم يرويا الا القليل بالنسبة لما سـمعاه لاشتغالهما باستخراج المسـائل . ثانيهما : ان الامام أبا حنيفة كان من المتشددين فى الرواية وفى تصـحيح الاحاديث ، وقد ذكر العلامة ابن الصلاح أن من مذاهب التشـديد ــ يعنى فى الرواية ــ مذهب من قال : لا حجة الا فيما رواه الراوى من حفظـه وذلك مروى عن مـالك وأبى حنيفـة رضى الله عنهما(١٥) .

وكان للامام شـغوف نظـر فى الأحاديث ، والترجيح بينهـا ، ومن لا يعرف ذلك يلصـق بهما هو براء منه ، سئل الأعمش وهو من كبـار المحدثين عن مسـائل ، فقال لأبى حنيفة : ما تقول فيها ؟ قال كذا وكذا فقال الاعمش من أين لك كذا ؟! فقال الامام : أنت حدثتنا عن أبى صـالح عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم بكذا وحدثتنا عن فلان الصحابى عن رسول الله بكذا وسرد عدة أحاديث على هذا النمط وصار يتكلم فيها ، ويسـتنبط منها على حسب اجتهاده فقال الأعمش :

حسبك ما حدثت به ساعة واحدة ما علمت بأنك تعمل بهذه الاحاديث ، يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ، ونحن الصيادلة ، وانت أيها الرجل اخذت بكلا الطرفين !

وقصارى القول وحماداه أن الامام أبا حنيفة برىء من تهمة قلة البضاعة فى الحديث ، والحمد لله الذى هدانا الى تجلية هذه المسألة الشائكة ، ويحسبنا هذا اليوم ، وندع الحديث عن بقية جوانب الامام الخصبة المشرقة الى المقال الآتى ان شاء الله تعالى ..

---

(١) زوطى بوزن موسى كما ضبط الامام النووى ، وضبطه صاحب القاموس بفتح للزاى كسلمى والمحققون على الأول .

(٢) عاصمة افغانستان .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٨ ط الهند .

(٤) الذى عليه الجمهور والمحققون من العلماء ان التابعى : من لقى الصحابى وهو مسلم سواء سمع منه أم لا ، وان كان من سمع من الصحابى أجمل ممن لم يسمع ولا شك .

(٥) يعنى أحدث كل ما معى من العلم .

(٦) عقود الجمان فى مناقب الامام أبى حنيفة النعمان مخطوط بمكتبة الحرم المكى .

(٧) انظر ما ذكره الامام مسلم فى مقدمة صحيحه عن جابر بن يزيد الجعفى صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ١٠١ — ١٠٣ .

(٨) عقود الجمان .

(٩) مقدمة نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية ص ٣٣وما بعدها .

(١٠) مقدمة ابن خلدون « بحث علوم الحديث » .

(١١) هذا العدد يخالف ما ذكره الامام ابن عبد البر وهو أعلم الناس بالموطأ من أن عدة احاديثه المسندة المرفوعة ثمانمائة وثلاثون حديثا هذا عدا ما فيه من الموقوفات والمقطوعات والبلاغات ..

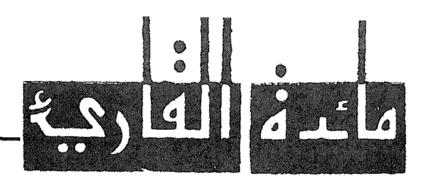
(١٢) هو الاستاذ احمد أمين — رحمه الله — فى كتابه « فجر الاسلام » ص ٢٤٤ .

(١٣) طبع بالهند من هذه المسانيد خمسة عشر مسندا فى مجلدين كبيرين وهى تعرف بجامع المسانيد وقد جمعها الامام الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

(١٤) مقدمة نصب الرواية ص ٤١ .

(١٥) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٨٥ ط حلب .





الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الألباب ٠

صدق الله العظيم

ان عبدا صححت له جسده ، ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة اعوام لا يفدو الى لمحروم ٠

رواه ابن حيان فى صحيحه

« وصية الحاج »

قال رجل لولادة العبدية كانت من اعقل النساء انى اريد الحج فاوصينى ٠

قالت — جد تسد ، واصبر تفز ، ولا يتعد غضبك حلمك ، ولا هواك علمك ، وقر دينك بدنياك ، ووفر عرضك بمالك وتفضل تفدم ، واهلم تقدم ، واستعن بالجلد النشيط ، والناصح الامين ، واستشر المجرب الكيس ، واستصحب الصديق الملم ، ثم قالت — يا ابناه انك تفد على ملك الملوك ، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه ٠

« صحيح البخارى »

روى محمد بن سليمان عن البخارى قال —

رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكأننى واقف بين يديه ، وبيدى مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين للرؤيا ، فقال لى — أنت تذب عنه الكذب ، فهو الذى حملنى على اخراج الصحيح ٠

« حصاد الألسنة »

قال كسرى — انا على قول ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت ٠

وقال قيصر — لا اندم على ما لم اقل ، وانما اندم على ما قلت ٠

وقال ملك الصين — اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم املكها ٠

وقال ملك الهند — الكلمة اسيرة فى وثاق الرجل ، فاذا تكلم بها صار فى وثاقها ٠

« القلـــم »

وصف على بن عبيدة القلم فقال —
أصم يسمع النجوى ، أعيا من باقل ، وأبلغ من سحبان . يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخـوان السنا ناطقة ، وأعينا لا حظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالســن عـند المشاهدة .

« الملك والزهـــد »

دعا احد الملوك زاهدا ، فلم يلب دعوته .

فقال الملك — وكيف لا يجيئنا وقد دعوناه ؟

فارســل اليه الزاهد يقول — ان الذى منعك ان تجـيئنا هو الذى منعنى من المجىء اليك وهو الكبرياء .

مناظرة بين محمد الباقر وابى حنيفة

يروى ان محمدا الباقر قال لابى حنيفة فى اول لقاء لهما بالمدينة — انت الذى حولت دين جدى واحاديثه بالقياس فقال ابو حنيفة . معاذ الله . فقال محمد بل حولته ، فقال ابو حنيفة اجلس مكانك كما يحق لك حتى اجلس كما يحق لى فان لك عندى حرمة كحرمة جدك صلى الله عليه وسلم فى حياته على اصحابه ، فجلس ثم جثا ابو حنيفة بين يديه ثم قال انى ســالتك عن ثلاث كلمات فاجبنى الرجل اضعف ام المراة ؟ فقال محمد المراة فقال ابو حنيفة كم سهما للمراة فقال للرجل سهمان وللمراة سهم فقال ابو حنيفة هذا قول جدك ولو حولت دين جدك لكان ينبغى فى القياس ان يكون للرجل سهم وللمراة سهمان . لان المراة اضعف من الرجل ثم قال : الصلاة افضل ام الصــوم ؟ فقال : الصلاة افضل قال هذا قول جدك ولو حولت قول جدك لكان القياس ان المراة اذا طهرت من الحيض امرتها ان تقضى وقت الصلاة ولا تقضى الصوم ، ثم قال البول انجس ام النطفة ؟ قال البول انجس ، قال فلو كنت حولت دين جدك بالقياس لكنت امرت ان يغتسل من البول ويتوضا من النطفة ، ولكن معاذ الله ان احول دين جدك بالقياس فقام محمد فعانقه وقبل وجهه واكرمه .

« اوسعتهم سبا واودوا بالابل »

يضرب مثلا للرجل يتهدد عدوه ويسبه وليس على عدوه منه ضرر . المثل لكعب بن زهير قاله لابيه زهير لما أغار الحرث بن ورقاء من بنى أسد على ابله وذهب بها وبراعيها ، فجعل زهير يهجوه ويسبه ويتهدده هو وقومه وهم لا يكترثون به فقال له ابنه كعب أوسعتهم سبا وأودوا بابلك راضروا بـك .

سيراليون : جبال الأسود
فريتاون : مدينة الحرية

للأستاذ : سليمان محمود عطا

كان البرتغاليون يتحسسون طريقهم على طول الشاطىء الغربى للقارة الافريقية بغية الوصول الى الهند ، وفى مكان من هذا الشاطىء الممتد ، ارتفعت الصخور وازدادت قسوة وصلابة ، وتجهمت كانها عرين الاسود وهبت الرياح عاصفة عنيفة مزمجرة عاتية ، وتردد صداها بين هذه الجبال ، وتلك الاودية والصخور كانه زئير الاسود . اطلق البرتغاليون على هذا الجزء من الشاطىء الغربى « سيراليون » اى جبال الاسود ولا يزال هذا الاسم مرتبطا بهذا المكان الى الآن ..

وحين أصدر « لورد مانسفيلد » الحكم فى قضية « جيمس سمرست » الرقيق الزنجى الذى هرب من سفينة كانت متجهة الى «جمايكا» ونزل بارض لندن ، وقام سيده « شارلس ليتوارت » برفع قضية يطالب فيها بالقبض عليه ، قضى الحكم « بان الرقيق ينال حريته عندما تطأ اقدامه ارض بريطانيا »

لقد اثر هذا الحكم على اربعة عشر الفا من الرقيق كانوا يعيشون وقتئذ فى بريطانيا فرد اليهم حريتهم المسلوبة وحقوقهم الضائعة .

ولكن هذه الحرية التى اكتسبوها كانت تبعاتها كثيرة ، واعباؤها ثقيلة ، لقد كانوا قبل الحرية يعيشون فى بيوت ساداتهم ، وهم غير مسئولين عن طعام او شراب او كساء ، ولكن بعد التحرير اصبحوا مسئولين عن كل ذلك ، ولم تكن الاعمال فى متناول ايديهم فادركتهم البطالة وارهقهم الجوع والمرض والبرد والحاجة الملحة .

وبعد اربعة عشر عاما من صدور الحكم فى قضية « سمرست » جاء الحل لهذه المشكلة ، وكان من اقتراح « دكتور سثمان » وهو خبير سبق له العمل فى غرب افريقيا لقد اقترح الاستفادة من « سيراليون » واعدادها لامرين ...



الأقاليم الفزيوغرافية لسيراليون

اولا — ان تكون وطنا للرقيق المحررين .

ثانيا — ان تكون قاعدة فى غرب افريقيا لمقاومة تجارة الرقيق ، ونشر الثقافة المسيحية فى هذا الجزء من القارة .

واستطاعت جماعة « كلافارم » وهى جماعة وهبت نفسها لتحرير الرقيق ، استطاعت الحصول من الزعيم الافريقى « توم » وهو من قبيلة التمنى — على مساحة من الارض فى شبه جزيرة « سيراليون » .

وفى ٢٢ فبراير سنة ١٧٨٧م ابحرت من بريطانيا المجموعة الأولى من الرقيق المحررين وكان عددهم نحو اربعمائة تقريبا ، ووصلت السفينة سيراليون فى مايو من السنة نفسها وسمى هذا المكان الذى افرغت فيه السفينة حمولتها من الرقيق المحررين « فريتاون » اى مدينة الحرية .

ومن هذا التاريخ « وفريتاون » عاصمة « سيراليون » .

ولعلنا بهذه المقدمة الخفيفة نكون قد عرفنا لماذا سميت سيراليون وفريتاون بهذين الاسمين

ولقد استمر ارسال الكثير من العبيد المحررين ، ولم ينته القرن الثامن عشر الا وكانت بريطانيا قد تمكنت من ارسال جميع المحررين فيها الى سيراليون .

واصبحت فريتاون بعد ذلك قاعدة للاسطول البريطانى لمراقبة تجارة الرقيق عبر الاطلسى والقضاء عليها ، ومصادرة ما تحمله السفن منها ، ثم اعادته الى موطنه ان امكن والا فالى سيراليون ليسهم فى تكوين المجتمع الجديد .

وسكن هؤلاء جميعا فريتاون وما حولها .. واطلق عليهم اسم « الكريول » وهم بهذا

يتميزون من سكان الداخل من القبائل الافريقية ، ويمثلون عالما جديدا ، وثقافة متميزة ، فهم لا يجمعهم بسكان الداخل الا وحدة اللون .

اما اللغة والدين والنظرة الى الحياة ، والموقف الاجتماعى والاقتصادى ، فكان يختلف اختلافا جذريا بين الساحل والداخل ، اى بين « الكريول » وهم من عرفنا ، وبين سكان البلاد الاصليين !!

موقع سيراليون :

تقع سيراليون على الساحل الغربى من افريقيا ، ويمتد ساحلها ٢١ ميلا من الحدود الغينية شمالا حتى حدود ليبريا جنوبا وتحد شمالا بغينية وجنوبا بالمحيط الاطلسى ، وشرقا بغينية وليبريا ، وغربا بالمحيط الاطلسى .

ومساحتها : ٢٧٩٢٥ ميلا مربعا ، ومجموع سكانها ٢ ١/٤ مليون نسمة ، والسنة فى سيراليون فصلان : ممطر وجاف .

ويستمر المطر من مايو الى اكتوبر او نوفمبر والامطار غزيرة ، وقد تستمر عدة ايام دون انقطاع .

اقتصاد سيراليون :

واقتصاد سيراليون يعتمد اساسا على عاملين :

انتاج الغلات الزراعية ، واستخراج الخامات المعدنية .

واهم حاصلاتها الزراعية — زيت النخيل ، والكاكاو ، والكولا ، والزنجبيل والبن والموز والموالح والفول السودانى والارز .

واهم معادنها الماس ، — وله اهمية كبيرة فى اقتصاد سيراليون — والى جانب الماس تعنى سيراليون ، باستخراج الحديد ، والألمنيت والبلاتين ، والذهب ، والكروم .

كيف ومتى استقلت سيراليون ؟

كان فى سيراليون تسعة احزاب ، اتفقوا جميعا على تكوين جبهة واحدة للمطالبة باستقلال سيراليون ، وكونوا وفدا ، وعندما وصل الوفد الى لندن لحضور المؤتمر الدستورى فى ربيع ١٩٦٠ — قال وزير المستعمرات ان استقلال سيراليون آمر مقرر ، وفى ٢٧ من ابريل سنة ١٩٦١ وافقت بريطانيا على ان تمنح سيراليون استقلالها .

وارتفع علم جديد للحرية فى سيراليون ، انضم الى غيره من الاعلام التى حصلت على حريتها واستقلالها فى افريقيا .

وكان اول رئيس للوزراء بعد الاستقلال الدكتور « ملتن مارجاى » وقد زرته فى مكتبه فى رمضان سنة ١٩٦٢ حيث كنت عضوا فى بعثة وزارة الاوقاف الى سيراليون فى هذا الشهر ، ولقد كانت هذه اول بعثة ازهرية تدخل سيراليون .

لقد قال لنا الدكتور « ملتن » انا احب الاسلام ، لان جدى مسلم ، ولذلك فانا اصلى مع المسلمين فى مساجدهم ومع المسيحيين فى كنائسهم .

وتلك طبيعة حكام سيراليون الى الآن ويبدو ان هذا من اجل ان الغالبية مسلمة فيجد الحاكم وهو مسيحى دائما نفسه مضطرا لمجاملة المسلمين لانهم اصحاب الاكثرية .

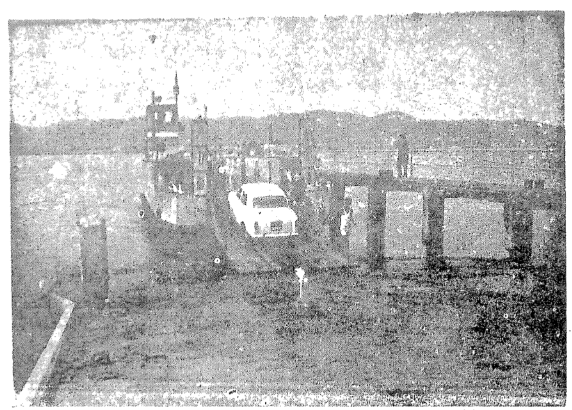
وخلف الدكتور « ملتن » شقيقه « البرت مارجاى » وسار على نفس الطريق وسلك نفس المنهج ، واستمر فى الحكم حتى انقلاب سنة ١٩٦٧ .

سيراليون المسلمة :

لقد عرفنا شيئا عن تاريخ سيراليون وعن قصة نشاتها كدولة ذات كيان . ويجب ان نعرف شيئا عن تاريخ الاسلام فى هذه البلاد وكيف دخل اليها ؟ وما هى العوامل التى ابقت عليه ، وجعلته دين الاغلبية فى هذه البلاد بالرغم من غلبة التبشير ، وتنصر الحكومات المتعاقبة التى حكمت سيراليون سواء ما كان منها تحت الحماية وما اصبح فى ظل الاستقلال بعد سنة ١٩٦١ م .

لقد وصل الاسلام الى غرب الفريقية عن طريقين .

طريق الصحراء من تونس والجزائر والمغرب . الطريق الساحلى الى السنغال ومنها الى بقية غرب افريقيا جنوب الصحراء .



ـ الفيرى ـ الذى ينقل المسافرين الى فريتاون بعد وصولهم الى المطار عبر المحيط الاطلسى .

وقد تعاقبت على غرب أفريقيا امبراطوريات اسلامية بعد قيام دولة المرابطين سنة ١٠٤٢ هى امبراطوريات غانا ، ومالى وصنغهاى ، وانتشرالاسلام بين كثير من قبائل الفولا ، على ساحل غينيا ، ثم جماعات الهوسا والماندنجو .

ولقد دخل الاسلام الى سيراليون بواسطة اولا ـ طريق التجارة والمعلمين فى الفترة بين القرنين الحادى عشر والسابع عشر ودان به الحكام دون الشعب وكان بطء الانتشار غير محسوس .

ثانيا ـ عن طريق حروب الفولا المقدسة التى بدأت حوالى سنة ١٨٠٠ م بعد تكوين المملكة الاسلامية فى مرتفعات فوتاجالون ، والتى قام دعاتها بالحروب المقدسة ضد القبائل المجاورة جنوبا وغربا ، حتى دان بالاسلام كثير من القبائل الوثنية ، ووصل بعض الدعاة الى مناصب المشايخ ، مما كان له اكبر الاثر فى اتباع العامة للعقيدة الاسلامية ..

واستمر انتشار الاسلام على يد جماعات الماندنجو ، والفولا ، والسوسو .. خلال القرون التالية . حتى اصبح الاسلام هو الدين السائد فى شمال سيراليون حيث تتركز جماعات التمنى ، ثم فى الشرق بين المندى ، واصبح يدين به حاليا ما يزيد على ال ٧٠٪ من سكان البلاد .

ولقد كان للفرق الصوفية التى تكونت فى غرب افريقية اثر كبير فى انتشار الاسلام . ولعل أهم هذه الطرق التيجانية والقادرية ، واتباعها كثيرون ، ولهم اوراد يلتزمون بها ولا يحيدون عنها ، ويجتمعون عليها فى بيوت الله مساء الاثنين والخميس ولهم دوى كدوى النحل ، ولا تكاد ترى مسلما من اتباع هاتين الطريقتين ، يمشى الا ومسبحته فى يده ولسانه يلهج بذكر الله .

وبسبب هاتين الطريقتين تسربت العقيدة الاسلامية الى الوثنيين فى غرب افريقيا ، وانتشر الاسلام فى قوة وبصفة متصلة ، وبخطوات وئيدة هادئة .

وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر يؤسسون المدارس ، ويقومون بالانفاق

عليها ، كما كانوا يقومون بنشاطهم فى نشر الدعوة الاسلامية بين القبائل بالحكمة والموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة .

ولقد زاد انتشار الاسلام ، وكثر اتباعه فى سيراليون ، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، ودانت به اغلبية السكان .. لانه دين الفطرة ، ودين يتناسب يسره ومرونته مع اهل هذه البلاد . ودين يسوى بين الجميع فلا فضل لعربى على عجمى ولا لاسود على ابيض الا بالتقوى .

ولو ان افريقيا كلها خلى بينها وبين الاختيار وزالت العقبات التى تحول دونه لما اختارت غير الاسلام دينا ، وغير محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ... ولقد ظل التعليم بين ابناء البلاد قاصرا على تحفيظ القرآن الكريم يقوم به المعلمون من ابناء قبائل الفولا والماندنجو والهوسا حسبة لله سبحانه وتعالى ولا تزال هذه الكتاتيب قائمة تؤدى رسالتها وتقوم بواجبها ، وتعد التلاميذ لدخول المدارس الاسلامية التى انشئت فى الآونة الأخيرة ..

وكم كان جميلا ومؤثرا حين كنا على سفر فى فجر يوم من الايام ، ورأينا امام كثير من القرى التى مررنا عليها نيرانا مشتعلة قد هتكت حجب الظلام وحين سألنا عن مصدر هذه النيران واسبابها ، قيل لنا ان هذه النار يوقدها الالفوات ويجتمعون عليها مع تلاميذهم الذين يحفظونهم القرآن حتى يروا على ضوئها الواحهم ، ويتبينوا كتاباتهم ، ويقرأوا ما يكتبون ، حين سمعت ذلك اطرقت هنيهة ، وقلت فى نفسى صدق الله العظيم حيث قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

التبشير :

عاش اهل البلاد فى عزلة معرضين عن مدارس التبشير التى قامت فى بعض المدن ، والتى كانت تصر فى تعسف على تعميد ، وتنصير ، وتغيير اسماء كل من يدخلون فيها من ابناء المسلمين .

وبهذه العصبية الكافرة من مدارس التبشير حرم الكثير من ابناء المسلمين من فرص التعليم التى هيئت لغيرهم ، من ابناء الكريول . والتى رشحتهم فيما بعد لتولى اعلى المناصب فى الدولة .

ومن العجيب ان هذه المدارس لا زالت تصر على ذلك وتقوم به على الرغم من ان قانون التعليم فى سيراليون لا يسمح لها بهذا الاعتداء الاثيم على حرية الاديان ولكم نبهنا المسئولين الى ذلك ، وكان الصدى ..

لقد اسمعت اذ ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

احجم المسلمون عن الحاق ابنائهم بمدارس التبشير ، وقد قال احد كبارهم حين سالته عن كثرة الجهل وقلة الوظائف بين طوائف المسلمين ، قال لقد فضلنا ان نكون مسلمين جهلاء على ان نكون كفارا علماء ..

اما الذين لم يحجموا عن مدارس التبشير من المسلمين والحقوا ابناءهم بها ، وتغاضوا عن تنصيرهم او تعميدهم ، فقد وصل ابناؤهم الى كثير من المناصب الرئيسية فى الدولة .

ومن الأسر التى كانت تدين بالاسلام ، وتحول ابناؤها الى النصرانية «اسرة مارجاى» وهى اسرة مندية ، وكان منها اول رئيس للوزراء ، وهو الدكتور (ملتن مارجاى) وآخر رئيس للوزراء حتى قبل انقلاب ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ . وهو « البرت مارجاى »

وكذلك اسرة « كاريفا سمارت » وزير خارجية سيراليون الاسبق وهو من قبيلة التمنى وكذلك البريجادير (لانسانا) قائد القوات المسلحة السابق قبل ثورة ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ ولكم دعانا لصلاة العيد فى القوات المسلحة ، وحدثنا عن ذكرياته الاولى فى حفظ القرآن الكريم ، وانه لا يزال يحتفظ بمصحف فى مكتبته .

ان التبشير فى سيراليون له اصول عميقة عمق الاستعمار الذى جاء به وحمله الى هذه البلاد فى غفلة وجهل من اهلها ..

وهو يسير على سياسة مدروسة وخطة محكمة لا تقوم على المظاهر وانما تقوم على تخطيط زمنى وعقائدى .

وهو لم يجىء وحده ، وانما جاء فى ركاب الاستعمار ، والاستعمار هو الذى كان يحميه ويؤازره ، وقدم له كل اسباب البقاء والحياة

وكل المعونات المادية والمعنوية ، وهو الذى هيا له تربة صالحة ، وجوا ملائما بين اوساط الحاكمين الذين تعاقبوا علـى سيراليون ، وكانوا يملكون فى ايديهم سلطة البلاد ومقاليدها

ان سيراليون بها ما يزيد على ثمانمائـــة مدرسة ، بين ابتدائية ، وثانوية ، غالبيتها يسيطر عليها ويديرها جمعيات تبشيرية وهيئات كنسية .

التعليم فى سيراليون :

تتمثل فى سيراليون جميع انواع التعليم الابتدائى ، والثانوى ، والتجارى ، واعداد المعلمين ، والصناعى ، والمهنى ، والجامعى حيث تم انشاء كلية فورابى وقامت بتاسيسها الجمعية الارسالية الكنسية سنة ١٩٢٧م وهى تابعة لجامعة درهام فى بريطانيـــا ، وقد اتسعت هذه الكلية حتى اصــــبحت جامعة تشتمل على الكثير من الكليات والدراسات ، كما تستقبل العدد الوفير من ابنـــاء غرب افريقيا ، وعدد طلابها يزيد الآن عن الخمسمائة طالبه يمثلون الكثير من دول القارة الافريقية مثل نيجيريا ، وغانا ، وغمبيا ، وكينيا ، واوغنده ، وروديســـــيا الجنوبية وجنوب افريقيا .

ومما يذكر ان بها قسما للعلوم الدينية ، يشتمل على دراسات للعلوم الدينية للحصول على الليسانس .

وبرامج دراسية فى دراســـــة الانجيل ، ودبلوم للدراســـــات العليـــا فى اللاهوت وكل الدراسة فى سيراليون باللغة الانجليزية

التعليم العربى :

حتى سنة ١٩٦١ لم يكن للتعـــليم العربى نصيب ، بل كان كل حظه هـــــذه الكتاتيب المتناثرة هنا وهناك .. حتى تأسست جماعة الاخوة الاسلامية وافتتحت أول مدرسة لهـــا بمجبوراكا وامدتها الجمهورية العربية المتحدة باثنين من المدرسين ، وتوالت البعثات بعــد ذلك ، وتسابق المسلمون فى كل البـــلاد فى فتح مدارس عربية اسلامية حتى تركناها سنة ١٩٦٨ ولجماعة الاخوة الاسلامية ما يزيد

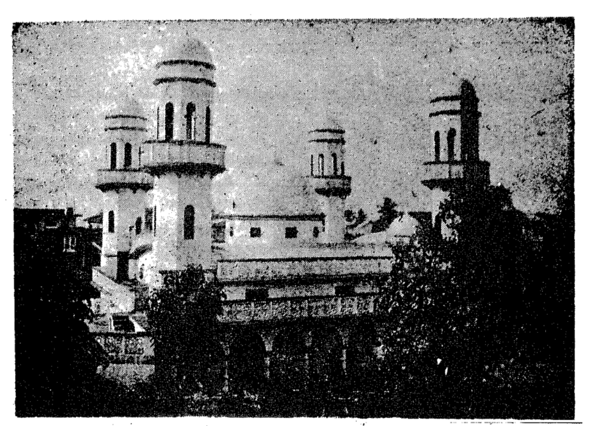


صورة لتلاميذ مدرسة الأخوة الاسلامية بمدينة فريتاون

على ٤٢ مدرسة ابتدائية — ومعهد لاعداد المعلمين ومشروع انشاء مدرســـة ثانوية ولا تزال البعثة التعليمية هناك تؤدى واجبها على اكمل الوجوه .

والى جانب مدارس الاخوة الاسلامية . توجد مدرسة ثانويـــــة للمؤتمر الاســـلامى والمدرسة الايمانية التى يديرها الحاج جبريل سيسى شيخ قبيلة التمنى ، وأول من تعلم فى الازهر الشريف .

ومدارس جماعة الاحمدية ، وللأحمدية فى سيراليون نشاط ملحوظ ، وقد وصل أول دعاتها الى سيراليون سنة ١٩٣٧ وأخذ بتنقل



مسـجد الفولا بمدينة فريتاون وهو من اكبر المساجد

من مكان الى مكان ، حتى استقر فى « بو » ومنها امتد النشاط الى فريتاون حيث بنوا مسجدا ، ومكتبة ، ومطبعة وقاموا بانشاء بعض المصانع لانتاج بعض احتياجات البيئـة ومتطلباتها وكـان بعض الوزراء ينتمى الى هـذه الجمـاعة ، والكثير من المسـلمين لا يعرفـون مـا تنطـوى عليـه دعوتهـم وحين يعلمون حقيقتها ينفضون من حولهـم ، حيث لا يوجد مسلم يقبل ان يناقش فى قضية أن محمدا رسول الله وانه خـاتم الانبياء والمرسلين ،

مساجد سيراليون :

وسيراليون بها الكثير من المساجد فـكل قبيلة لها مسجد ومسجدان وثلاثة ، وفريتاون وحدها بها ما يزيد عن الثلاثين مسـجدا ، وبعض هذه المساجد يرجع الى تاريـخ قديم يرتبط بتاريخ الاسلام فى هذه البلاد .

ومن التقاليد الجميلة فى هذه المسـاجد تخصيص ربع المبنى تقريبا للسيدات لانهن يؤدين الصلاة جماعة مع الرجال فى كل الاوقات ..

الجالية العربية :

فى سيراليون جالية عربية لبنانية تزيد عن خمسة آلاف نسمة ، وهى تعمل بالتجارة ولهم هناك ناد كبير ، ومدرسة ، وفى طريقهم الى انشاء مسجد كبير يساهم فيه كل ابناء الجالية وهم يتفاعلون دائما مع الاحداث التى تمـر بالعالم العربى والاسلامى ، فصلتهم باوطانهم قائمة ، وارتباطهم بعروبتهم وثيق ، ويرجى منهم خير كثير لو احسنوا صلتهم بربهم ، واقاموا شعائر الاسلام فيما بينهم .

النشاط العربى :

للجمهورية العربية فى سيراليون ، سفارة ومركز ثقافى به الالاف من الكتب فى مختلف العلوم والفنون ويؤمه الكثير من عشاق العلم والمعرفة ، وهناك فرع للشركة النصر وبعثة تعليمية بها اكثر من خمسة وعشرين مدرسا وواعظا يعملون فى مدارس الاخوة الاسلامية والمؤتمر الاسلامى ، والمساجد ، والاذاعـة



صورة لمبعوث الازهر فى صـــلاة عيد الفطر المبارك

والتلفزيون وقد كان لنا برنامج تليفزيونى كـل اسبوع يسمى « نور على نور » وكان نافذة يطل منها وجه الاسلام والعروبة فى هـــذا البلد الكريم .

وقد كان لمدير المركز الثقافى اثر فعال فى هذا البرنامج حيث كان يترجم ما يقال فيه من اللغة العربية الى اللغـــة الانجليزيـة بالاضافة الى نشاطه المتعدد فى جميع المجالات كما كان لنا درس اسبوعى لتعليم اللغـة العربية فى التليفزيون ولقى اهتماما كبيرا .

النشاط الاسرائيلى :

فى الآونة الأخيرة كان للاسرائيليين نشاط معمارى وتجارى ملحوظ ، ولكن تبين بالتجربة ان اعمال اسرائيل تنقصها الامانة والدقة ، وان كل المنشآت والمبانى التى قاموا بها او اشرفوا عليها كانت تخالف المواصفات المتفق عليها ، وبدأ الخلل يظهر فيها ، كما ظهـر كثير من الاختلاسات التى قـــام بها موظفون اسرائيليون ، وحين اكتشف امرهم فروا هاربين وعلى الرغم من كل هذا فنشــــاط اسرائيل لا يتوقف ، واطماعها فى افريقيا ليس لهـا حدود ، ولها اساليب ماكرة خبيثة تستميل بها الكثير من الشخصيات الكبيرة التى ينتظر أن تكون عونا لها وسندا فى يوم من الايام ومن هذه الاساليب اعطاء تذاكر الدعوة للسفر الى اسرائيل وزيارتها مجانا وتسهيل سفر الطلاب اليها للدراسة حتى يعودوا بافكار جديدة ، ويكونوا عونا لها فى تنفيذ مخططها الاستعمارى البغيض .

ثورة الجيش فى سيراليون :

بعد خلاف طويل قام بين حزب الحكومــة

وحزب المعارضة .A. B. C اثر نجاحه فى الانتخابات العامة ، وعدم تمكينه من مزاولة الحكم ، وحدوث بعض القلاقل والاحداث ، قام الجيش بثورته فى ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ وتولى قائد الجيش زمام الامور ، ثم تبعه انقلاب من الجيش نفسه ، تولى بعده زمام الامر حزب المعارضة وتولى منصب رئيس الوزراء المستر « شياكة ستيفن » وهو اول رئيس للوزراء تفهم القضية العربية وانفسح صدره لها ، كما اعطى للصحف حرية نشر وجهة النظر العربية على اوسع نطاق ، وقامت صحيفة الديلى ميل وهى الصحيفة الرسمية الاولى للبلاد بنشر عدة تحقيقات كان لها اكبر الاثر فى القاء الاضواء على مشكلات الشرق الاوسط وعلى اعتداء اسرائيل الغاشم الاثم على جميع المقدسات ..

كما كان من نتيجة الثورة اختيار الحاج محمد بنجاتيجان سى حاكما عاما لسيراليون . وهو اول حاكم عام مسلم يتولى هذا المنصب فى تاريخ سيراليون وهو من اسرة مسلمة وكان والده احد ائمة المسلمين . وهو عضو بجماعة الاخوة الاسلامية .

وقد رأس وفد برلمان سيراليون لزيارة الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٥ بدعوة من رئيس مجلس الامة العربى .

العادات والتقاليد :

ان شعب سيراليون كأى شعب له عاداته وتقاليده وفلسفاته ، فهو يشتمل كما ذكر « هاريسون تشرتش » على مائة وستين زعامة قبلية ، ولكل قبيلة عاداتها وتقاليدها ، ولكل قبيلة لغتها التى تتعامل بها فيما بينها .

وان كانت اللغة السائدة فى الاوساط المثقفة هى لغة « الكريول » ، وهى خليط من البرتغالية ، والانجليزية ، وخليط من لغة بعض القبائل كالتمنى ، والاوكو والسوسو ، والفولو . حتى جعل بعض الكتاب يصفونها بانها خليط المخاليط .

ومن الغريب ان المسافر الى سيراليون يستعمل طرق المواصلات الثلاثة الجو ، والبحر والبر . فالطائرة تقطع رحلتها من القاهرة الى سيراليون فى اثنتى عشرة ساعة تقريبا وبعدها تصل الى « لونجى » وهو مطار سيراليون ، ومن المطار تنقل السيارات المسافرين الى شاطىء المحيط الاطلسى المقابل لشاطىء فريتاون ، ومن هذا الشاطىء يقوم « الفيرى » وهو المعدية بنقل الركاب عبر المحيط حتى يصل بهم الى شاطىء فريتاون وبهذا تنتهى رحلة المسافر الى سيراليون .

خاتمة ..

هذه لمحات سجلتها عن سيراليون لم تشمل كل ما فيها وان شملت بعضه وكنت فيها على حد قول القائل ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولعلى استطيع ان شاء الله ان اعود الى الحديث مرة اخرى لاوفى بعض الجوانب حقها من البحث ، ونصيبها من التوضيح . والله المستعان .



فكرة جمع الفتاوى وخطواتها العملية

للأستاذ : أنور أحمد قادري

تقـديم : *

كتاب (الفتاوى الهندية) العالمكيرية من اعظم واهم مراجع الفقه الحنفي ، كانت في التاريخ الاسلامى أول مشروع تأليف كتاب فقهي جامع تقوم به لجنة رسمية من كبار فقهـاء العصر تؤلف بأمر ملك حاكم لهذه الغاية قبل نحو اربعة قرون ، لتجميع الاحكام المبعثرة ، وتسهيل الرجوع اليها واختيار الراى الفقهى الراجح فى كل مسـألة ، منعا لفوضى الفتوى والقضاء . فهى الخطوة الأولى من نوعها فى تاريخ تدوين الفقه الاسلامى ، وهى تمهيد وتعبيد لطريق التقنين من الفقه .

وللأستاذ الباكستانى السيد انور أحمد قادرى الأسـتاذ فى كلية الحقوق الاسلامية السندية فى كراتشى عاصمة باكستان بحث مسهب باللغة الانجليزية عن هذه الفتاوى ، كان ارسله الى ادارة الموسـوعة الفقهية لترجمته ونشره ، فعهدنا الى الأسـتاذ الدكتور برهان الشـطى فى مجلس التخطيط بالكويت بترجمتها ، فقام بهذه المهمة مشكورا رغم ضيق وقته وزحمة أعماله خدمة للفقه الاسلامى ، ثم جرى فى ادارة الموسوعة تنقيح الترجمة ورد الكلمات الاصطلاحية واسماء الاعلام والكتب الى اصولها العربية ، لان كثيرا من هذه الألفاظ اعتراها تحريف كبير فى نقلها عن العربية الى الانكليزية التى كتب بهـا البحث كاتبه ، ثم ترجمتها عن الانكليزية .

والآن نقدمها الى مجلة (الوعى الاسلامى) لتنشر ويطلع ابناء العربية على

---

* كتب التقديم الاسـتاذ مصطفى الزرقا خبير الموسـوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشـؤون الاسلامية .

اوسع بحث يؤرخ مشروع وضع الفتاوى الهندية العالمكيرية الذى ظل حتى اليوم لا يوجد عنه فى العربية الا معلومات بسيطة يسيرة .

وجدير بالتنبيه أن تسمية هذا الكتاب الفقهى الجامع الجليل باسم (الفتاوى) لا يدل على ما لهذه التسمية من معنى معروف ، فالمعروف أن كتب الفتاوى ــ وكثير ماهى فى مدونات فقه المذاهب ــ تدل على مجموعات من أجوبة المسائل والوقائع التى سئل فعلا عنها جامعوها من كبار الفقهاء واجابوا عنها ، ثم رتبوها على الأبواب واخرجوها فى كتاب كبير أو صغير .

اما هذه الفتاوى العالمكيرية فهى ليست فتاوى بهذا المعنى ، وانما هى مجموعة كبرى من فروع الفقه الحنفى وأحكام مسائله فى جميع الأبواب الفقهية جمعت من أمهات مدونات الفقه الحنفى متونا وشروحا ، ومن كتب الفتاوى (بمعناها المعروف) وانما سميت بالفتاوى العالمكيرية ، لأنهم جمعوا فيها الاقوال والآراء الفقهية الراجحة فى المذهب الحنفى ليعتمدها المفتون والقضاة فى الافتاء والقضاء فهى الأحكام الفقهية التى يجب اعتمادها للفتوى ، ومن هنا جاءت تسميتها بالفتاوى .

تنسب الفتاوى العالمكيرية الى الامبراطور الملقب عالمكير ــ اى فاتح العالم ــ واسمه أورانك زيب وهو من أعظم اباطرة هندستان المغوليين ، وأورانك زيب هو الابن الثالث للشاه جهان ، وقد ولد فى شهر اكتوبر من عام ١٦١٨م وكان اسمه الاصلى عند الولادة «محمد» الا أن والده بدل اسمه الى أورانك زيب ومعناه « زينة العرش » لأنه كان الابن المفضل لديه ، وقد اتخذ أورانك زيب فيما بعد القابا اضافية منها (محيى الدين) و (عالمكير) ، وقد اظهر أورانك زيب فى سن مبكرة وطوال حياته شعورا دينيا عميقا ، ويقال بأن هذا الشعور الدينى تولد لديه خلال مرحلة تعليمه على يد كبار العلماء المسلمين (١) . وقد ناضل تحت رايته السواد الاعظم للمسلمين من أجل بعث المثل الاسلامية العليا ، وبعد أن تغلب على العقائد الكافرة تسلم عرش دلهى فى عام ١٦٥٨ م ، وقد أصدر أوامره رأسا بالاقتصاد فى نفقات البلاط الملكى ، واتخذ اجراءات عديدة لاصلاح طرق الحياة واساليب المعيشة ، فأنشأ لهذه الغاية (محكمة الاحتساب) وتبنى خطوات لتحسين احوال عامة الناس وضمان الرفاهية لهم .

وليس بين المؤرخين من يستطيع أن يجادل فى أن الامبراطور عالمكير قد كان عاهلا تقيا وملكا نيرا ، فقد كتب مرة الى والده قائلا له :

« ان السيادة هى الحفاظ على مصالح الشعب وليس الانغماس فى الشهوات والتبذير » وكان يقول : **(ان كل ما لدى الامبراطور من أملاك وثروات ليست ملكا له ، بل هى وديعة تخص البلاد والعباد)** وفى شؤون ادارة الدولة كان يقول :

(نحن اتباع عمر العظيم) ولذلك **(فان الملك يمكن الادعاء عليه امام القضاء)** وكان كثيرا ما يستشهد بمثنويات الشاعر سعدى القائلة : **تخل عن أن تكون ملكا بربك تخل عن ان تكون ملكا ، او قرر بأن يكون حكم ممالكك بيدك فقط) (٢) .**

كل هذا جعل الآخرين يلقبونه بأنه : **(محيط العدالة)** ، وبكونه اكثر الناس تميزا بالاخلاص والتقشف وقد كان ضليعا فى قوانين الشريعة ، ورجل دولة ،

وأداريا من الطراز الأول ، فقد شمل برعايته المتعلمين ، واسس لهذا الغرض عدة مدارس ، وأوجد نظام المرتبات الثابتة لكل من المعلمين والتلاميذ على السواء . وفى عهده توطدت بشكل خاص العلاقات السياسية والدبلوماسية والثقافية والتجارية والعلاقات الدولية الأخرى مع البلاد الاسلامية فى آسيا الوسطى ، فقد تم تبادل السفراء مع بلاد تركستان ، وكان الامبراطور يحترم مبعوثى البلاد الأجنبية احتراما عظيما . وكان القانون الدولى الاسلامى يطبق فى عهده بحق على جميع بلاد العالم المسلمة على السواء ، كما كانت الدول غير المسيحية تتمتع بالسيادة التامة فى نظره ، تمارس حق ارسال السفراء وقبولهم ، وكان استقلال دولة ما استقلالا قائما بحكم الواقع يعنى فى الوقت نفسه سيادة قائمة بحكم القانون بصرف النظر عن اى اعتراف رسمى بتلك السيادة ، ولقد انحرف القانون الدولى المعاصر انحرافا جذريا عن هذا المفهوم الطبيعى للسيادة مما أدى الى المغالطة بالحكم على تصرفات دولة ما خلال القرون الماضية على أساس مفاهيم القانون الدولى المعاصر (٣) .

ووصل الاسلام بسلطته الزمنية فى عهد هذا الامبراطور العظيم الى ذروتها ، ومع مرور القرون التى فصلت بين عهد النبى عليه الصلاة والسلام وعهد علماء المسلمين البارزين فى ظل حكم الامبراطور — توصل الدين الاسلامى الى بلوغ أعلى مستويات الحضارة الفكرية ، ولم يكن فى عهد الامبراطور أية معارضة سياسية من قبل من كانوا ضد الاسلام لانهم لم يكونوا ليجرؤوا على القيام بأى نشاط معاد ، وكان هناك شعور بالحاجة لأن يكرس الامبراطور نفسه لمبادىء الحكم الاسلامى فى الشؤون الدستورية وشؤون الادارة الحكومية ، ولما كان حجر الزاوية فى قيام الدول والحكومات هو القوانين المتعلقة بالادارة القضائية والقانونية شعر الامبراطور شعورا صادرا من صميم قلبه بانه كان عليه ان يعمل على ادخال المثل العليا الاسلامية فى العقائد والمعاملات بصورة رسمية ، وبالتالى ادخال نظام يقوم على مبادىء تحكم الشؤون اليومية للحكومة والافراد وأساليب فض المنازعات التى تقوم فيما بينهم .

الخطوات المتخذة من قبل الامبرطور فى سبيل اعداد مدونة الفتاوى :

لما كان الامبراطور نفسه فقيها فقد كان يهتم اهتماما عظيما بالفقه الاسلامى ، وهذا ما جعله يدرك حاجة زمنه اليه ، وكان أول خطوة اتخذها فى سبيل جمع الفتاوى وترتيبها اختياره لكبار علماء الفقه والشريعة ، ممن كان مشهودا لهم بطول الباع فى هذا المضمار ، وبعد ذلك اتخذ الترتيبات اللازمة لكي يحصل هؤلاء العلماء المختارون على التعويضات المالية المناسبة ، وفى خطوة ثالثة أصدر الامبراطور أوامره بجمع كل مايمكن جمعه من الكتب والمؤلفات لتكون مراجع تسهل على العلماء المهمة الموكولة اليهم ، وأخيرا اقام الامبراطور نفسه مراقبا ومتتبعا للعمل على أساس يومى وبذلك كان يطلع يوميا على ماتم انجازه من أعمال .

وقد اتخذ الامبراطور هذه الاجراءات جميعها خلال اربع سنوات من تسلمه العرش وعين مجلس الفقهاء فى سنة ١٠٧٣ هـ ، وكان من مقاصد الامبراطور

بالاضافة الى ما ورد ذكره اعلاه ان يتم بشكل نظامي ترتيب الآراء الفقهية الموثوق بها ، التي جاء بها المجتهدون السابقون ، والتي كانت مبعثرة في العديد من كتب الفقه والفروع وذلك لكي يمكن وضع مؤلف شامل وسجل ترجع اليه المحاكم والأفراد فيما يتعلق بشؤون دينهم ، ويمكن القول بالاستناد الى الوثائق المتوافرة ، بأن العلماء والفقهاء الذين ساهموا في جمع كتاب الفتاوى كانوا ذوي الأسماء التالية :

الملا نظام الدين برهان بوري رئيسا لمجلس الفقهاء ، الملا وجيه الدين من غاباماو ، الملا حميد جاونبوري ، القاضي محمد حسين جاونبوري ، الملا جلال الدين محمد جاونبوري ، السيد نظام الدين ثناوي ، الملا محمد جميل صديقي ، مولانا شافع سرهندي ، القاضي محمد ابو الخير ، الملا ابو واعز هوغمي الملا وجيه الرب ، الملا زياد الدين محدث ، السيد محمد قناوجي ، الشيخ رضي الدين بهاغا البوري ، الملا محمد أكرم لاهوري ، مولانا محمد فائق ، القاضي على أكبر سعد الله خاني ، السيد عناية الله مونغري ، الملا غلام محمد لاهوري ، الملا نصيح الدين جفري ، الشيخ أحمد خطيب ، الملا محمد غوث ، الامير ميرغان علامة الآراء ، وغيرهم من أكابر العلماء .

وقد تم ترتيب العمل بحيث عهد الى الشيخ وجيه الدين من غاباماو القيام بالربع الأول من العمل ، وعهد بالربع الثاني الى الشيخ جلال الدين محمد جاونبوري ، واعطى الربع الثالث الى القاضي محمد حسين جاونبوري وخصص الربع الرابع للملا حميد جاونبوري . وقد الحق بكل من هؤلاء العلماء الأربعة عدد من المستشارين وعلماء الشريعة ، وكان عليهم القيام بجمع كتب الشريعة الموثوق بها ، والمذاهب الفقهية الاسلامية وترتيبها حسب تسلسلها الزمني ، وترأس الملا نظام الدين العلماء الأربعة المذكورين ، وكان هو بدوره مرتبطا ارتباطا مباشرا بالامبراطور ، وكان الملا نظام الدين بوصفه رئيسا لمجلس الفقهاء يستدعى يوميا لمقابلة الامبراطور ليطلعه على ما تم انجازه من أعمال ، وذكروا أن الامبراطور كان كثيرا مايبدي ملاحظات انتقادية على العمل اليومي المنجز ، الذي كان يقدر بحوالي ثلاث أو أربع صفحات يوميا ، كما كان يشير الى بعض النواقص فيما يقدم اليه من مسودات ، وقد استغرقت عملية جمع الفتاوى فترة ثماني سنوات ، وقدرت تكاليفها المالية بحوالي ثمانية لخات من الروبيات أي (٨٠٠و٠٠٠) روبية (وهذا يعادل — على أساس النظام النقدي الحديث والتطورات الاقتصادية الطارئة — حوالي ثلاثين لخا من الروبيات ، أي ثلاثة ملايين روبية) .

وقد جمعت الأحكام الفقهية باللغة العربية ، وسميت (بالفتاوى العالمكيرية) ، واحتوت على عرض موثوق به لأحكام الشريعة وقوانينها واجتهاداتها ، وعلى علوم الدين ، واتخذت صفتها الرسمية على شكل مرسوم امبراطوري ، وقد ترجمت هذه الفتاوى فيما بعد الى اللغة الفارسية بناء على رغبة ابنة الامبراطور (٤) .

مصادر الفتاوى ومحتوياتها :

نظرا الى أن الامبراطور نفسه كان مهتما بعملية جمع الفتاوى ، فانه يقال

بان مجموعة الفتاوى استندت بصورة رسمية على المراجع الموثوق بها فى احكام السنة والمذهب الحنفى ، وتسجل مجموعة الفتاوى هذه خطوة رائعة فى تاريخ قوانين الشريعة الاسلامية بالهند ، وبالنظر لأساليب العمل التى اتبعت فى اعداد مجموعة الفتاوى والترتيب النظامى لموضوعاتها فانها تتفوق على جميع المجموعات الفقهية التى تم اعدادها فى الهند سابقا ، وعلى الأخص منها (الفتاوى التتارخانية) فى زمن الامبراطور فيروز شاه تغلاق فى القرن الرابع عشر الميلادى و (الفتاوى الابراهيم شاهية) المنسوبة الى ابراهيم شاه شاركى فى القرن الخامس عشر ، وان الكتب التالية تعتبر من اهم مراجع الشريعة الاسلامية والاجتهاد وعلوم الدين التى تم الاستناد اليها فى تحضير مجموعة الفتاوى العالمكيرية :

١ ــ (الهداية) لبرهان الدين ابى الحسن على بن ابى بكر الفرغانى المرغينانى (٥١١ ــ ٥٩٣ هـ) وقد كتب هذا الكتاب بصورة متواصلة خلال ثلاثة عشر عاما .

٢ ــ (الوقاية) و (شرحها) لعبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة .

٣ ــ (النقاية) لصدر الشريعة ، مع شروح : الشيخ تقى الدين ابى العباس أحمد بن محمد الشمنى ، والشيخ زين الدين عبد الرحمن بن أبى بكر المعروف بابن العينى ، والشيخ عبد الواجد بن محمد ، والشيخ علاء الدين على ابن محمد ، والعلامة قاسم بن قطلوبغا ، والشيخ محمود بن الياس الرومى ، ومولاى شمس الدين محمد الخراسانى القهستانى ، وابى المكارم بن عبد الله ، والملا على القارى .

٤ ــ (كتاب الطحاوى) وهو المعروف بشرح معانى الآثار ، للامام احمد ابن محمد بن سلامة الازدى .

٥ ــ (كنز الدقائق) لأبى البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفى .
٦ ــ (كتاب القدورى لأبى الحسين احمد بن محمد القدورى .
٧ ــ (المحيط) لبرهان الدين محمود بن تاج الدين احمد بن الصدر الشهيد .

٨ ــ (المحيط) لرضى الدين محمد بن أحمد السرخسى .
٩ ــ (الجامع الصغير) للامام محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى .
١٠ ــ (المبسوط) ويقال له (الأصل) للامام محمد ايضا .
١١ ــ (الكافى) للحاكم الشهيد جمع فيه ستة من كتب الامام محمد .
١٢ ــ (منية المصلى) لسديد الدين الكاشغرى .

١٣ ــ (فتح القدير) للمحدث الفقيه ابن الهمام (بالنسبة للأجزاء الخمسة الاولى من شرح الهداية وتكملته (نتائج الأفكار) للمفتى أحمد شمس الدين قاضى زاده (بالنسبة للأجزاء الباقية) .

١٤ ــ (النوازل) للامام ابى الليث السمرقندى .
١٥ ــ (بدائع الصنائع) لأبى بكر بن مسعود الكاسانى .

١٦ ــ (السراج الوهاج) لأبى بكر بن على الحدادى شرح به القدورى .
١٧ ــ (كتاب الزاهدى) لنجم الدين مختار بن محمود الزاهدى شرح به القدورى .
١٨ ــ (المنتقى) للحاكم الشهيد .
١٩ ــ (البحر الرائق) لزين الدين بن نجيم .
٢٠ ــ (العناية) للشيخ اكمل الدين محمد بن محمد البابرتى .
٢١ ــ (جامع المضمرات) لجمال الدين يوسف بن عمر الكادورى ، شرح به القدورى .

ومن المؤلفات القيمة التى تم الرجوع اليها بالاضافة الى ماورد ذكره :

القنية ــ زيادات الجامع الكبير ــ المختار ــ الذخيرة ــ غاية البيان ــ البرجندى ــ البناية ــ الزبدة ــ التهذيب ــ الاختيار ــ فتاوى قاضيخان ــ الفتاوى التتارخانية ــ معراج الدراية ــ التمرتاشى ــ الجوهرة النيرة ــ غياث السرنجى ــ جواهر الأخلاطى ــ الفتاوى البزازية ــ ــ فصول العمادية ــ الفتاوى السراجية ــ التجنيس ــ مختار الفتاوى ــ خزانة الفتاوى ــ الفتاوى الكبرى ــ الفتاوى الصغرى ــ الحاوى للقدسى ــ الفتاوى المخبية ــ خزانة المفتين ــ النهر الفائق ــ مجمع البحرين ــ التنوير ــ الشمنى ــ خزانة الفقه ــ البرهانية .. الخ ..

وقد جمعت هذه المؤلفات كلها ، ودرست بعناية فائقة ، وفحصت محتوياتها فحصا دقيقا ، وصنفت حسب درجة الوثوق بها ، وذلك لغاية الاستعانة بها فى عملية جمع الفتاوى العالمكيرية ، وكان على القائمين بعملية جمع هذه الفتاوى أن ينظموها بحيث يمكن استخراج مبادىء عامة منها قابلة للتطبيق ، ويزيلوا ما علق بها من خلافات ، أو ما كان منها مثارا للشك أو الجدل

وقد تم تبويب الفتاوى :

أ ــ المقدمة وتشتمل على سبب تأليف الكتاب وفضل الملك اورانك زيب فى ذلك ، وأن جامعيه اقتصروا فيه على المفتى به من المسائل الفقهية ، ومن ظاهر الرواية فى المذهب الحنفى غالبا ، والاشارة الى اصطلاحهم فى عزو النصوص الى مراجعها ..

ب ــ الفصول الرئيسية وتشمل الموضوعات والكتب التالية :

كتاب الطهارة ــ كتاب الصلاة ــ الزكاة ــ الصوم ــ والمناسك ــ النكاح ــ الرضاع ــ الطلاق ــ العتاق ــ الأيمان ــ الحدود ــ السرقة ــ السير ــ اللقيط ــ اللقطة ــ الاباق ــ المفقود ــ الشركة ــ الوقف .

كتاب البيوع ــ كتاب الصرف ــ الكفالة ــ الحوالة ــ كتاب ادب القاضى ــ كتاب الشهادات ــ كتاب الوكالة ــ كتاب الدعوى ــ كتاب الاقرار ــ كتاب الصلح ــ المضاربة ــ الوديعة ــ العارية ــ الهبة والاجارة ــ كتاب المكاتب ــ

وكتاب الولاء ــ وكتاب الاكراه ــ كتاب الحجر ــ كتاب المأذون ــ كتاب الغصب ــ كتاب الشـــفعة ــ كتاب القســـمة ــ كتاب المزارعة ــ كتاب المعاملة (اى المغارسة) ــ كتاب الذبائح ــ كتاب الاضحية ــ كتاب الكراهية ــ كتاب الرهن ــ كتاب التحرى ــ كتاب احياء الموات ــ كتاب الشرب ــ كتاب الأشربة ــ كتاب الصيد ــ كتاب الجنايات ــ كتاب الوصايا ــ كتاب المحاضر والسجلات ــ كتاب الشروط ــ كتاب الحيل ــ كتاب الخنثى ــ كتاب الفرائض .

وقد اشار الذين قاموا بعملية جمع الفتاوى الى المصـــادر المعتمدة التى جمعت منها الآراء الفقهية . كما انهم ذيلوا هذه الآراء بتعليقات حـــول المفتين الذين ادلوا بتلك الآراء ، وشـــملت عملية جمع الفتاوى جميع ميادين الشريعة الالهية التى اعتمدت فيما بعد لتكون المرجع القانونى الأساسى الى جانب المؤلفات المعروفة فى فقه الشريعة .

وقد تناولت محتويات الفتاوى المذكورة كل مظهر من مظاهر الحياة الاسلامية الاجتماعية والدينية للفرد والمجتمع على السواء ، وعلى هذا الأساس خصصت فصول مستقلة للأمور العائدة للمعاملات الفردية والاجتماعية وللسلوك الدينى ، ولادارة القضاء ، ولشؤون الدولة الداخلية والخارجية .

واحتوت الفتاوى على قواعد محددة للتفسير والتأويل ، ورغبة فى حسن تفهم المســـائل الفقهية بشكل مناسب فقـــد رؤى أن يستخدم جامعو الفتاوى اصطلاحات توضح المسائل المبحوثة ، وعلى هذا الأساس ، استخدم التعبيران التاليان ، وهما : هو الصحيح ، وهو الأصح ، للتمييز بين قوة الآراء الفقهية التى تم جمعها والتى تتعلق بمسألة معينة من المسائل الفقهية ، وكذلك الحال بالنسبة لتعبير : (عليه الفتوى) وهذا للدلالة على ان الراى الفقهى مسند الى ســـلطة افتائية ، (* *) وتعبير (عليه الاعتماد) وهو يعنى بأن علماء الشريعة يثقون بالرأى الفقهى موضوع البحث ، واذا اخذ عامة الناس برأى شرعى ما يشـــار حينئذ الى هذا الرأى بعبارة : (عليه عمل الأمة) . اما اذا كان التعامل الجارى يأتلف مع رأى شرعى فيشـــار اليه بعبـــارة : (عليه العمـــل اليوم) . وهذه التعابير المستعملة لتمييز الآراء الفقهية قد اختيرت بشكل يمكن معه بيان الرأى الفقهى المفضل .

كل ما سلف يدل دلالة واضحة على ما للفتاوى العالمكيرية من قيمة كبيرة ، وما لها من وضع مرموق بالمقارنة مع غيرها من كتب الشريعة والاجتهاد فى العالم الاسلامى ، وفى الحقيقة يقال بأنه ليس هناك من عمل فقهى يماثل ما تتصف به الفتاوى العالمكيرية من ميزات خاصة بها حتى اصبحت مرجعا اساسيا فى كل الأقطار الاسلامية حتى بلدان العالم العربى (٥) .

وقد تميز عهد الامبراطور أورانك زيب فى تاريخ الهنـــد بادارة قضائية وقانونية نزيهة . والادارات التالية كانت الادارات الرئيسية فى الدولة :

أ ـــ ادارة الخزينة العامة والايرادات تحت اشراف الديوان العالى .

ب ـــ البلاط الملكى تحت اشراف خان الزمان أو كبير الحجاب .

جـ ـــ النفقات وادارة المحاسبة العسكرية تحت اشراف البكشى الامبراطورى .

د ـــ الهبات الدينية تحت اشراف الصدر الأعظم (ويدخل تحت اشرافه ايضا امور الاحسان والصدقات) .

هـ ـــ القوانين المدنية والجزائية تحت اشراف كبير القضاة .

و ـــ مراقبة الأخلاق العامة تحت اشراف المحتسب .

ز ـــ وفى نطاق الادارة القضائية يعتبر قاضى القضاة القاضى الأعلى .

وكانت ادارة الولايات تسير على هذا النمط نفسه مع بعض التغييرات المحلية ، ويروى المؤرخون بأن الامبراطور كان فى مناسبات عديدة ينتقد الأحكام الصادرة عن المحاكم الدنيا ، وكان يشعر بأن بعض هذه المحاكم لا تلم الماما كافيا بالقوانين ، وكان هذا بالاضافة الى الرغبة السائدة آنذاك ، من الاسباب الرئيسية التى حملت الامبراطور على تنفيذ مشروع جمع الفتاوى (٦) .

وفى مجال الادارة القضائية صدر الأمر بأن توضع الفتاوى موضع التطبيق والتنفيذ ، وهكذا فقد ورد عن بعض المؤرخين ورواها السيد م . ب احمد (الصفحة ١٨٦ وما يتبعها) بأنه كما جاء فى الجزء السادس (الصفحة ٢٤٩ ـــ ٣٧١) من الفتاوى العالمكيرية : (لا يجوز اتلاف سجلات القضايا ويجب اتاحتها بناء على الطلب الى المحاكم الأخرى) .

(انظر الامر الصادر عن أورانك زيب فى قضية عظمة الله ضد غلام محمد فى الباقيات ص ٥ وكذلك ص ٢٤ ، وانظر كذلك سفر العوض ص ٦) وعندما كان أورانك زيب يعيد قضية ما لاعادة النظر فيها لم يكن يكتفى باعطاء توجيهاته الى المحكمة التى أعيدت القضية اليها ، وانما كان يشير الى القواعد والاجراءات التى غفلت المحكمة عن اتباعها ، وفى قضية استئنافية تتعلق بموضوع كفالة وجد اورانك زيب اجتهاد المحاكم الدنيا معيبا (بوجه شرعى) (انظر الكلمات الطيبات) وبالاضافة الى ذلك أدخل الامبراطور اصلاحات قانونية تبعا لحاجات زمانه ، فقد روى انه أدخل نظام السجن الاحتياطى ، الذى أخذ به فى قانون أصول المحاكمات الجنائية لعام ١٨٩٨ م فى عهد الادارة البريطانية ، كما أصدر أوامره بأن يبت فى القضايا الجنائية بسرعة ودون أى أبطاء ، وكذلك اوعز بضرورة تعيين وكلاء للدفاع عن المتهمين المعوزين ، وقام بالاضافة الى ذلك باصلاح نظام الاستئناف ، وهذا كله غيض من فيض مما قام به أورانك زيب من خطوات اصلاحية (٧) . ويقال بأن العلاقة بين الجهاز القضائى والجهاز التنفيذى فى عهده كانت على العموم حسنة ، ومما لا شك فيه ان شخصية الحاكم كانت عاملا اساسيا فى حسن ادارة الدولة ، ففى عهد عالمكير كانت قرارات المحاكم تحظى بالطاعة كما كان القضاة يتمتعون باحترام فائق ، ومن الأمثلة البارزة فى هذا

الصدد ان السيد ميرزا كوتشاك حاكم لا هور أصدر أوامره مرة باجراء تحقيق فى بيت السيد على أكبر قاضى لاهور الذى كان يشك بأنه اقدم على قتل اثنتين من امائه وقد تفضل حاكم لاهور أن يقدم على الانتحار على أن يذهب لمقابلة أورانكزيب ليشرح له ملابسات قتل القاضى على أيدى رجال الشرطة بسبب محاولة القاضى منع رجال الشرطة من اجراء التحقيق (٨) . ومثل هذه الأمثلة التى رواها ساركار (الجزء الخامس ص ٤٢١ ، خافى خان الجزء الثانى ص ٤٣٦) تدل دلالة واضحة على أن خضوع القضاة لسلطة الملك لم تؤثر على حريتهم القضائية (٩).

---

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد ٣ صفحة ٩٩ وما بعدها من الطبعة التاسعة ادنبره .

(٢) للتفاصيل انظر مآثر عالمكيرى ، عالمكير ــ ناما ، رقعة عالمكيرى ، منتخب اللباب ، فتوحات عالمكيرى .

(٣) مآثر عالمكيرى ٤١ ــ ٦٤ ، ٦٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤١ (ترجمة ج ، ن ساركار) ، اسس القانون الدولى (مقدمة أ. بلييه ، باريس ١٩٠٤) دى ليجاسيونيبوس ليبرى تريس لألبريكو جنتيلى (ترجمة ج. ج. لينج) طبعة ج. ب. سكوت ١٩٢٤ ، ستة كتب ذات فائدة عامة لـ.ج بودان . (ترجمة ر . كنولز لندن ١٩٠٦) ، س . هـ ــ الكسند روفيتش ــ الكسندر : سيادة المغول والقانون الدولى : دراسات فى القانون (كلية قانون باتنا ، الـكتاب الذهبى التذكارى) ص ١١٥ وما بعدها (دار النشر الآسيوية ١٩٦١ بومباى) .

(٤) ن ب . ا . بيلى : البيع فى الشريعة المحمدية ، ملاحظات مبدئية ، (١٨٥٠) ، م . ب . أحمد : ادارة العدالة فى الهند فى العصور الوسطى ٤١ (١٩٤١ عليجرا) ، هـ. م. اليوت : تاريخ الهند ، المجلد السابع ١٦٠ ، تحليلات هارينجتون ، المجلد الاول ٢٤١ . الفتاوى العالمكيرية (الترجمة الاردية طبعة ديوباند ١٩٦٥) جزءا ص ١٦ ــ ٢٤ ، دائرة المعارف الإسلامية ــ المجلد الثانى الكراسة ٣٦ (الطبعة الجديدة ١٩٦٤) ص ٨٣٧ .

* سقط عند الكاتب ذكر ٢٠ بابا مفرقة ، وقد استدركناها من كتاب الفتاوى ، العالمكيرية واضفنا كلا منها فى ترتيبه (ادارة الموسوعة) .

** تعبير « عليه الفتوى » ليس معناه كما فهم الاستاذ الكاتب ان الرأى مستند الى سلطة افتائية ، اى صادر عن دار فتوى اومفت رسمى بل معناه فى اصطلاح المذهب الحنفى أنه هو الرأى الذى يجب العمل به (ادارة الموسوعة) .

(٥) ج.ن.ساركار ، الادارة المغولية ، ٢٢ ، الفتاوى العالمكيرية (الترجمة الاردية ديوباند ١٩٦٥) جزء ١ ص ١٦ ــ ٢٤ ، خافى خان : منتخبات اللباب (المكتبة الهندية) المجلد الثانى ٢٥١ ، بيلى : المختار من الشريعة المحمدية ، المجلد الاول ص ٧ ، ٨ ، م. ب. احمد : المصدر السابق ٤١ وما بعدها .

(٦) انظر مآثر عالمكيرى ٥٢٩ ، تجلى نور ٧٧ ، ٩٨ ، ١١٩ وما بعدها ، م.ب. أحمد ٤٢ ، ج ن ساركار : تاريخ أورانكزيب المجلد الثالث٨٤ ، مرآة احمدى تعليمات الامبراطور الىحاكم جوجرات) ، الفتاوى العالمكيرية المجلد الخامس ١٠٦ ــ ٢٥١ (الطبعة الاردية المعادة ١٩٦٤ فى لاهور باسم الفتاوى الهندية) .

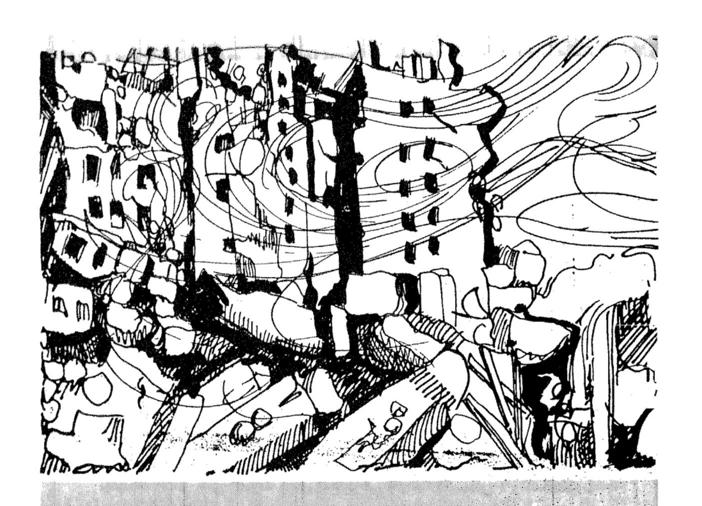
(٧) انظر عالمكير ناما ١٠٧٦ وما بعدها ، نمانوشى : تاريخ المغو لر ١٠.س . لندن م.ب. أحمد: المصدر السابق ٢٠٦

(٨) م. ب. احمد ٢٧٦ ، (مانوشى) ستوريا الجزء الثانى ٢٥٤ .

(٩) المصدر السابق ص ٢٧٣ وما بعدها ومراجعها .



قصة من الأدب الديني



للأستاذ : محمد لبيب البوهي

شعر ابليس بالارهاق الشديد .. فقد توالت الاحداث وتكاثرت .. واخذ بعضها برقاب بعض ... وكان يلهث بالليل والنهار ... كى يوالى ارشاد اتباعه ... وانصاره .. عما يجب ان يفعلوه ... وكان قد اتخذ له اماكن اقامة مختلفة — فى فيتنام وكمبوديا .. وأمريكا اللاتينية واميركا غير اللاتينية .. وجنوب افريقيا والتبت وغيرها .. وغيرها ..

لقد كانت له مراكز فى كثير من هذه الأماكن .. غير ان محل اقامته فى الشرق الأوسط لم يكن فى الشرق نفسه .. وإنما كان رؤوس اقوام آخرين فى الغرب .

انه يوسوس فى هذه الرؤوس .. فتمتد خفافيش النوايا السوداء .. من الرؤوس الى الأيدى فتوقع قرارات — بارسال المزيد من الطائرات والالكترونات الى « ترسانة » الأسلحة والعدوان فى الشرق الأوسط .

على كل حال .. ليس هذا هو الجديد ... انما الجديد ان ابليس شعر بانه مرهق .. متعب ... مريض — وكان يبدو شاحب الوجه مرتجف الأوصال ...

وقال الذين من حوله : مسكين جدنا الملعون .. انه يحمل على عاتقه اعباء مئات الملايين من السنين .

وقال شيطان صغير لشيطان آخر وهو يحاوره : —
كم تظن النسبة المئوية من الناس الذين يتبعون جدنا الكبير ؟

فقال صاحبه : —

ربما يزيد اتباع جدنا فى هذه الأيام عن خمسين فى المائة من الناس ..
فضحك الذى عنده شىء من العلم الأسود وقال : —
سوف يموت جدنا كمدا لقلة انصاره اذا قلت نسبتهم فى العالم عن تسعين فى المائة او أكثر .

■ تقول تسعين فى المائة من البشر ... ؟

هذا هو الحد الادنى والا انهار كمدا
ورانت فترة من الصمت على الاثنين .. كان كل منهما ينظر الى الآخر فى عجب ولكن اولهما صاح :
مالى أراك أنت الآخر شاحب الوجه ترتجف .. ؟ هل هذا اشفاق منك على الجد الكبير ؟ ان الشفقة ليست من طباعنا .. اتخشى على ابينا ان يموت كمدا ؟
فضحك الآخر حتى اهتزت جبال الجليد فى القطب الشمالى ، وتساقطت قممها من زلزلة ضحكاته ثم قال : —
لا تخف يا اخانا فان أبانا لن يموت ... الموت امل عظيم لن يتحقق لأحد منا ... لقد أمهلنا الى آخر الدهر ... ثم نساق يوم الساعة الى الهول الكبير ... لقد تحدثت عن موت جدنا على سبيل الأمنية التى لن تتحق ... الموت نعمة حرمنا منها ... علينا أن نواصل حمل هذه الرسالة السوداء .. التى ناء بحملها عبر الأجيال جدنا ابليس حتى اصيب بالارهاق الشديد .
وبينما كان هذان الشيطانان الصغيران على هذا المنوال فى الحديث ... اذ هب اعصار شديد اقتلع الأشجار من جذورها ، ثم انفجر زلزال اطاح ببنيان مدينة كانت قائمة على مقربة منهما ... وانتشرت ريح عفنة حتى هم أحدهما ان يسد أنفه فضربه الآخر على يده وقال : لا تفعل ... فان هذه هى ريح جدنا ..... انه على وشك الوصول وهذه هى علامات قدومه ..
وفجاة سمعا التحية التقليدية : عليكما اللعنة ...
فسجدا حتى مست الأرض منهما الجباه وصاحا فى صوت واحد : — اللعنة الكبرى لسيادتكم ... لعنت اينما كنت يا ابانا .. يا من يفرخ الشر ويتضاعف فى ركابك ..
فرح ابليس الكبير بهذه التحية ، وطلب اليهما أن يستويا قائمين وقال : — انه كان فى أقصى الغرب حيث أقيم حفل كبير فى بلد هناك . قال قائل منهما : — حفل كبير فى بلد غربى ..!! ولكن لماذا تحظى الاطفال هناك بتشريفك اياها .. ؟
زم الشيطان شفتيه اسفا لغباء حفيده وقال —
يبدو انكما لا تطالعان جريدة .... « على الدنيا الخراب » ..
فظهر الأسف فى وجهيهما وقالا : —

لأول مرة سوف نقول الحق ... فاغفر لنا هذه الخطيئة ... اننا لم نعد نقرا صــحيفة ((على الدنيا الخراب)) منذ ان تركت انت تحــرير المقال الرئيسي فيها .

فقال الجد .. هناك لذلك عدة اسباب ... اولها انه لم يعد هناك من سبب كبير للكتابة .. ان الخراب لم يعد فى حاجة الى وصف ، والذين يخربون بيوتهم بأيديهم لم يعودوا فى حاجة الى توجيه ، انما انتم ايها الاغبياء ما زلتم فى حاجة الى المزيد من العلم الأسود ، هيا معى الى الأعالى ، سوف نرتفع فوق الارض الف ميل كى تنظروا اليها فتبدو لكم كالكرة الصغيرة فى يد طفل ، وحين تدور تحت أنظاركم فسترون الأحداث التى تجرى عليها كأنها رواية مما يشهده البشر فى دور الصور المرئية .

وتم تنفيذ ذلك ، واخذ الشياطين ينظرون الى الأرض من بعيد ، وكانت احداثها تجرى تحت عين كل شيطان لقد بدت الكرة مشتعلة من اقصاها الى اقصاها ، ودخان المدافع ، والقنابل ، والبارود ، يكاد يغطيها ، وتصور احد الشياطين انها تبدو تافهة ، وفى مقدوره بقبضة يده ان يحطمها ، وقرا صاحبه ما يدور فى خلده فقال له : حذار ان تفعل ــ لقد اصبحت الأرض بهذه الصورة قرة لأعيننا .

واخــذت الأرض تدور وتدور ... مرات ومرات .. تــحت انــظار الشياطين ... وكلما دارت دورة راوا نارا يتطاير شــررها ، ودخانا يعم البقاع ، وسمعوا صراخا يتبعه صراخ ، وقبورا تحفر .. واخذ احد الشياطين يصفق بيديه فرحا مسرورا وهو ينظر الى الكرة من الشرق ومن الغرب ، ومن الشمال ومن الجنوب ، فلا يجد شيئا غير الصراخ والعويل ، حقول تحترق ، ودور تنهار ، اطفال ابرياء يدفنون احياء تحت جدران مدارسهم ... مصانع تتحطم .. اشجار تتهاوى .

وقال احد الشياطين لصاحبه وهو يحاوره : ــ

اتظن اننا نحن الذين نصنع كل هذا .. ؟

فاجابه الآخر قائلا ، كيف تتصور هذا أيها الأحمق .. انهم هم انفسهم الذين يتولون النصيب الأكبر من الأمر . كل ما كان علينا ان نغرس البذور .. ونتركها تنمو .. ولقد فعلنا ، ولكننا نستعد الآن لجولة أخرى ... اننا سوف نضع بذورا اخرى ، وهذه البذور الجديدة سوف لا تؤتى اكلها الشيطانى على الفور ، سياتى موعدها بعد حين .

قال الشيطان الصغير : واين نضع هذه البذور ؟

قال الشيطان الكبير : سوف نهبط الى الأرض ، وسنجول فى حقول جديدة ــ هى مزارعنا الجديدة . وهبط ابليس ومعه تلميذاه فى مكان ما ، فى اقصى الغرب ، حيث وجدوا مئات من بنى البشر ــ رجالا ونساء ــ عراة كما ولدتهم امهاتهم يذهبون ويجيئون متعانقين فى غير مبالاة بشىء .

مئات من العورات مكشــوفة فى غير حيــاء ، واعمال مخزية تتم فى سعادة ، وهم الشيطان الصغير ان يخفى عينيه لولا ان ضرب جده على يده وقال : هؤلاء هم الذين يصنعون المستقبل لنا . فتساءل الصغير وماذا تسمى هذا ... ؟

قال الكبير : يمكنك ان تسميه انحلالا . هيا معى الى مكان آخر .

وانطلق الشيطان الكبير وتلميذاه الى حيث مئات ومئات اخرى ...

رجالا ونساء ... صبية وفتيات ، اكواما فوق اكوام ، وقد تدلت شعور الرجال والفتية فاصبحت مثل شعور النساء سواء بسواء . يتدافعون نحو صيدليات تمدهم بصنوف مختلفة من المخدرات — يسرعون بها الى الأرصفة ويتهادون متعانقين تحت ضربات موسيقى قوية مزعجة معربدة ، ذات جلاجل ، كانما تحركها يد الجان .

ودخان يتصاعد من الأركان .

قال الشيطان الذي يريد ان يتعلم : وما هذا ؟

ما هذا النوع الآخر من البذور ؟ لقد علمت إن البذور الأولى هي الانحلال .. ؟ فما هذه ؟

قال الجد : يمكنك ان تسميها المخدرات ..

قال الشيطان الصغير : ولكني ارى الذكور يطلقون شعورهم فيما يشبه الضفائر ، وهم يتفاخرون بما يصنعون ، واسمعهم يطلقون على انفسهم اسماء مخزية ..

قال ابليس : —

انهم يسمون انفسهم (الخنافس) وهو اسم يدل على منتهى ما وصلوا اليه ، هوام خرجت من الجحور لتعيث على سطح الأرض ، الا يدل هذا الاسم الذى اختاروه لانفسهم على مستواهم !! انهم خنافس — انهم بذلك يفرحون ... انهم بهذا الوصف يتفاخرون ، هلا سموا انفسهم اسودا .. او نمورا .. او حتى جيادا او حميرا .. ؟

لا .. انهم لم يفعلوا ، لقد صدقوا في وصف انفسهم ... خنافس .. انه الاسم الذى ينطبق تمام الانطباق على الذين يأخذون انفسهم بالانحلال ، والمخدرات . لقد ابتلعوا الطعم الذى القيناه اليهم فصاروا خنافس ، ومن يدرى فلعلك تسمع بعد ذلك انه سيكون من ذريتهم من يطيب لهم ان يطلقوا على انفسهم صراصير ، ومن يدرى ايضا .. فلعل الأمر يصل بنفر من بنى البشر ان يستمروا فى هذا التحول ليكون منهم بعد الخنافس فئات مثل الخنازير ، والقردة ، والخفافيش وابناء آوى ..

هلل الشيطان الصغير ، وضرب بيديه ، ورقص ، فتلك مناظر سوف تكون رائعة .. سوف يرتد الذين خلقوا فى احسن تقويم الى اسفل سافلين ..

واخذ ابليس بايدى تلاميذه وراح يطوى الأرض طيا .. غير انه في جوف الليل .. فى مكان ما فى الشرق بدت مآذن .. وساحات .. ورجل ينادى ، وقد اوشك النهار ان يبين ... بأن هناك ماهو خير من النوم .

ان الرجل يقرع طبلا ، وهناك آخر يصعد الى مئذنة ، ويرسل فى سمع الدنيا الاذان الرائع ... وراح الشيطان يتطلع الى البيوت والى الطرقات فاذا قوم يسيرون ، يلبون النداء ، مهطعين الى الداع ... فى وجوههم نور ، وبين ايديهم نور .

قال الشيطان الصغير متسائلا .. من هؤلاء ؟ وما هذا الذى يصنعون ؟

قال جده الكبير فى غيظ كظيم : اولئك الذين لو اشتدت يقظتهم لضاع امرنا ، وتهدم بنياننا ، انهم حراس الحقول الذين ناموا عنها فقمنا فى غفلة ووضعنا البذور .

هؤلاء الذين لو اشتدت يقظتهم فان الأمر سوف يتبدل .

وضحك الشيطان الصغير مرة اخرى ... لو ...



تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد العالمى :

انتهينا فى عدد سابق من استعراض مختلف المجالات الدولية التى هى بحاجة ملحة الى موسوعة الفقه الاسلامى .

وقبل ان ننتقل الى بحث آخر نشعر ان ثمة سؤال يفرض نفسه وينبغى ان نتعرض للاجابة عليه ، وهو : اليس فيما كتبه المستشرقون عن الشريعة الاسلامية ما يغنى ويسد الحاجات التى تحدثنا عنها فى الاعداد الماضية ؟

ونحب اولا ان نشير الى وجود العديد من اقسام الدراسات الاسلامية فى الجامعات الاوربية والامريكية التى تعتنى بتدريس الشريعة الاسلامية ، كما تشرف على رسائل دكتوراه لمن اراد البحث فى الشريعة . وكذلك يقوم الاساتذة المستشرقون بتأليف الكتب للدراسات الجامعية وغيرها فى موضوعات فى الشريعة الاسلامية .

وليس فى نيتنا أن نستعرض قوائم الكتب والابحاث ، حتى لا يضيع القارىء فى متاهة كتابات المستشرقين بمختلف اللغات ، اذ الحقيقة انها تعد بالمئات ، وانها بدأت مبكرة منذ القرن الثامن عشر ومعظمها اصبح نادر الوجود لا يحصل عليه الا فى دور الكتب الخاصة بهذه المراكز الاستشراقية ، وسنكتفى هنا بالاشارة الى بعض ما أنتجه المستشرقون المعروفون فى مسائل الشريعة الاسلامية فى السنوات الأخيرة :

— خطوط عريضة فى الشريعة المحمدية لآصف فيضى الهندى (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٥٠٠ صفحة .

— مصادر الفقه المحمدى ليوسف شاخت الألمانى الأصل (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٣٠٠ صفحة .

— مدخل للشريعة الاسلامية ليوسف شاخت (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٢٠٠ صفحة .

— المختار من الشريعة المحمدية (وهو مختصر للفتاوى الهندية) لنيل بيلى (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٨٠٠ صفحة .

— دراسة فى الشريعة الاسلامية المقارنة للينانتدى بلفوند الفرنسى (باللغة الفرنسية) فى حوالى ٩٠٠ صفحة .

— مدخل لدراسة الشريعة الاسلامية للويس ميليو الفرنسى

(باللغة الفرنسية) فى حوالى ٨٠٠ صفحة .

— مصادر وتطور الشريعة الاسلامية لمجيد خدورى (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٣٥٠ صفحة .

— ويتضح من هذه الامثلة ، وهى قليل من كثير ، ان انتاج المستشرقين على صعيد الفقه العام الاسلامى لا يعدو ان يكون دراسات موجزة تتناول جميع فروع الشريعة فيما لا يتعدى الألف من الصفحات ، وغالبا ماتكون الآراء مستمدة من مذهب واحد او مذهبين من مذاهب الفقه الاسلامى ، مما لا يجد طالب الاستزادة بغيته فيه .

— هذا من جهة الحجم ومدى التوسع فى الدراسة .

اما من جهة صحة الآراء المنسوبة الى الفقه الاسلامى وسلامة الحكم عليها ، فاننا نجد الكثير من الاخطاء غير المقصودة ومن القصور فى فهم الآراء وعرضها ، وهذه نتيجة طبيعية لصعوبة المراجع الفقهية القديمة ووعورة مسالكها على ابناء العربية انفسهم ، فلا غرابة ان تكون اشد استغلاقا على غير المستمكنين من اللغة العربية .

هذا كله مع افتراض حسن النية لدى بعض المستشرقين فى دراسة الشريعة وعرضها ، اما بالنسبة للحاقدين منهم على الاسلام وبعضهم من اليهود والقساوسة فلا غرابة فى ان تنطوى كتاباتهم على الكثير من الدس الخبيث والتحريف الملتوى المعمود ، والافتراء ، وكل ذلك يتلقاه القراء ولا سيما الاجانب ايضا بحسن نية . وهيهات ان يستطاع دفع ما تثيره هذه الكتابات من شبهات ، مع انتشار هذه الكتابات فى مختلف بقاع العالم وبمختلف اللغات .

فمن كل ما تقدم يتبين ان ما يكتبه المستشرقون عن الشريعة الاسلامية لا يمكن ان يسد الحاجات التى تحدثنا عنها ، بل ان تصحيح الأخطاء الواقعة فى كتابات المستشرقين انفسهم — عن قصد أو عن غير قصد — هو احدى الحاجات الجوهرية التي تتطلب سرعة انجاز موسوعة الفقه الاسلامى وترجمتها الى اللغات الاجنبية .

بهذا نكون قد انتهينا من عرض وجوه الحاجة الى الموسوعة على الصعيد العالمى ، وسنبدأ فى العدد القادم باذن الله عرض وجوه الحاجة اليها على الصعيد الاسلامى والله الموفق .

اخبار الموسوعة

تجرى الآن المراجعة النهائية لموضوع الحوالة وهو الموضوع الثالث من الطبعة التمهيدية وسيقدم الى المطبعة قريبا ان شاء الله .

وستكون طباعته بحرف اصغر مما طبع به الموضوعان السابقان ((الأشربة)) ((والاطعمة)) وذلك استجابة لملاحظات وردت الى الادارة بهذا الخصوص ولتكون اقرب الى حجم الحرف المألوف فى الموسوعات العالمية .

هذا وسيتتابع باذن الله نشر موضوعات اخرى من الموضوعات الناجزة والموجودة حاليا بملفات الموسوعة والتى اصبح عددها أربعين موضوعا ، وذلك فور الانتهاء من مراجعة كل منها .

ويؤمل فى المستقبل ان يسير عمل

المراجعة بسرعة اكثر متى تمت زيادة عدد الاساتذة المراجعين وهو ما يجرى الآن السعى له فى نطاق خطة تدعيم اجهزة العمل فى ادارة الموسوعة وزيادة فاعليتها .

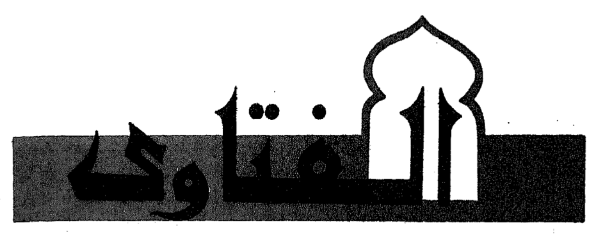
بريد الموسوعة

ورد من الاستاذ المفضال الشيخ عبد الجليل عيسى استيضاح عما اذا كانت خطة الموسوعة تقضى بنقل كل ما ورد فى كتب الفقه من آراء وخلافات ، حتى الآراء الفاسدة التى وردت فى بعض كتب المتاخرين والتى تتجافى مع أصول الاسلام العامة كاجازتهم اسقاط الصلاة بالطريقة المعروفة والتى يبرا منها العلم والدين وان ذكرها بعض الفقهاء المتاخرين مثلا ، وكذا ذكر ما به يعتق الميت من العذاب بقراءة الصمدية كذا الف مرة ، ويسمونها عتاقة ، وما يزعمه بعضهم من ان السنة قد تزرى بالمسلم وعلى ذلك ترتكب البدعة وتكون هى السنة ... فما موقف الموسوعة من مثل هذه الآراء المنكرة : هل تنقلها فى جملة الخلافات مع العلم بان المسلمين يرتقبون الموسوعة على انها دين الله الحق الخالص من الشوائب ... وهى جهالات بل ضلالات ، او تهملها ، وعند ئذ قد يغتر بصحتها بعض الجهلة ؟

وقد اجابه الاستاذ خبير الموسوعة مبينا خطتها التى ينبغى ان يراعيها كتابها فى هذا الشان ويتلخص جوابه بما يلى :

١ــ ما كان من آراء بعض المتاخرين المذهبيين الذين عرفوا بالاغراب فى التصويرات والتفريعات التى تنافى الفقه السليم وتعتبر تشويها له مما يؤسف لوجوده فى كتب بعض المتاخرين ، لهذا لا ينبغى ذكره ــ فى الموضوعات التى تكتب للموسوعة ــ بين فقه المسائل واحكامها الشرعية ، وذلك كالطريقة المعتادة بعد وفاة الانسان لاسقاط ما فى ذمته من صلوات متروكة ، ويسمونها عملية (سقوط الصلاة) التى فى صورتها المعتادة هى بالمهزلة المضحكة اشبه ، وقد ذكرها (مع الاسف الشديد) بعض المتاخرين من فقهاء المذاهب ، والمؤسف اكثر من ذلك ان يوجد من فقهاء العصر البارزين المعدودين فى فئة المجددين من يدافع عنها وينشرها فى مجلة الازهر ، ويراها صورة عملية من الدين ، وهى ليست سوى غفلة وشرود ذهن عن مقياس مقاصد الشريعة وقواعدها التى تابى قبول الاحتيال على الله تعالى ومن هذا القبيل حيل اسقاط الزكاة . فكل ذلك مما يجب دفنه لا نشره ، لأنه من تلويثات الفقه وليس من الفقه . ولكن المهم هو تحديد ما ينطبق عليه هذا الوصف كى يعرف الكاتب ما ياخذ وما يدع . ولا سبيل الا ترك تقدير ذلك للكاتب نفسه . وستكون هناك مراجعة لما يكتب وتنقيح اذا تسرب شىء من ذلك الى الموضوعات المكتوبة .

على انه لا باس بان يشير كاتب الموضوع فى الحاشية اشارة تنبيهية الى هذه الآراء الفاسدة المنكرة اجمالا لا تفصيلا ، فى مناسباتها من الموضوع للتحذير من اغترار احد بها وظن صحتها وجواز الاعتماد عليها بين الآراء والخلافات الفقهية المحترمة .



الحج اولا او الزيــارة

السؤال :

هل الافضل لمن اراد الحج ان يبدأ به او بالزيارة ؟

الاجابة :

يقول فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق جوابا على هذا السؤال : —

اتفق فقهاء السلف على جواز البدء بأيهما شاء ، وعلى افضلية البدء بالمدينة للزيارة اذا كانت فى طريقه الى مكة تيسيرا له وتخفيفا ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا خير بين أمرين يختار أيسرهما وأهونهما ، واختلفوا فيما هو الأفضل بالنسبة لمن ليست المدينة فى طريقه الى مكة ، كأهل مصر مثلا ، فذهب علقمة ، والأسود ، وعمرو بن ميمون ، الى افضلية البدء بالزيارة لا حراز فضيلة الاحرام من ميقات المدينة الذى أحرم منه الرسـول صلى الله عليه وسلم فى حجته .

وذهب من التابعين الى افضـلية البدء بالحج ، عبد الـرحمن بن يزيد ، وعطاء ، والنخعى ، ومجـاهد ، واخـتاره أبو حنيفة وأحمد ، وبه افتى الليث السمر قندى .

ومأخذ ذلك ، على ما يظهر لنا ، اعتبار الأصالة والتبعية ، كما صرح به النخعى ، ومجاهد ، فيما روى عنهما : « اذا أردت مكة للحج أو العمرة فاجعل كل شىء لهما تبعا » سواء أكان الحج فرضا أم نفلا ، واليه يشير حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : . **« من حـج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى »** رواه الدار قطنى ، والطبرانى فى الكبير والأوسط من طريق حفص بن سليمان القارى عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر ، وحفص قد وثقه أحمد وحديثه الآخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : . **« من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى »** .

وقال صاحب الفصول نقلا عن صالح وأبى طالب : « اذا حج للفرض لم يبدأ بالمدينة لأنه اذا حدث به حدث الموت ، كان فى سبيل الحج ، فاذا كان تطوعا بدأ بالمدينة » ا هـ . ومقتضى ماذكر أن الخلاف انما هو فى الحج المفروض .

اما فى النفل : فيبدأ بالمدينة للزيارة ، ثم يحرم من ميقاتها للنسـك ، وقد نقل الاتفاق على ذلك ، ولكن قد علمت مما سبق اطلاق القول بأفضـلية البدء بالنسك سواء كان فرضا أم نفلا .

وكذلك القول فيمن يسافر بقصد العمرة ، والزيارة ، وليست المدينة فى طريقه الى مكة ، فالأفضل له على القول الأول البدء بالزيارة ، وعلى الثانى البدء بالعمرة كما صرح به النخعى ومجاهد .

ويظهر لنا ترجيـح القول الثانى فى الحـج والعمرة باشـارة الأحاديث

السابقة ، فيبدأ بالنسك ثم يتبع بالزيارة ، وان رجح السمهودى الأول ، والسعيد من وفقه الله تعالى لأدائهما على اى نحو كان ، والله اعلم بالصواب .

فـي النســـــب

تلقى الأستاذ مصطفى احمد الزرقا خبير الموسوعة الفقهية هذا السؤال من احد الشباب المسلمين المقيمين فى أوربا :

السؤال :

عن شاب زنى بامراة هناك ، ثم اتت بمولود قالت انه منه ، ونظرا لاهمية الموضوع من الوجهة الاسلامية ، ولكثرة شبابنا الذين يقيمون فى البلاد الأجنبية لفترات طويلة للدراسة او سواها ، راينا نشر الجواب فيما يلى :

الاجابة :

ان الزنى المحض لا يثبت به نسب من الرجل الزانى ولو تحقق ان الولد منه . وان النسب يثبت بالاقرار او بالدعوى بأن يدعى بأن هذا الولد ولده أو أن يقر بذلك ، ولو لم يبين سببا شرعيا من زواج ونحوه ، فيحمل على سبب شرعى حملا ، اى يفترض افتراضا انه ابنه بسبب شرعى كزواج غير مشهور او وطء بشبهة ، وذلك بشرط أن يكون الولد مجهول النسب ، . (اى ليس له نسب ثابت قبلا من رجل معروف بأنه ابوه) وأن يكون المدعى بالنسب والمقربه لم يعطف البنوة على الزنى ، أما اذا قال هو ابنى من الزنى ، فانه لا عبرة عند ئذ لدعواه او اقراره ، لأن الزنى ليس سببا للنسب ، ولا يثبت به ولو حصل المتحقق بأن هذا الحمل من هذا الزنى ، وأن ثبوت النسب بالدعوى أو الاقرار دون بيان سبب شرعى هو حكم القضاء الذى يبنى على الظاهر اذا وقعت أمامه الدعوى او الاقرار ، وليس معناه حل هذا الادعاء أو الاقرار ديانة ، فاذا كان الرجل يعلم أن الولد ليس ابنا شرعيا منه لا يحل له ديانة ادعاء نسبه أو الاقرار به ، لأنه بذلك يثبت به حقوقا غير شرعية فى الواقع تزاحم ذوى الحقوق الشرعية من مالية وغير مالية .

هذا حكم الشريعة فى مختلف المذاهب الفقهية بل فى أوسعها ، لا أعلم فى ذلك خلافا وانما يثبت نسب ولد الزنى من امه فقط فى أوسع المذاهب ، وتترتب بينه وبينها أحكام الأمومة والبنوة من حرمة ونفقة . فان لم يكن لأمه مال فنفقته فى بيت المال .

والنفقة بسبب القرابة فرع عن تلك القرابة نفسها : فحيث لا نسب فلا نفقة واجبة شرعا فى حكم القضاء ولو مع العلم بأنه ولد زنى منه .

هذا قانون الشرعية الذى يقضى به القاضى .

ولكن هذا لا يمنع من أن يشعر الأب من الزنى (اذا تحقق أن هذا الولد ثمرة زناه) بواجب أدنى نحو هذا الولد الذى جنى هو عليه ، وكان هو السبب فى مجيئه الى الدنيا منقطع النسب ، فتقدم الى أمه فى صغره واليه فى كبره نفقة تقيم أود حياته .

يتضح مما تقدم انه اذا لم يعترف بأنه ابنه فى بلاد تلزمه بالنسب أو بحقوق قضائية لو اعترف بذلك ، فانه لا اثم عليه شرعا وانما الاثم محيط بعنقه من ذلك الزنى وهو الجريمة الاصلية ولا سيما اذا كان غير متحقق انه من زناه ، وكون الأم كانت بكرا لا يكفى لهذا التحقق ، اذ قد تكون بكرا حين زناه بها ، ثم تخالط غيره بعد ذلك لا سيما فى بلاد تفشى فيها الزنى عمليا ، واعتادته واستباحته كبلاد أوروبا والله سبحانه أعلم .

بأقلام القراء

« الاســـلام ومســـئولية الفرد فى المجتمع »

كتب الشيخ حماد محمد حماد الواعظ بالقاهرة تحت هذا العنوان يقول : ـــ

القوة فى نظر الاسلام ليسـت الا طريقا من طرق الاصـلاح العام وسبيلا من سبل السـلام بارهاب المفسـدين فى الأرض ، ورد كيد المعتدين الآثمين ، قال صلى الله عليه وسـلم (المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف) . وقال الشاعر :

النواميس قضت الا يعيش الضعفاء
كل من كان ضعيفا أكلته الأقوياء .

لقد كنا فى زيارة اخوتنا وابنائنا من الضباط والجنود فى جبهة القتال على خط النار فوجدنا والحمد لله رجالا وابطالا رابضـين كالأسـود يتحينون الفرصـة للقاء العدو انهم شعروا بالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقهم ، وهى تحرير هـذه الأرض السليبة ، وقد آلوا على انفسهم الا يعودوا الى ذويهم الا اذا تحررت هذه الأرض ، وعـاد اليهـا أصـحابها اللاجئـون . لقد نظرنا الى عيونهم فرأينا فيها العزم والتصميم والارادة الصادقة لتطهير هذه الأرض ، ورأينا سواعدهم القوية وقلوبهم الفتية المليئة بالايمان العميق .

رأينا صورا مشرقة حقا تحيط بها البطولة والتضـحية والفداء ، فاذا طلب قائد عددا من الجـنود ليقوم بعملية خاصة تقدم اليه عدد كثير ، كل منهم يريد أن يأخذ هذا الشـرف لنفسه ، ليرجع باحدى الحسـنيين اما النصر واما الشهادة ، انها حقا صور تذكرنا بقول ابى بكر الصديق رضى الله عنه (احرص على الموت توهب لك الحياة)ومما أدخل السرور على قلوبنا وسيعجل لنا النصر القريب بعون الله اننا رأيناهم وهم على خط النار يؤدون الصلاة فى أوقاتها ، فقد استوى عندهم حى على الصلاة وحى على الجهـاد . ان العالم العربى والاسلامى لينظر الى ابنائنا على خط الـنار فى كل مكان نظرة الـتقدير والاجلال ، نظرة الترقب والاصرار ، ينتظرون منهم الوثبة الخـالدة التى تمحو العار وتطهر الأرض . أما نحن فعلـينا الآن أن نقوم بالمسـئولية الأخـرى ، وهى مد المقاتلين بالمال والسلاح والكلمة الطيبة والمشاركة الوجـدانية لرفع روحهم المعنوية ، بمعنى أن نعيش معهم وهم على خط النار بوجداننا ومشاعرنا وحواسنا ، فلا يكون قوم من أبنائنا جادين يضحون بالدم الغالى فى سـبيل الشـرف والكرامة والحـرية ويكون قوم منا هازلين منصرفين قد نسـوا احتلال أرضهم ، ونسـوا الثأر الذى بيننا وبين أعدائهم .

لقد شحنت اسرائيل جنودها فى معركة ٦٧ بالـروح المعنوية ١٠٠٪ فأجدر بنا نحن أن نشحن أبناءنا بهذه

الروح العالية الوثابة حتى نسترد حقنا المغتصب . وقد رسم لنا القرآن الكريم طريق النصر على الاعداء فى أوامر عشرة ليعرف كل منا مسئوليته ، وهذه الأوامر اربع منها فى وقت السلم قال تعالى : — « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . وقد تعهد بها رسول الله وصحابته ، واربع منها فى وقت الاستعداد للمعركة ونحن فيها الآن قال تعالى : — ،

«ياايهاالذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » واثنتان فى وقت الاشتباك مع العدو قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ، وقد أخذ رسول الله وصحابته بها كلها فكان النصر وكانت العزة والقوة والمنعة .

« اخوان شقيقان »

كتب الأستاذ عبد الرحمن شادى تحت هذا العنوان يقول —

زادت نسبة غزو المرض الرهيب وهو السرطان الذى استعصى علاجه على الأطباء ، وهم يروضونه كما تروض الوحوش المفترسة ، وكثرت ضحاياه وفرائسه للمدمنين على التدخين ، والغريب ان كلمة العلم حين تبتعد عن مرحلة الفروض والتجارب ، وتنتفى من حولها الادعاءات ، وتبلغ غايتها وتستقر فى النهاية على اسس راسخة متينة وتصبح حقا لا مرية فيه ، ويقينا لا يقبل الجدل تتفق حينئذ مع كلمة الايمان ، وكلاهما يصدر عن واهب الوجود ومفيض النعم ..

ولكن الشهوات قد اكتسحت الجميع ، واصبح التقليد الأعمى سيفا مسلطا على الرقاب لا يستطيع الفرار منه الا القليل .. ومهما نصح الايمان والعلم والعقل والاقتصاد بنى الانسان فهم عن النصح معرضون .

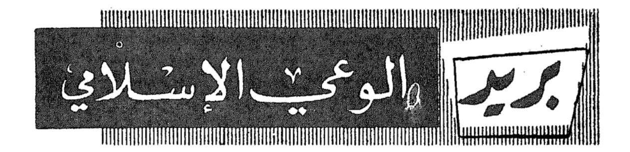
مؤمن عليه ان يحارب العادات السيئة وأن يعرض عن قرناء السوء ، والمفروض أن تكون فيه الحصانة الكافية ، والمقاومة اللازمة للأمراض والعادات السيئة التى تفد علينا من الغرب ، ولكنه بدلا من هذا انساق فى التيار .

طبيب يعلم الخطـ قبل سواه ، ولكنه أسير العاد[illegible] يدخن بشراهة منقطعة النظي[illegible] ،

اقتصادى ي[illegible] قيمة الأموال وفائدتها اذا استخدمت فى اغراض حميدة ، وضررها اذا استخدمت فى اغراض سيئة ، وانفقت فى مصارف قذرة ، ويعلم بلوى الاسراف ، ولكنه مدخنة بشرية .

عاقل من يحمد التجربة بعد أن سار فيها فترة طويلة من الزمن ، وهو ينصح ابناءه أن لا يكونوا مثله ، ولكن كلامه فى واد .. وملازمته للدخينة اكثر من ملازمته للرغيف فى واد آخر، ليت هذه الأموال الطائلة التى تقدر بملايين الجنيهات فى كل بلد توجه الى منابع الثروة ومصادر الأرزاق .

اتفق الأخوان الشقيقان العلم والايمان على عداوة الدخان فهل يكون لهذا الاتفاق ثمرة فى الاعراض عنه ، واذا كانت هذه عادة سيئة مذمومة بالنسبة للدول الغنية ، فكيف تقلدها الدول النامية التى تحارب الفقر ..



فلينظر الانسان مم خلـــق

نشرنا فى عدد جمادى الأولى ، لهذا العام ، الحلقة الأولى من سلســلة الحلقات التى يكتبها تحت هذا العنوان ، الدكتور محمد ســلام مدكور ، رئيس قســم الشريعة الاســلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، وقد بعث الينا الاخ سفيان كامل برسالة من امريكا ، يقول فيها ان هذا الموضوع يتصــل بدراسته ويســتفسر عن بعض النقاط التى وردت فى المقال ، وقد احلناها على الدكتور فتفضل بالاجابة الآتية :

اننا اذ نشكر لسيادة السائل اهتمامه بالموضــوع او تعلقه به ، وحسن ادبه لتحفظاته الكريمة فى خطابه ، فاننا نبدأ اولا بتوجيهه الى ان المقال ليس مقالا طبيا ، وليس كاتبه طبيبا او متخصــصا فى علم الاجنة ، وانما هو متخصص فى فرع من فروع الشريعة الاسلامية ، كما ان المقال ليس الهدف منه بيان دقائق خلق الانسان فى مراحل تطوره ، مما يظهره علم التشريح وعلم الاجنة ، وانما الهدف من ذلك العرض النظر والتامل فى خلق الله ، الذى احسن كل شىء ليؤمن بقدرته جل شــانه على بعثه بعد الموت ، ويحاسبه على ما قدمت يداه فى دنياه ، حتى يتعظ فيستقيم امره وتحسن سيرته .

وتنحصر استفسارات السيد السائل فى الآتى :

١ ــ المجاهر .. بالجمع .

٢ ــ الظلمات الثلاث ..

٣ ــ الاعتراف قديما بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الانسان ..

٤ ــ الترائب فى قول الله ((يخرج من بين الصلب والترائب)) .

٥ ــ الأغشية الصماء ..

٦ ــ بصمات الاصابع ..ونجيب بالآتى :

١ ــ جمع مجاهر صحيح من ناحية القياس ، مثل مكتب ومكاتب ، والجمع هنا مقصــود به ما يقابل المفرد ، لان المخترع حينما اخترع المجهر صنع منه عدة افراد ، سواء اكانت من نوع واحد أم من انواع مختلفة فان الجمع هنا لا يفيد اكثر من ان هناك شيئا متعددا من هذا النوع ، سواء اختلفت صفاته أم اتحدت ، على انه لا مانع من أن نقصد فى التعبير بالجمع الانواع المختلفة التى ظهرت للمجاهر فى قولنا : (وما كان للبشرية أن تلمس هذه الحقائق التى اشار اليها القرآن عن خلق الانسان ومراحل تطور الجنين لولا اختراع المجاهر ..) فان هذا كما تقول : اننا قبل اختراع الطائرات ماكنا نستطيع ان نصعد الى الفضاء او نحلق فى الجو ، ولو انك قلت : قبل اختراع الطائرة لاوهم خلاف المقصود ، اذ قد يوهم أن المخترع انما هو طائرة واحدة ..

٢ ــ الظلمات الثلاث تعبير قرآنى سليم ، والظلمة لاتدل على مكان ولا غشاء ، وانما هى وصف

يقوم بالمكان فيجعله مظلما ، وهذا التفسير للتعبير القرآني ليس من اختراعنا ، وانما هو كلام ائمة التفسير ، ويريدون به ان الظلمة حلت في المكان الذى به الجنين ، وزادها تكاثفا تعدد الطبقات . فالمشيمة وان كانت غشاء الا انها تحوى الجنين ، وهى داخل الرحم الذى هو داخل التجويف البطنى ، وكلها لا ينفذ اليها الضوء . وهذا كما وصف القرآن الكريم الظلمات بان بعضها فوق بعض . (او كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) ، فهذا يعنى أن الظلمات وجدت في البحر ، وزادت بسبب تكاثف هذه الاجسام فحالت دون وصول الضوء والنور ، فكان المشبه ((اذا اخرج يده لم يكد يراها)) لوجود هذه الظلمات .. على ان المشيمة وان كانت تتكون من اغشية فانها تصير مكانا يحوى الجنين ، وتقع داخل الرحم الذى يقع اسفل البطن فهو في مكان مغلق داخل مكان مغلق .

٣ ــ أما عن استفساره الثالث عن التعبير في قولنا : ((وكثيرا مادفع التخبط والحيرة في امر خلق الانسان البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ، فراى فريق ان المادة الحية (البروتبلازم) لا تخضع في تفاعلها للقوانين المادية ، ولكنها تتم بتداخل قوى خارجية غير مادية ، وقد مثلنا بما قاله اخناتون ، وما انتهى اليه ارسطو فهو يسال عن مدى هذا ، القدم وارتباطه بمادة البروتبلازم)) .

ونحن نذكره بان موضوع مقالنا (فلينظر الانسان مم خلق) لتوجه الناس الى وجود الخالق وقدرته ، وان الاتجاه الى معرفة الخالق عن طريق النظر في خلق الانسان عرف قديما جدا ، فقد قال اخناتون ، فرعون مصر ، الذى وجه الناس الى دين الله الواحد ، وبين لهم مافى خلق الانسان وتكوينه من دقة تدل على الخالق وقدرته : (... يامانحا الحياة للصغير في بطن امه ، متوليا شئونه في الرحم ، انك تمنح القدرة على التنفس كى يبقى كل من تخلقه حيا لحين خروجه من الرحم) . ومن المعروف ان اخناتون كان في عصر قبل الميلاد باربعة عشر قرنا .

فنحن لم نقل ان اخناتون عرف اسم البروتبلازم ، وانما هو يتحدث عن المادة الحية التى عبر عنها العلم الحديث بالبروتبلازم ، ولذا وضعناها بين قوسين .

وكذلك بالنسبة لما قلناه عن ارسطو فانه قد نظر الى بيض الدجاجة والتطورات التى تمر بها حتى يخرج منها الجنين ، وانتهى من نظره وتامله الى ان هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادة الحية ، وهذا الموجه القادر شىء فوق طاقة البشر .

فنحن لم نقل ان اسم البروتبلازم قد عرف في عهد أرسطو ، ولم نقل ان ارسطو درس ذلك في المعامل وبالاجهزة ، انما خرج بهذه الدراسة نتيجة التامل والنظر الذى جاءت دعوة الله اليه ((فلينظر الانسان مم خلق)) الذى هو موضوع المقال .

٤ ــ الترائب في قول الله تعالى : ((يخرج من بين الصلب والترائب)) فالسائل يستفسر عن كم عظام الصدر ، وكيفية اتصالها بالمبايض ، ونحن نقول لسيادته : انني لست طبيبا او متخصصا في علم التشريح ، وانما انا مشتغل بعلوم الشريعة الاسلامية ، ومتخصص في فرع منها وهو الفقه الاسلامى ، وما قلته من تفسير للترائب هو ما قاله المفسرون قديما ، ومدون بكتبهم ، وليس من اختراعنا .

وقد يكون هناك اتصال على اى وجه كان ، بين صدر المراة والمبايض ، مما يجعل ما قاله المفسرون لا يبعد كثيرا عما ينتجه علم التشريح ، وخاصة ان الشرايين تمتد في الجسد في جميع الاتجاهات .

٥ ــ الأغشية الصماء ــ يسال سيادته ما المقصود بالصماء ؟ فنقول المراد ان هذه الأغشية لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الهواء ، والتعبير بالاغشية الصماء مصدره ، كتب اساتذة كلية العلوم واساتذة كلية الطب ، ولادة وامراض نساء ، (راجع للدكتور نجيب محفوظ كتابه عن الولادة ، وللدكتور عبد الحليم كامل بحثه المنشور بمجلة منبر الاسلام ، عدد رجب سنة ١٣٨٤ هـ ، والدكتور

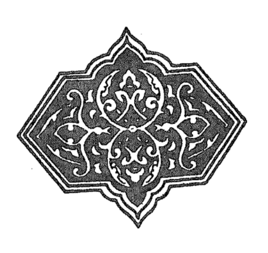
ايدث سيرول فى كتابه جسم الانسان ، ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمى ، وغيرها من المراجع التى اشرنا اليها فى كتابنا (الجنين والاحكام المتعلقة به فى الفقه الاسلامى) سنة ١٩٦٩ ، الذى نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة) .

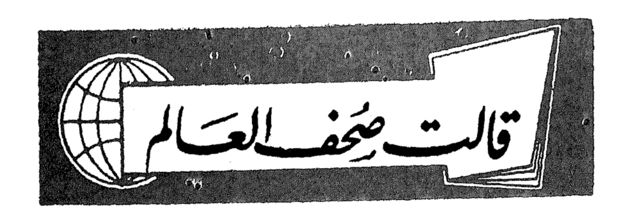
اما ترتيب خلق الحواس الذى يسال عنه سيادته فقد بينته هذه الكتب والبحوث وذكرته فى كتابى المذكور ، وقد لا يتسع هذا الرد لذكره ، على اننا قد نتعرض له فى هذه السلسلة من المقالات ان وفقنى الله ، واتسعت له صفحات المجلة .

٦ ـ بصمات الاصابع ، ويسال اخيرا سيادته ماهى علاقة البصمات بخلق الانسان ، وتطور الجنين ، ويقول المعروف ان البصمات معجزة من معجزات خلق الجنين ، ونحن نقول له : اننا بصدد بيان فضل الله علينا ، وعظمة قدرته ، وانه خلق فى كل انسان بصمات تختلف عن غيره ، من سائر افراد البشر ، نشير الى ذلك ونربطه بقول الله تعالى ((بلا قادرين على أن نسوى بنانه)) فقد قال كثير من المفسرين المتاخرين فى الزمن : ان المقصود بتسوية البنان الاشارة الى هذه البصمات ، وسنبين ذلك فى موضعه من المقالات المتتابعة التى سنقدمها لمجلة الوعى الإسلامى لتتكرم مشكورة بنشرها .

واخيرا فان سيادته يسال عن كيفية تغذية الجنين ، وعلاقته بالام ، وكيفية تطور اقسام الجسم ومقاومة الامراض ، ووراثة الصفات .. ونحن نقول له اننا سنشير الى ذلك فى سلسلة المقالات التى سنوافى بها المجلة بعون الله تعالى ، ومع ذلك ففى وسع سيادته ان يراجع كل هذا فى كتابنا الذى اشرت اليه ، ولا ينسى اننى استاذ مادة الشريعة الاسلامية ، وان اساس بحثى اسلامى ، وان مقارنتي بالطب وبعلم الاجنة لمجرد تقريب الاطوار ـ التى يمر بها الجنين ، والتى اشار اليها القرآن الحكيم ـ لذهن القارىء ، والله سبحانه الموفق والعاصم من الخطا ، فان كان فى شىء مما قلته او اقول خطا فمنى ، واستغفر الله عليه ، وان كان قد وفقنى الله الى الصواب فمن الله ، وهو جل شانه اعلم بالصواب .

واخيرا فانى اشكر للقارىء اهتمامه بالموضوع ، وحرصه على التفهم ، كما اشكر لادارة المجلة توجيه السؤال لى للاجابة عليه ، وفقنا الله جميعا لخدمة الاسلام والمسلمين ، ولتبصير الناس بحقيقة الدين ، وان الله سبحانه جعل فى خلقنا آية ومعجزة ، ولو نظرنا فى انفسنا لآمنا به ، وايقنا انه على رجعنا لقادر .... والسلام عليكم ورحمة الله .





كيف دخل الاسلام الصين

ومن مقال بهذا العنوان نشرته صحيفة الاخبار القاهرية نقتطف ما يلي :

انهم يزيدون عن خمسين مليونا .. وهم من اكثر المسلمين تدينا في الدول الشيوعية .. ونسبة كبيرة منهم على المذهب الحنفي .. وهم يحبون العرب وتتحدث نسبة كبيرة منهم العربية .. وهم يمثلون عشر قوميات .. ولديهم اربعة آلاف جامع .. والمعهد الاسلامي الديني عندهم يشبه الأزهر لدينا يتخرج فيه رجال الدين .. وقد سمح لهم بالسفر الى الحج سنة ٥٢ ولهم عضوان مسلمان في الحكومة المركزية .. وتمثيل في مجالس النواب ..

ويتركز المسلمون في اقليم سينكيانج في الشمال الغربي .. حيث تعيش جماعات (اليوغر) المسلمة وهي تركية الاصل ويزيد عددها على ٥ ملايين نسمة وقد منح هذا الاقليم استقلالا ذاتيا .

والى جانب ذلك توجد عناصر اخرى من الصينين (الهان ـ والكازاخ ـ والمغول ـ والغوى ـ والطاطا ـ والاوزبك ـ والتتار) . ويتركز المسلمون في اقليمي (كانسو وتنجسياخوى) ـ المستقل ـ ذاتيا والذي يوجد في الركن الجنوبي الغربي من نهر هوانج (النهر الاصفر) ، ويعيش شعب (الخوى) المسلم حول هذا النهر حتى اعالي نهر (هوانج) بين مقاطعات كانسو وهونان وتشنغاى ، ويوجد مسلمون أيضا في مقاطعة (يونان) في جنوب الصين وفي منطقة (زتشوان) الى الجنوب ..

ولكل قومية من القوميات المسلمة عدد من النواب في مجالس نواب الشعب في درجاته المختلفة وذلك بالنسبة لمجموع السكان .. ويحتل المسلمون عددا من المناصب الهامة في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهم على درجة عالية من العلم والثقافة ، وكثير من المسلمين وصلوا الى منصب الرياسة للمناطق المستقلة ذاتيا .

واكبر مقاطعة تضم اكبر عدد من المسلمين هي (سينكيانج) أو تركستان الصينية ، وهي اكبر مقاطعات الصين ، وهي ، تقع بين حدود الصين والاتحاد السوفيتي وجمهورية منغوليا الشعبية وافغانستان والتبت وكشمير ..و٨٠٪ من سكانها مسلمون ، واغلب مطبوعاتها باللغة التركية (بالحروف العربية) ، واهلها خليط من الاتراك والمغول والايرانيين ، وقد توطد الاسلام هناك في القرنين الخامس والسادس عشر .

وقد اصبحت تركستان في العصر العباسي من أقوى المناطق التي تشع الثقافة الاسلامية ، من مدنها (كاشغر وبلخ) وظهر منها الامام الترمذي ، والنسائي ، والزمخشري ، والجرجاني ، والخوارزمي ، والفارابي وعلى بن سيناء ، وابو زيد البلخي ، وابو ريحان البيروني .. وهؤلاء وغيرهم كانوا من ائمة العلماء في العالم قاطبة ، والذين ادخلوا العلوم الحديثة مثل الطب والفلك والجغرافيا والهندسة وغيرها ..

والحقيقة ان اول صلة بين الاسلام وهذه المنطقة تعود الى القرن السابع الميلادي بعد معركة نهاوند التي اكتسح فيها العرب ايران ، وهرب ملكهم (يزدجرد) آخر ملوك الاكاسرة الساسانيين الى تركستان .. وقد استنجد ابنه (فيروز) بملك الصين لحمايته من العرب ، لكنه اعتذر من بعد المشقة ،

والحقيقة انه كان يخشى بطش العرب ، وان يورط بلاده فى معركة معهم .. ورغم ان الصلة بين العرب والصين كانت متصلة عن طريق التجارة قبل ذلك ، الا ان اول غزو منظم قام به العرب ، كان ايام عثمان بن عفان على منطقة خراسان ، ومنذ هذا التاريخ وهذه المنطقة اساسية للاسلام فى آسيا الوسطى ، واستطاعت الدولة الأموية أن تدعم مكانها ، وان تجتاح جيوش العرب كل منطقة تركستان الشرقية واصبحت (شغر) من اهم المدن الاسلامية منذ ذلك التاريخ وذلك بعد ان استسلمت هذه البلاد تماما فى معارك استمرت ١٢ عاما متصلة ..

وقد شهد القرن العاشر اسلام أكثر من (٢٠٠) الف أسرة اغلبهم من الاتراك بين منطقة طشقند وفاراب .

وكانت مقاطعة .. ((كان سوا)) تعتبر مركز حربيا لتخريج المقاتلين ، واهم مدنها (لانتشيود) ومعظم سكانها من الاتراك ، وتكتب الحروف باللغة العربية والقرآن يدرس باللغة العربية بحروف عربية ، وللجمعية الاسلامية الصينية فرع ضخم بها لتخريج العلماء .. واغلب السكان يتبعون المذهب السنى وهم خليط من الشافعية والحنفية .

وهذه المنطقة فى الحقيقة هى نافذة الاسلام على الصين الغربية ويمتاز اهلها بمعرفة أصول الفقه واللغة العربية والشريعة الاسلامية وحفظ القرآن .. وهم من أكثر المسلمين فى العالم تدينا .. وشهدت هذه المنطقة حركات دينية مسلمة متعددة ، كان آخرها منذ ٦٠ سنة (حركة أهل السنة) ، وبهذه المنطقة اكثر من ٣٢ مسجدا أكثرها مساجد اثرية تعود الى العصر الأموى والعباسى والتركى . وبها مسجد عبد الرحمن البغدادى وهو من الذين قدموا فى فرقة الانقاذ وقضى نحبه بها .

الاسلام .. والعالم

تحت هذا العنوان كتبت صحيفة الأهرام القاهرية تقول :

هل يمكن ان يفيد العالم اليوم من العالم الاسلامى .. او أن الاسلام قد ادى رسالته وانتهى .. ؟

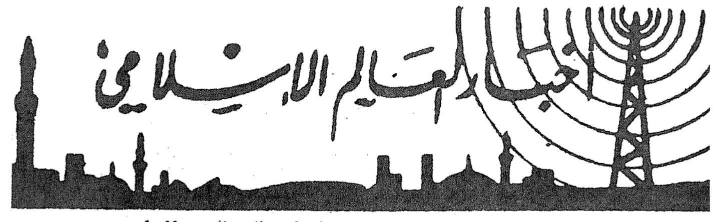
أن عدد المسلمين اليوم يربو على ستمائة مليون نسمة ، ولا يدخل ضمن هذا العدد كثير من الاقليات الاسلامية فى المناطق التى لم تخضع الى حصر دقيق حتى اليوم ، أو لم تهتم بعمل حصر دقيق للمسلمين بنوع خاص .

وهذا العدد الضخم من البشر الذى يتحد فى العقيدة وفى الهدف والغاية . ولا يوجد له نظير فى العالم على الاطلاق ، يتميز عن غيره بالتجاور فى المكان ، والتركز فى قلب العالم ، فدول العالم الاسلامى تتجمع فى بقعة مستطيلة — تمتد دون حواجز ، او فواصل — من اواسط آسيا الى المحيط الأطلسى ، ومن روسيا فى الشمال الى المحيط الهندى ، واما فى افريقيا فيتضخم حجم الكتلة ، فتمتد شمالا الى ما وراء البحر الابيض المتوسط ، وجنوبا الى ما وراء خط الاستواء .

اثر الوضع الجغرافى فى انتشار الاسلام :

فوضع المسلمين الجغرافى هو الذى مكن لهم — ولا يزال يمكن لهم — من الاتصال بغيرهم من البشر والثقافات المختلفة ، فينقلون عنهم — يسر وسهولة — مالديهم من مبادىء وقيم ، وينقلون اليهم ما يؤمنون به من عقيدة ودين ، فتلقى آذانا واعية وقلوبا متفتحة ، وهكذا انتشر الاسلام فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، على أيدى الافراد وبجهد الدعاة .

فالفرد المسلم فى اى بقعة من بقاع الارض يشعر بانه داعية إلى الله يعرف الناس بالاسلام وينقل اليهم تعاليمه ، ويبلغ عن رسول الإله صلى الله عليه وسلم ، يشعربانه خليفته فى القيام بالدعوة والبلاغ ، وهذا التعريف والتبليغ — فى نظره — فرض عليه ينبغى ان يؤديه فى كل الاحوال ،



اعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الخامس التكميلى للفصل التشريعي الثاني لمجلس الأمة ثم القى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء في الجلسة الافتتاحية خطابا جامعا اوضح فيه سياسة الكويت تجاه القضايا المحلية والعامة .

● صرح معالى وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر ان الكويت تعمل لتسوية الخلاف فى وجهات النظر بين امارات الخليج .

● اعلن معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية أن الوزارة سترسل بعض الوعاظ مع بعثة الحج هذا العام وقال ان الوزارة فرغت من اعداد مدينة للحجاج المارين بالكويت وستكون معدة اعتبارا من هذا العام .

● ساهمت الكويت بمبلغ عشرة آلاف دولار لمساعدة مؤسسة الأيتام الاسلامية فى تايلاند وقد سبق للكويت مساعدة هذه الجمعية بمبلغ ستين الف دولار .

●زار سماحة مفتى لبنان البلاد ، واعلن السيد عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ان زيارة سماحته تهدف الى توطيد سبل التعاون الاسلامى بين البلدين من تبادل العلماء والخبرات الدينية وكل ما يتعلق باى نشاط اعلامى دينى .

● تبرعت الكويت بمبلغ (١٧٥) الف دولار للصندوق الخاص للأمم المتحدة و ١٥٠ الف دولار لبرنامج المساعدة التقنية التابع للمنظمة الدولية .

● يعقد فى الكويت اسبوع التربية الثالث خلال الفترة ما بين ١٩ — ١٢/٢٤ ويهدف الى تنشئة التلاميذ تنشئة دينية واتاحة كل الوسائل لتوعيته توعية كاملة .

● احيا شهر رمضان المبارك بتلاوة القرآن الكريم والوعظ والارشاد عدد من كبار العلماء والقراء الذين استضافتهم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

القاهرة : اقيم فى القاهرة يوم ٥ من الشهر الماضى مؤتمر كبير فى ذكرى الأربعين لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر وقد تحدث فى هذا المؤتمر رئيسا ليبيا والسودان ومندوبون عن الكويت والأردن وبعض الدول ..

● تم الاتفاق بين المتحدة وزعيمى مسلمى داهومى وتشاد على ان تبعث القاهرة الى المسلمين فى البلدين مكتبات اسلامية ونسخا من المصاحف والمصاحف المرتلة واسطوانات الوضوء والصلاة .

● عقد فى القاهرة فى الشهر الماضى مؤتمر قمة ثلاثى بين رؤساء المتحدة وليبيا والسودان وقد علم ان اجتماعاتهم تهدف الى وضع اصول للتنسيق الكامل بين البلدان الثلاثة .

● اعد الاتحاد العـــام لتحفيظ القرآن ثلاثة آلاف جائـــزة وكاســـا باســـم الرئيس عبد الناصر لمن يفوز فى مسابقة حفظ القرآن التى تجرى يوم الاسراء والمعراج فى العام القادم .

الأردن : يقوم السيد الباهى الأدغم رئيس اللجنة العربية العليا لمراقبة اتفاقية القاهرة بجولة فى بعض الدول العربية لاطلاعها على الوضع فى الاردن .

● ابدت المتحدة والسعودية ولبنان مساعدتها للأردن فى ازالة الأنقاض الهائلة المتخلفة عن الحرب التى دارت بين الجيش والفدائيين .

● شكل الملك حسين حكومة جديدة فى الشهر الماضي برئاسة وصفى التل وقد اعلن رئيس الوزراء انه يعمل على ــ تنفيذ اتفاقية القاهرة وعمان .

لبنان : قام فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانيـــة بزيارة الكويت فى الشهر الماضي بدعوة من معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية

● اصدر مكتب مؤتمر العالم الاسلامى فى بيروت فى الشهر الماضى عدة محاضرات عن حقوق الشعب الفلسطينى واطماع اسرائيل فى القدس والخطر الناجم عن تدويلها .

الصومال : فى ذكرى ثورة الصومال فى الشهر الماضى اعلن رئيس مجلس الثورة ان الثورة تعمل على تحقيق امانى شعب الصومال .

تونس : اجتمع المكتب التونسى لبناة الجمهورية فى دورته الخامسة لتنظيم جهود الشباب والعمل على تنظيم هذه الجهود بين اقطار المغرب العربى فى مجالات التربية وغيرها .

المغرب : فرضت حكومة المغرب ضريبة خاصـــة توجه لمســـاعدة الشـــعب الفلسطينى .

● قام وفد اقتصادى جزائرى بزيارة المغرب لتوقيع اتفاقية حول اقامة علاقات مباشرة بين الدولتين تشرف على المصاريف فى خزينتى الدولتين .

ايران : ذكرت احصائيات رسمية أن عدد سكان ايران بلغ ٢٨٫٤٠٠٫٠٠٠ نسمة .

باكستان : تلقى الســـيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلســـطينية من السيد ابو الاعلى المودودى خطابا يؤكد له فيه ان الجماعةالاسلامية فى باكستان تنظر بالتقدير الى فتح وانها جمعت لها بعض التبرعات وعلى استعداد لمواصلة التعاون معها .

طشقند : حث المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى طشقند فى الآونة الأخيرة على الكفاح فى مواجهة الاستعمار والظلم والعمل على حرية الشعوب وتقرير المصير للشعوب المضطهدة .

ماليزيا : اعلن تنكو عبد الرحمن سكرتير عام امانة الدول الاسلامية أن وجود كتلة اسلامية بين الكتلتين الشرقية والغربية من شانه ان يحافظ على الســـلام العالمى ويضع المسلمين فى مسار التقدم فى العالم .

● اعلن فى كوالا لا مبور ان احدى عشرة دولة اسلامية اشـــتركت فى المسابقة الدولية لقراءة القرآن التى اقيمت فى ١٧ نوفمبر الماضى .

اندونيسيا : ثبت من فحص دقيق ان المراة التى ادعت انها تحمل جنينا يكلم الناس ويقرأ القرآن انها تخفى مسجلا سجلت عليه آيات من القرآن وكلمات معينة .

● اتخذ المؤتمر الاسلامى الافريقى الآسيوى الذى انعقد فى باندونج اخيرا عدة قرارات هامة تمس التعاون الاسلامى الدولى وانشاء بنك اسلامى ومنظمة دولية اسلامية ورعاية الأقليات الاسلامية فى العالم .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت